عليه وسلم بجراب من تمر، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة. وحيث
ذكرنا وفد بكر بن وائل فلنذكر خبر الأعشى.
أعشى بن قيس
وامتداحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوعه قبل لقائه
قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدّثني خلّاد بن قرّة بن خالد السّدوسيّ، وغيره من
مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم، أنّ أعشى بني قيس بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن
عليّ بن بكر بن وائل، خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام، فقال يمدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبتّ كما بات السّليم مسهّدا
وما ذاك من عشق النّساء وإنّما تناسيت قبل اليوم صحبة مهددا
ولكن أرى الدّهر الّذي هو خائنٌ إذا أصلحت كفّاي عاد فأفسدا
كهولاً وشبّانًا فقدت وثروةً فلله هذا الدّهر كيف تردّدا
وما زلت أبغي المال مذ أنا يافعٌ وليدًا وكهلاً حين شبت وأمردا
وأبتذل العيس المراقيل تغتلي مسافة ما بين النّجير فصرخدا
ألا أيّهذا السّائلي أين يمّمت فإنّ لها في أهل يثرب موعدا
فإن تسألي عنّي فياربّ سائلٍ حفيٍّ عن الأعشى به حيث أصعدا
أجدّت برجليها النّجاء وراجعت يداها خنافًا ليّنًا غير أحردا
وفيها إذا ما هجّرت عجرفيّةٌ إذا خلت حرباء الظّهيرة أصيدا
وأمّا إذا ما أدلجت فترى لها رقيبين جِديًا ما يغيب وفرقدا
فآليت لا آوي لها من كلالةٍ ولا من حفًى حتّى تلاقي محمّدًا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشمٍ تراحي وتلقى من فواضله ندا
نبيٌّ يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا
له صدقاتٌ ما تغبّ ونائلٌ وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدّك لم تسمع وصاة محمدٍ نبيّ الإله حيث أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التّقى ولاقيت بعد الموت من قد تزوّدا
ندمت على ألاّ تكون كمثله فترصد للأمر الذي كان أرصدا
فإيّاك والميتات لا تقربنّها ولا تأخذن سهمًا حديدًا لتفصدا
ولا النّصب المنصوب لا تنسكنّه ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
ولا تقربنّ جارةً إنّ سرّها عليك حرامٌ فانكحن أو تأبّدا
وذا الرّحم القربى فلا تقطعنّه لعاقبةٍ ولا الأسير المقيّدا

وسبّح على حين العشيّات والضّحى ولا تحمد الشّيطان والله فاحمدا
ولا تسخرن من بائسٍ ذي ضرارةٍ ولا تحسبنّ المال للمرء مخلدا
فلما كان بمكة أو قريبا منها، اعترضه بعض المشركين من قريش، فسأله عن أمره، فأخبره
أنه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم، فقال له:
يا أبا بصير إنه يحرّم الزّنى.
فقال الأعشى له: والله إن ذلك لأمرٌ مالي فيه من أربٍ. فقال:
يا أبا بصير فإنه يحرّم الخمر.
فقال: أمّا هذه فو الله إنّ في النفس منها لعلالاتٍ، ولكنّي منصرف فأتروّى منها عامي هذا
ثم آتيه فأسلم. فانصرف فمات من عامه ذلك، ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم.

تغلب

قال: وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني تغلب، وهم ستة عشر رجلا
مسلمين، ونصارى عليهم صلب الذّهب، فنزلوا دار رملة بنت الحارث، فصالح صلى الله
عليه وسلم النّصارى على أن يقرّهم على ذمّتهم، على ألاّ يصبغوا أولادهم في النّصرانية،
وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم.

حنيفة

قالوا: قدم وفد بني حنيفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بضعة عشر رجلا،
فيهم رجّال بن عنفوة، وسلمى بن حنظلة، وطلق بن عليّ بن قيس، وحمران بن جابر،
وعليّ بن سنان، والأقعس بن مسلمة، وزيد بن عمرو، ومسيلمة ابن حبيب، وهو
الكذّاب. وعلى الوفد سلمى بن حنظلة، فأنزلوا دار رملة بنت الحارث، وأجريت عليهم
ضيافة. فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فسلّموا عليه وشهدوا شهادة
الحقّ، وخلّفوا مسيلمة في رحالهم. وأقاموا أياما يختلفون إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم. وكان رجّال بن عنفوة يتعلّم القرآن من أبي بن كعب، فلما أرادوا الرجوع إلى
بلادهم، أمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائزهم: خمس أواقٍ لكل رجل، فقالوا:
يا رسول الله، خلّفنا صاحبًا لنا في رحالنا يبصرها لنا، وفي ركابنا يحفظها علينا، فأمر له

رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر لأصحابه. وقال: " ليس بشرّكم مكانًا لحفظه
ركابكم ورحالكم ". فقيل ذلك لمسيلمة فقال: عرف أنّ الأمر إليّ من بعده.
وأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إداوةً من ماء فيها فضل طهوره، فقال: " إذا
قدمتم بلدكم فاكسروا بيعتكم، وانضحوا مكانها بهذا الماء، واتخذوا مكانها مسجدًا "
ففعلوا، وصارت الإداوة عند الأقعس بن مسلمة، وصار المؤذّن طلق بن عليّ، فأذّن
فسمعه راهب البيعة، فقال: كلمة حقٍّ. وهرب فكان آخر العهد به.
ثم ادّعى مسيلمة الكذّاب بعد ذلك النبوّة، وشهد له الرّجّال أنّ رسول الله صلى الله عليه
وسلم أشركه في الأمر، فافتتن الناس به، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى في خلافة
أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه.

شيبان

قال: وقدم من بني شيبان حريث بن حسّان الشّيبانيّ، فبايع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلى قومه، وصحبه في مسيرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قيلة بنت
مخرمة التّميميّة، وهي التي أرعدت من الفرق لمّا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فقال لها: " يا مسكينة عليك السّكينة " فهدأت.
روي عن قيلة بنت مخرمة أنها قالت: إنّ حريث بن حسّان قال: يا رسول الله، اكتب بيننا
وبين بني تميم بالدّهناء لا يجاوزها إلينا منهم إلاّ مسافر أو مجاور. فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: " يا غلام اكتب له بالدّهناء "، قالت قيلة: فلما رأيته أمر له بأن يكتب له
بها، قلت: يا رسول الله، إنه لم يسألك السويّة من الأرض إذ سألك، إنما هذه الدّهناء
عندك؛ مقيّد الجمل، ومرعى الغنم، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك. فقال رسول الله: "
أمسك يا غلام، صدقت المسكينة، المسلم أخو المسلم يسعهما الماء والشجر، ويتعاونان
على الفتّان ". فلما رأى حريث أن قد حيل دون كتابه، ضرب بإحدى يديه على الأخرى،
وقال: كنت أنا وأنت كما قيل: " حتفها تحمل ضأنٌ بأظلافها " فقلت: أما والله أن كنت

لدليلاً في الظّلماء، جوادًا بذي الرّحل، عفيفًا عن الرّفيقة، حتى قدمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم، ولكن لا تلمني على حظّي إذ سألت حظّك. فقال: ومن حظّك في
الدّهناء لا أبا لك ؟ ! قلت: مقيّد جملى تسأله لجمل امرأتك ! قال: لا جرم، إنّي أشهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّي لك أخٌ ما حييت إذ أثبت هذا عليّ عنده. فقلت:
أما إذ بدأتها فلن أضيعها. وحديث قيلة فيه طولٌ ليس هذا موضعه.

أهل اليمن

ذكر وفد طيّء وخبر زيد الخيل وعديّ بن حاتم

قالوا: وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيّء خمسة عشر رجلا، رأسهم،
وسيّدهم زيد الخيل بن مهلهل، من بني نبهان، وفيهم وزر بن جابر بن سدوس النّبهانيّ،
وهو قاتل عنترة، وقبيصة بن الأسود بن عامر من جرم طيّء، ومالك بن عبد الله بن
خيبري من بني معنٍ، وقعين بن خلف من جديلة، ورجل من بني بولان، فدخلوا المدينة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد، ثم دخلوا
فدنوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرض عليهم الإسلام، فأسلموا وأجازهم
بخمس أواق فضة لكل رجل منهم، وأعطى زيد الخيل اثنتي عشرة أوقيةً ونشًّا. وقال صلى
الله عليه وسلم: " ما ذكر لي رجلٌ من العرب إلا رأيته دون ما ذكر لي إلاّ ما كان من زيد
الخيل، فإنه لم يبلغ كلّ ما كان فيه ".

وسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم " زيد الخير " وقطع له فيد وأرضين معه، وكتب له
بذلك كتابا، فخرج مع قومه راجعًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن ينج زيدٌ
من حمّى المدينة فإنّه "، فلما انتهى زيد من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فردة أصابته
الحمّى فمات، فعمدت امرأته إلى ما كان النبيّ صلى الله عليه وسلم كتب له فحرقته بالنار.

هذا ما كان من خبر زيد الخيل.

وأمّا عديّ بن حاتم فكان من خبره أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث علي بن
أبي طالب رضي الله عنه إلى الفلس - صنم طيّء - ليهدمه ويشنّ الغارات، فخرج فأغار

على حاضر آل حاتم، وأصابوا ابنة حاتم، كما قدّمنا ذكر ذلك في الغزوات والسّرايا، فقدم
بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبايا طيّء.
وقيل: إنما سباها من خيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلٌ كان عليها خالد بن الوليد، وهرب عديّ بن حاتم
حتى لحق بالشام.
حكى محمد بن إسحق رحمه الله قال: كان عديّ بن حاتم يقول - فيما بلغني -: ما من
رجل من العرب كان أشدّ كراهيةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منّي، أمّا
أنا فكنت امرأ شريفا، وكنت نصرانيا، وكنت أسير في قومي بالمرباع، أي آخذ منهم ربع
مغانمهم التي يغنمونها، وكنت في نفسي على دين، وكنت ملكا في قومي لما كان يصنع بي،
فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته، فقلت لغلام كان لي عربيّ، وكان
راعيا لإبلي: لا أبا لك ! أعدد لي من إبلي جمالا ذللاً سمانا فاحتبسها قريبا منّي، فإذا
سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذنّي. ففعل، ثم إنه أتاني ذات غداة فقال: يا
عديّ، ما كنت صانعًا إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن، فإني رأيت راياتٍ فسألت
عنها فقالوا: هذه جيوش محمد. فقلت: فقرّب إليّ أجمالي. فقرّبها فاحتملت بأهلي و
ولدي، ثم قلت: ألحق بأهل ديني من النّصارى بالشام، فسلكت الجوشيّة - ويقال الحوشية
- وخلّفت بنتا لحاتم في الحاضر، فلمّا قدمت الشام أقمت بها، وتخالفني خيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم، فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت، فقدم بها على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في سبايا طيّء، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي إلى الشام،
قال: فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السّبايا تحبس فيها، فمرّ بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم، فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله، هلك
الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ، منّ الله عليك. قال: " ومن وافدك " ؟ قالت: عديّ
بن حاتم. قال: " الفارّ من الله ورسوله " ؟ !. قالت: ثم مضى وتركني، حتى إذا كان من

الغد مرّ بي فقلت له مثل ذلك، فقال مثل ما قال بالأمس، قالت: حتى إذا كان بعد الغد مرّ
بي وقد يئست، فأشار إليّ رجلٌ من خلفة أن قومي فكلّميه، قالت: فقمت إليه، فقلت: يا
رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ، منّ الله عليك. فقال: " قد فعلت فلا
تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني "
فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن كلّميه، فقيل عليّ بن أبي طالب، قالت: فأقمت حتى
قدم ركب من بليٍّ أو قضاعة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، فجئت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهطٌ من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغٌ،
قالت: فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت معهم
حتى قدمت الشام، قال عديّ: فو الله إنّي لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إليّ
تؤمّنا، قال: قلت ابنة حاتم، فإذا هي هي، فلما وقفت عليّ انسلخت تقول: القاطع الظّالم،
احتملت بأهلك و ولدك، وتركت بقيّة والديك عورتك ! قال: قلت: أي أخيّة ! لا تقولي
إلاّ خيرا، فو الله ما لي من عذر، لقد صنعت ما ذكرت. قالت: ثم نزلت فأقامت عندي،
فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل ؟ قالت: أرى والله أن نلحق
به سريعا، فإن يكن الرّجل نبيا فللسّابق إليه فضله، وإن يكن ملكا فلن تذل في عز اليمن،
وأنت أنت. قال: قلت والله إن هذا الرّأي. فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده، فسلمت عليه فقال: " من الرجل " ؟
فقلت: عدي بن حاتم. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بي إلى بيته، فو الله
إنه لعامدٌ بي إليه إذ لقيته امرأةٌ ضعيفة كسيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلا تكلمه في
حاجتها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك. قال: ثم مضى حتى إذا دخل بي بيته تناول
وسادة من أدم محشوّة ليفًا فقذفها إليّ فقال: " اجلس على هذه " قلت: بل أنت فاجلس
عليها، قال: " بل أنت " فجلست عليها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض،

فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك. ثم قال: " إيه يا عديّ بن حاتم ألم تك ركوسيا ؟
" قلت: بلى، قال: " أولم تك تسير في قومك بالمرباع " ؟ قلت: بلى؛ قال: " فإنّ ذلك لم يك
يحلّ لك في دينك ". قال: قلت أجل والله، وعرفت أنه نبيّ مرسل يعلم ما يجهل، ثم قال: "
لعلّك يا عديّ إنما يمنعك من دخولٍ في هذا الدّين ما ترى من حاجتهم، فو الله ليوشكنّ
المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ما ترى من
كثرة عدوّهم، وقلّة عددهم، فو الله ليوشكن أن يسمع بالمرأة تخرج من القادسية على
بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه أنك ترى أن
الملكَ والسلطان في غيرهم، وايم الله ليوشكنّ أن يسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد
فتحت عليهم ". قال عديّ: فأسلمت. فكان عديّ يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة،
والله لتكوننّ؛ قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، وقد رأيت المرأة
تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وايم الله لتكوننّ الثالثة؛
ليفيضنّ المال حتى لا يوجد من يأخذه.

تجيب

قال ابن سعد: قدم وفد تجيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع من
مهاجره، وهم ثلاثة عشر رجلا، وساقوا صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فسّر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم، وقال: " مرحبًا بكم " وأكرم منزلهم وحيّاهم، وأمر
بلالاً أن يحسن ضيافتهم وجوائزهم، وأعطاهم أكثر مما كان يجيز به الوفد، وقال: " هل بقي
منكم أحد " قالوا " غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنّا. قال: " أرسلوه إلينا "،
فأقبل الغلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني امرؤ من بني أبناء الرّهط الذين
أتوك آنفًا، فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي، قالل: " وما حاجتك " ؟ قال: تسأل الله أن
يغفر لي ويرحمني ويجعل غناي في قلبي. فقال: " اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه
". ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه، فانطلقوا راجعين إلى أهليهم، ثم وافوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم بمنًى في سنة عشرٍ، فسألهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الغلام، فقالوا: ما رأينا مثله أقنع منه بما رزقه الله.

خولان

قال: قدم وفد خولان على رسول الله صلى الله عليه وسلم، في شعبان سنة عشر، وهم
عشرة نفر، فقالوا: يا رسول الله، نحن مؤمنون بالله مصدّقون برسوله، ونحن على من وراءنا
من قومنا، وقد ضربنا إليك آباط الإبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما فعل
عمّ أنسٍ " صنمٌ لهم؛ فقالوا: بشرٍّ وعرٍّ، أبد لنا الله به ما جئت به، ولو قد رجعنا إليه
هدمناه. وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء من أمر دينهم، فجعل يخبرهم
بها، وأمر من يعلّمهم القرآنم والسّنن، وأنزلوا في دار رملة بنت الحارث، وأجريت عليهم
الضيافة، ثم جاءوا بعد أيام يودّعونه، فأمر لهم بجوائز ثنتي عشرة أوقية ونشٍّ، ورجعوا إلى
قومهم، فلم يحلّوا عقدة حتى هدموا عمّ أنسٍ. وممن أسلم من خولان أبو مسلم الخولانيّ
العابد، واسمه عبد الله بن ثوب، ولم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما قدم المدينة
بعد وفاته، وله خبر عجيب مع الأسود العنسيّ، نذكره في أخباره في خلافة أبي بكر
الصدّيق رضي الله عنه.

جعفي

قال ابن سعد: وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من جعفيّ، وهما قيس
بن سلمة بن شراحيل، وسلمة بن يزيد، وهما أخوان لأم، وأمهما مليكة بنت الحلو بن
مالك، فأسلما فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بلغني أنكم لا تأكلون القلب "
وكانوا يحرّمون أكله، فقالا: نعم، قال: " فإنه لا يكمل إسلامكم إلا بأكله " ودعا بقلب
فشوي، ثم ناوله سلمة فلما أخذه أرعدت يده فقال له: " كله " فأكله، وقال:

قل إنّي أكلت القلب كرهًا وترعد حين مسّته بناني

ثم قالا: يا رسول الله، إنّ أمّنا مليكة بنت الحلو كانت تفكّ العاني، وتطعم البائس، وترحم
المسكين، وأنها ماتت وقد وأدت بنية لها صغيرة، فما حالها، ؟ قال: " الوائدة والموءودة في

النار " فقاما مغضبين، فقال: " إليّ فارجعا " فقال: " وأمّي مع أمّكما " فأبيا ومضيا، وهما
يقولان: والله إنّ رجلاً أطعمنا القلب، وزعم أنّ أمّنا في النار لأهل ألاّ يتّبع، فلما كان ببعض
الطريق، لقيا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، معه إبل من إبل الصّدقة،
فأوثقاه وطردا الإبل، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلعنهما فيمن كان يلعن في قوله:
" لعن الله رعلا وذكوان وعصيّة ولحيان وابنا مليكة ".
قال محمد بن سعد: وقدم أبو سبرة وهو يزيد بن مالك بن عبد الله الجعفيّ على النبي
صلى الله عليه وسلم ومعه ابناه سبرة وعزيز فأسلموا. وسمى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عزيزًا عبد الرحمن. وقال له أبو سبرة: يا رسول الله: إن بظهر كفّي سلعةً قد منعتني
من خطام راحلتي، فدعا بقدح، وجعل يضرب به على السّلعة ويمسحها فذهبت، ودعا له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابنيه فقال: يا رسول الله، أقطعني وادي قومي باليمن،
وكان يقال له جردان ففعل، قال: وعبد الرحمن هذا هو أبو خيثمة عبد الرحمن.

مراد

قالوا: قدم فروة بن مسيكٍ المراديّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقًا لملوك
كندة ومباعدا لهم، وقال في ذلك:

لمّا رأيت ملوك كندة أعرضت كالرّجل خان الرّجل عرق نسائها
قرّبت راحلتي أؤمّ محمدًا أرجو فواضلها وحسن ثرائها

وبايع النبيّ صلى الله عليه وسلم، ونزل على سعد بن عبادة، وكان يتعلم القرآن وفرائض
الإسلام وشرائعه، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنتي عشرة أوقية، وحمله على
بعير وأعطاه حلّة من نسج عمان، واستعمله على مراد وزبيد ومذحج، وبعث معه خالد
بن سعيد بن العاص على الصّدقات، وكتب له كتابا فيه فرائض الصّدقة، فلم يزل على
الصّدقة حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

زبيد

قال ابن سعد: قدم وفد عمرو بن معدي كرب الزّبيديّ على رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة، في عشرة نفر من زبيد، فنزل على سعد بن عبادة فأكرمه سعد وراح به إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم هو ومن معه، وأقام أياما، ثم أجازه رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وانصرف إلى بلاده، فأقام مع قومه على الإسلام، وعليهم فروة بن
مسيك، فلما توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ، ثم رجع إلى الإسلام، وأبلى يوم
القادسية وغيرها.
قال محمد بن إسحق: كان عمرو بن معدي كرب قد قال لقيس بن مكشوح المراديّ حين
انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا قيس، إنك سيد قومك، وقد ذكر لنا
أنّ رجلا من قريش يقال له محمد خرج بالحجاز، يقال إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نعلم
علمه، فإن كان نبيا كما يقول فإنه لن يخفى عليك، إذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك
علمنا علمه، فأبى عليه قيس، فركب عمرو ابن معدي كرب حتى قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأسلم، فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمرا وتحطّم عليه،
وقال: خالفني وترك رأيي، فقال عمرو في ذلك:

أمرتك يوم ذي صنعا ء أمرا بيّنًا رشده
أمرتك باتّقاء الله تأتيه وتتّعده
فكنت كذي الحميّر غرره ممّا به وتده
تمنّاني على فرسٍ عليه جالسًا أسده
عليّ مفاضةٌ كالنّهـ ى أخلص ماءه حدده
تردّ الرّمح مثنيّ السنّ نان عوائرًا قصده
فلو لاقيتني للقي ت لينًا فوقه لبده
تلاقي ضيغمًا شثن ال براثن ناشزًا كتده
يسامى القرن إن قرنٌ تيمّمه فيعتضده
فيأخذه فيرفعه فيخفضه فيقتصده
فيدمغه فيخطمه فيخضمه فيزدرده
ظلوم الشّرك فيما أح رزت أنيابه وبده
كندة

قالوا: قدم الأشعث بن قيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بضعة عشر راكبا
من كندة. قاله ابن سعد - وقال ابن إسحق: في ثمانين راكبا - فدخلوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسجد، وقد رجّلوا جممهم وتكحّلوا، عليهم جبب الحبرة قد
كفّفوها بالحرير، وعليهم الدّيباج ظاهرُ مخوّص بالذهب، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: " ألم تسلموا " ؟ قالوا: بلى، قال: " فما بال هذا عليكم
" قال: فشقّوه وألقوه، ثم
قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله، نحن بنو آكل المرار،
وأنت ابن آكل المرار. فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " ناسبوا بهذا النّسب
العبّاس بن عبد المطلب
وربيعة بن الحارث ". قال: وكانا تاجرين، وكانا إذا شاعا في
بعض العرب، فسئلا ممن هما،
قالا: نحن بنو آكل المرار: يتعزّزان بذلك. وآكل المرار هو
الحارث بن عمرو بن حجر بن
عمرو بن معاوية، وقد تقدم خبره في وقائع العرب. قال: ثم
قال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم: " لا، نحن بنو النّضر بن كنانة، لا نقفو أمّنا ولا
ننتفي من أبينا " فقال الأشعث
بن قيس: يا معشر كندة، والله لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته
ثمانين.
قال محمد بن سعد: فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم أجازهم
بعشرة أواقٍ، وأعطى
الأشعث ثنتي عشرة أوقية.

الصّدف

قال ابن سعد: وفد وفد الصّدف على رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وهم بضعة
عشر رجلا، على قلائص لهم، في أزر وأردية، فصادفوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فيما بين بيته وبين المنبر، فجلسوا ولم يسلّموا فقال: "
أمسلمون أنتم " ؟ قالوا: نعم. قال: "
فهلاّ سلّمتم "، فقاموا فقالوا: السّلام عليك أيّها النبيّ ورحمة
الله، فقال: " وعليكم السّلام،
اجلسوا " فجلسوا، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
أوقات الصلوات
فأخبرهم بها.

سعد هذيم

قال ابن سعد يرفعه إلى أبي النعمان عن أبيه قال: قدمت على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وافدا في نفر من قومي، فنزلنا ناحية من المدينة، ثم
خرجنا نؤمّ المسجد، فنجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّي على جنازة في المسجد،
فانصرف فقال: " من أنتم
" ؟ قلنا: من بني سعد هذيم، فأسلمنا وبايعنا، ثم انصرف إلى
رحالنا، فأمر بنا فأنزلنا
وضيّفنا فأقمنا ثلاثا، ثم جئناه نودّعه، فقال: " أمّروا عليكم
أحدكم " وأمر بلالاً، فأجازنا

بأواقٍ من فضّة، ورجعنا إلى قومنا فرزقهم الله الإسلام.
بليّ
روي عن رويفع بن ثابت البلويّ قال: قدم وفد قومي في شهر ربيع الأول سنة تسع، فأنزلتهم
عليّ في منزلي ببني جديلة، ثم خرجت بهم حتى انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وهو جالس مع أصحابه في بقية من الغداة، فتقدم شيخ الوفد أبو الضّبيب، فجلس
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم وأسلم، وأسلم القوم، وسألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الضّيافة، وعن أشياء من أمر دينهم فأجابهم، ثم رجعت بهم
إلى منزلي، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي منزلي يحمل تمرا يقول: " استعن بهذا
التّمر " فكانوا يأكلون منه ومن غيره، فأقاموا ثلاثا، ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يودّعونه، فأمر لهم بجوائز كما كان يجيز الوفد، ثم رجعوا إلى بلادهم.
بهراء
قال ابن سعد: قدم وفد بهراء من اليمن، وهم ثلاثة عشر رجلا، فأقبلوا يقودون رواحلهم،
حتى انتهوا إلى باب المقداد بن عمرو ببني جديلة فخرج إليهم، فرحّب بهم وأنزلهم، وأتوا
النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسلموا وتعلّموا الفرائض وأقاموا أياما، ثم جاءوا يودّعونه فأمر
لهم بجوائزهم، وانصرفوا إلى أهلهم.
عذرة
قالوا: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد عذرة، في صفرٍ سنة تسع من
مهاجره، وهم اثنا عشر رجلا، فيهم حمزة بن النعمان العذريّ، وسليم وسعد ابنا مالك،
ومالك بن أبي رياح، فنزلوا دار رملة بنت الحارث، ثم جاءوا النبيّ صلى الله عليه وسلم
فسلّموا بسلام الجاهلية، وقالوا: نحن إخوة قصيّ لأمه، ونحن الذين أخرجوا خزاعة وبني
بكرٍ عن مكة، ولنا قرابات وأرحام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مرحبًا بكم
وأهلاً، ما أعرفني بكم، ما منعكم من تحية الإسلام " ؟ قالوا: قدمنا مرتادين لقومنا.
وسألوا النبيّ صلى الله عليه وسلم عن أشياء من أمر دينهم فأجابهم فيها، فأسلموا

وأقاموا أياما، ثم انصرفوا إلى أهليهم، وأمر لهم بجوائز كما كان يجيز الوفد، وكسا أحدهم
بردا.
قال: و وفد زمل بن عمرو العذريّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنشأ يقول حين
وفد:
إليك رسول الله أعملت نصّها أكلّفها حزنًا وقوزا من الرّمل
لأنصر خير النّاس نصرًا مؤزّرًا وأعقد حبلاً من حبالك في حبلي
وأشهد أنّ الله لا شيء غيره أدين له ما أثقلت قدمي نعلي
قال: وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمع من صنمه، فقال: " ذلك مؤمن الجن
" وعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءً على قومه، فشهد به بعد ذلك صفّين مع
معاوية، ثم شهد به المرج فقتل.
سلامان
قال ابن سعد: وفد سبعة من سلامان على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوّال
سنة عشر، فصادفوه وهو خارج من المسجد إلى جنازة؛ فقالوا: السلام عليك يا رسول
الله، قال: " وعليكم السلام من أنتم " ؟ قالوا: نحن من سلامان، قدمنا لنبايعك على
الإسلام، ونحن على من وراءنا من قومنا. فأمر ثوبان فأنزلهم حيث ينزل الوفد، فلمّا صلّى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الظّهر جلس بين بيته وبين المنبر، فقدموا إليه فسألوه عن
أشياء من أمر الصّلاة وشرائع الإسلام، وعن الرّقي فأجابهم وأسلموا، وأجاز كلّ رجلٍ
منهم خمس أواقٍ، ورجعوا إلى بلادهم.
كلبٍ
قالَ محمد بن سعد بسنده إلى عبد بن عمرو بن جبلة بن وائل بن الجلاح الكلبيّ، قال:
شخصت أنا وعصام - رجلٌ من بني رقاش من بني عامر - حتى أتينا النبيّ صلى الله
عليه وسلم، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا.
وقال بسند آخر إلى ربيعة بن إبراهيم الدمشقي قال: وفد حارثة بن قطن بن زابر بن
حصن بن كعب بن عليم الكلبيّ، وحمل بن سعدانة بن حارثة بن مغفّل ابن كعب بن عليم
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما، فعقد لحمل بن سعدانة لواء، فشهد به صفّين
مع معاوية، وكتب لحارثة بن قطن كتابا فيه:

" بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
لأهل دومة الجندل وما يليها من طوائف كلب مع حارثة بن قطن، لنا الضّاحية من البعل،
ولكم الضّامنة من النّخل؛ على الجارية العشر، وعلى الغائرة نصف العشر، لا يجمع
سارحكم، ولا تعدّ فاردتكم، تقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة بحقّها، ولا يحظر عليكم
النّبات، ولا يؤخذ منكم عشر البنات، لكم بذلك العهد والميثاق، ولنا عليكم النّصح
والوفاء، وذمّة الله ورسوله، شهد الله ومن حضر من المسلمين ".
جرم
قال ابن سعد: وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من جرم، يقال
لأحدهما: الأسقع بن شريح بن صريم بن عمرو بن رياح بن عوف بن عميرة بن الهون ابن
أعجب بن قدامة بن جرم بن ربّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. والآخر:
هوذة بن عمرو بن يزيد بن عمرو بن رياح، فأسلما وكتب لهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم كتابا.
وروى عن أبي يزيد - وقد قيل فيه بالباء الموحّدة أبو بريد - عمرو بن سلمة الجرميّ أن
أباه ونفرا من قومه، وفدوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين أسلم الناس، وتعلّموا القرآن
وقضوا حوائجهم، فقالوا: يا رسول الله من يصلّي بنا؛ أو لنا ؟
فقال: " ليصلّ بكم أكثركم
جمعا - أو أخذًا - للقرآن ". قال: فجاءوا إلى قومهم فلم يجدوا فيهم أحدا أكثر أخذا،
أو جمع من القرآن ما جمعت، أو أخذت، قال: وأنا يومئذ غلامٌ عليّ شملةٌ، فقدّموني
فصلّيت بهم، فما شهدت مجمعا من جرم إلا وأنا إمامهم إلى يومي هذا.
وعن عمرو بن سلمة أيضا قال: كنا بحضرة ماءٍ ممرّ الناس عليه، وكنا نسألهم، ما هذا
الأمر ؟ فيقولون: رجلٌ يزعم أنه نبيٌّ، وأنّ الله أرسله، وأنّ الله أوحى إليه كذا وكذا،
فجعلت يومئذ لا أسمع شيئا من ذلك إلاّ حفظته، كأنما يغرى في صدري بغراء، حتى
جمعت فيه قرآنا كثيرا، وكانت العرب تلوّم بإسلامها الفتح، يقولون: انظروا فإن ظهر عليهم

فهو صادق، وهو نبيٌّ. فلما جاءتنا وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، فانطلق أبي بإسلام
حوائنا ذلك، وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقيم، ثم أقبل فلمّا
دنا منّا تلقّيناه، فقال: جئتكم والله من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حقًّا، ثم قال:
إنه يأمركم بكذا وكذا، وينهاكم عن كذا وكذا، وأن تصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة
كذا في حين كذا، إذا حضرت الصلاة فليؤذّن أحدكم، وليؤمّكم أكثركم قرآنا. فنظر أهل
حوائنا فما وجدوا أحدا أكثر قرآنًا منّي للّذي كنت أحفظه من الرّكبان، فقدّموني بين
أيديهم، فكنت أصلّي بهم وأنا ابن ستّ سنين، وكان عليّ بردة كنت إذا سجدت تقلّصت
عنّي، فقالت امرأة من الحيّ: ألا تغطون عنّا است قارئكم ؟ فكسوني قميصًا من معقّد
البحرين، فما فرحت بشيء أشدّ من فرحي بذلك القميص.
ومن رواية أخرى عنه: فعلّموني الركوع والسجود، فكنت أصلّي بهم.
الأزد وأهل جرش
قالوا: قدم صرد بن عبد الله الأزديّ في بضعة عشر رجلا من قومه، وفدا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم، فنزلوا على فروة بن عمرو، وأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأسلموا، وأقاموا عشرة أيام، وكان صرد أفضلهم، فأمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم
على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بهم من يليه، من أهل الشّرك من قبائل اليمن؛
فخرج حتى نزل جرش وهي مدينة حصينة مغلقة، وبها قبائل من قبائل اليمن. وقد ضوت
إليهم خثغم؛ فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم، فحاصرهم صرد ومن معه
فيها شهرا، ثم رجع قافلا، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر، ظنّ أهل جرش أنه
إنما ولّى عنهم منهزما، فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه صفّ صفوفه، وحمل عليهم هو
والمسلمون، ووضعوا سيوفهم فيهم حيث شاءوا، وأخذوا من خيلهم عشرين فرسا،
فقاتلوهم عليها نهارا طويلا.
وكان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان

وينظران، فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيةً بعد العصر؛ إذ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بأيّ بلاد الله شكر " ؟ فقام الجرشيّان فقالا: يا رسول
الله، ببلادنا جبل يقال له كشر، وكذلك نسمّيه أهل جرش، فقال: " إنه ليس بكشر ولكنه
شكر "، قالا: فما شأنه يا رسول الله ؟ قال: " إنّ بدن الله لتنحر عنده الآن " قال: فجلس
الرجلان إلى أبي بكر، أو إلى عثمان. فقال لهما: ويحكما ! إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الآن لينعى لكما قومكما، فقوما إلى رسول الله فسلاه أن يدعو الله أن يرفع عن
قومكما. فقاما إليه فسألاه ذلك. فقال: " اللهم ارفع عنهم " فخرجا من عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا من صرد في اليوم
الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال في تلك الساعة، فقصّا على قومهما
القصّة، فخرج وفدهم حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا، فقال: "
مرحباً بكم، أحسن الناس وجوها، وأصدقه لقاء، وأطيبه كلاما، وأعظمه أمانة، أنتم مني
وأنا منكم " وجعل شعارهم مبرورا، وحمى لهم حمًى حول قريتهم، على أعلام معلومة
للفرس والراحلة وللمثيرة - بقرة الحرث - فمن رعاه من الناس فماله سحتٌ.

غسّان

قال محمد بن سعد بسنده إلى محمد بن بكير الغسّانيّ، عن قومه من غسّان، قالوا قدمنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة عشر، المدينة ونحن ثلاثة نفرٍ،
فنزلنا دار رملة بنت الحارث، ثم أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وصدّقنا،
فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز وانصرفوا راجعين، فقدموا على قومهم
فلم يستجيبوا لهم، فكتموا إسلامهم حتى مات منهم رجلان مسلمين، وأدرك الثالث عمر
بن الخطاب عام اليرموك، فلقي أبا عبيده فخبّره بإسلامه فأكرمه.

الحارث بن كعب

وما كتب به رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم

قال ابن سعد: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في أربعمائة من
المسلمين، في شهر ربيعٍ الأوّل سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن
يدعوهم إلى الإسلام ثلاثا قبل أن يقاتلهم ففعل، فاستجاب له من هناك من بلحارث بن
كعب،ودخلوا في الإسلام، ونزل خالد بن الوليد بين أظهرهم، فعلمهم الإسلام وشرائعه،
وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خالد: " أن بشّرهم وأنذرهم واقدم
ومعك وفدهم "، فقدم خالد ومعه وفدهم؛ فيهم قيس بن الحصين، ويزيد بن عبد المدان،
وعبد الله بن عبد المدان، ويزيد بن المحجّل، وعبد الله بن قرادٍ، وشدّاد بن عبد الله
القنانيّ، وعمرو بن عبد الله، وأنزلهم خالد عليه، ثم جاء بهم إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال: " من هؤلاء الذين كأنهم رجال الهند " ؟ فقيل: بنو الحارث بن كعب،
فسلّموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول
الله، فأجازهم بعشر أواق، وأجاز قيس بن الحصين باثنتي عشرة أوقية ونشٍّ، وأمره رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بني الحارث، ثم انصرفوا إلى قومهم في بقية شوّال. هذا ما
حكاه ابن سعد في طبقاته.
وقال ابن إسحق: لما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّموا عليه، وقالوا:
نشهد أنك لرسول الله، وأنه لا إله إلا الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنتم
الذين إذا زجروا استقدموا " ؟ فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد، فأعادها عليهم الثانية
والثالثة، فلما أعادها الرابعة قال يزيد بن عبد المدان: نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا
زجروا استقدموا، قالها أربع مرار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
" لو أنّ خالدا لم يكتب إليّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم "
فقال يزيد بن عبد المدان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خاالدا، قال: " فمن حمدتم " ؟

قالوا: حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله. قال: " صدقتم "، ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: " بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية "
قالوا: لم نكن نغلب أحدا. قال:
" بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم " قالوا: كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع
ولا نتفرق، ولا نبدأ أحدا بظلم، قال: " صدقتم ". وأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على بني الحارث قيس بن الحصين، وأجازهم بعشر أواقٍ عشر أواقٍ، وأجاز قيس بن
الحصين باثنتي عشرة أوقيةً ونشٍّ، ثم انصرفوا إلى قومهم في بقيّة شوّال، أو في صدر ذي
القعدة، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم.
قال: وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن
حزم ليفقّههم في الدّين ويعلّمهم السّنة، ويعلّمهم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم. وكتب له
كتابا وهو:
" بسم الله الرحمن الرحيم. هذا بيان من الله ورسوله " يأيّها الّذين آمنوا أوفوا بالعقود "
عهد من محمد النبي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمرو بن حزم حين بعثه إلى
اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله " فإنّ الله مع الّذين اتّقوا والّذين هم محسنون "، وأمره أن
يأخذ الحق كما أمره الله، وأن يبشّر الناس بالخير ويأمرهم به، ويعلّم الناس القرآن ويفقّههم
فيه، وينهى الناس، ولا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم والذي
عليهم، ويلين للناس في الحق، ويشتدّ عليهم في الظّلم، فإنّ الله كره الظّلم، ونهى عنه، فقال:
" ألا لعنة الله على الظّالمين "، ويبشّر الناس بالجنة وبعملها، وينذر الناس النار وعملها،
ويستألف الناس حتى يفقّهوا في الدّين، ويعلّم الناس معالم الحج وسنّته وفريضته، وما أمر الله
به، والحج الأكبر: الحج الأكبر، والحج الأصغر هو العمرة، وينهى الناس أن يصلّي أحدٌ في
ثوب واحد صغير، إلا أن يكون ثوبا يثني طرفيه على عاتقيه، وينهى أن يحتبيأحد في ثوب
واحد يفضي بفرجه إلى السماء، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه، وينهى إذا كان

بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله وحده لا شريك
له، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسّيف، حتى تكون دعواهم
إلى الله وحده لا شريك له، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق،
وأرجلهم إلى الكعبين، ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله، وأمر بالصلاة لوقتها، وإتمام
الركوع والخشوع، يغلّس بالصّبح، ويهجّر بالهاجرة حين تميل الشّمس، وصلاة العصر
والشمس في الأرض مدبرة، والمغرب حين يقبل الليل، لا تؤخّر حتّى تبدو النجوم في السماء،
والعشاء أوّل الليل، وأمر بالسّعي إلى الجمعة إذا نودي لها، والغسل عند الرّواح إليها، وأمره
أن يأخذ من المغانم خمس الله، وما كتب على المؤمنين في الصّدقة من العقار عشر ما سقت
العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر، وفي كل عشرٍ من الإبل شاتان،
وفي كلّ عشرين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع: جذع أو جذعة، وفي كل أربعين
من الغنم سائمة وحدها شاةٌ، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصّدقة، فمن
زاد خير له، وأنه من أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ إسلاما خالصا من نفسه، ودان بدين
الإسلام فإنه من المؤمنين، له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على نصرانيته أو
يهوديته، فإنه لا يردّ عنها، وعلى كل حالمٍ ذكرٍ أو أنثى حرٍّ أو عبدٍ دينارٌ وافٍ، أو عوضه
ثيابا، فمن أدّى ذلك فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله، ومن منع ذلك فإنه عدوّ لله ولرسوله
وللمؤمنين جميعا، صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ".

عنسٍ

قال محمد بن السّائب الكلبيّ: حدّثنا أبو زفر الكلبيّ عن رجل من عنس، قال: كان منّا
رجل وفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يتعشّى، فدعا به إلى العشاء فجلس،
فلما تعشّى أقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " أشهد أن لا إله إلا الله وأن
محمدا عبده ورسوله " فقال العنسيّ: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

فقال: " أراغبًا جئت أم راهبًا " فقال: أمّا الرّغبة فوالله ما في يديك مالٌ، وأمّا الرّهبة فوالله
إني لببلد ما تبلغه جيوشك، ولكنّي خوّفت فخفت، وقيل لي: آمن بالله فآمنت. فأقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم، على القوم فقال: " ربّ خطيبٍ من عنس " فمكث
يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء يودّعه، فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم: " اخرج " وبتّته، أي أعطاه شيئا، وقال: " إن أحسست شيئا فوائل إلى أدنى
قرية ". فخرج فوعك في بعض الطريق، فوأل إلى أدنى قرية فمات رحمه الله، واسمه ربيعة.

الداريّين

وما كتب لهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما اختصّ به تميم الداريّ وإخوته

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله، وروح بن زنباع الجذاميّ عن أبيه
قالا: قدم وفد الدّاريّين على رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك وهم عشرة
نفر؛ فيهم تميم ونعيم ابنا أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة ابن ذراع بن عديّ بن الدّار
بن هانيء بن حبيب بن نمارة بن لخم، ويزيد بن قيس ابن خارجة، والفاكه بن النّعمان بن
جبلة بن صفّارة بن ربيعة بن ذراع بن عديّ ابن الدّار، وجبلة بن مالك بن صفّارة، وأبو
هند والطّيّب ابنا ذرٍّ - قال ابن إسحق: برٍّ - وهو عبد الله بن ذرّ بن عمّيت بن ربيعة
بن ذراع، وهانيء بن حبيب، وعزيز ومرّة ابنا مالك بن سواد. قال ابن إسحق: عرفة.
وقال ابن هشام: عزّة. وقال ابن إسحق في مرّة: مروان.
قال ابن سعد: فأسلموا وسمّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيب عبد الله، وسمّي
عزيزًا عبد الرحمن.
قال: وأهدى هانيء بن حبيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية خمر وأفراسا وقباء
مخوّصا بالذهب، فقبل الأفراس والقباء وأعطاه العباس بن عبد المطلب، فقال: ما أصنع به
؟ قال: " تنزع الذهب فتحليه نساءك، أو تستنفقه، ثم تبيع الدّيباج فتأخذ ثمنه "، فباعه
العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم.
قال وقال تميم: لنا جيرةٌ من الرّوم، لهم قريتان يقال لأحدهما حبرى والأخرى بيت عينون،

فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي، قال: " فهما لك " فلما قام أبو بكر رضي الله عنه
أعطاه ذلك، وكتب له به كتابا، وأقام وفد الدّاريّين حتى توفّي رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وأوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجادّ مائة وسقٍ من خيبر، هكذا
حكى ابن سعد في طبقاته.
وشاهدت أنا عند ورثة الصاحب الوزير فخر الدين أبي حفص عمر، ابن القاضي المرحوم
الرئيس مجد الدين عبد العزيز المعروف بابن الخليلي التميميّ رحمه الله، كتابا يتوارثونه كابرا
عن كابر، يقولون: هو كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتبه لتميم الداريّ
وإخوته، وهو في قطعة من أدم مربّعة دون الشّبر قد غلّفت بالأطلس الأبيض، يزعمون أن
ذلك من خفٍّ كان لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد بقي بهذه القطعة
الأدم آثار أحرف خافية، لا تكاد تبين إلا بعد إمعان التأمل، وتحقيق النظر، وعلى هذه
القطعة الأدم من الجلالة ولها من الموقع في النفوس والمهابة ما يقوّي أنها صادرة عن المحل
المنيف، وقرين هذه القطعة الأدم قرطاس أبيض قديم، يزعمون أن أسلافهم نقلوا ما فيه من
الكتابة من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل أن تزول حروفه. وفيه تسعة
أسطر بما في ذلك من البسملة، وقد رأينا أن نضع ذلك في هذا الكتاب على هيئته في
العدد، وإن لم يوافق الخط، وهو:
بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما انطا محمد رسول الله لتميم
الداريّ واخوته حبرون والمرطوم
وبيت عينون و بيت ابراهيم وما فيهن
نطيه بتٍّ بذمتهم ونفذت وسلمت ذلك
لهم ولأعقابهم فمن اذاهم اذاه
الله فمن اذاهم لعنه الله شهد عتيق
ابن أبو قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفّان
وكتب علي بن أبو طالب وشهد.
هكذا شاهدت تلك الورقة التي هي قرين الكتاب، والكتاب بأيديهم إلى وقتنا هذا؛ وهو
العشر الآخر من ذي القعدة سنة ستّ عشرة وسبعمائة. وهذه الضّياع الأربعة المذكورة

بأيديهم إلى وقتنا هذا، لا ينازعون فيها. وكان الصاحب الوزير فخر الدين عمر بن الخليلي
رحمه الله، إذا نابته نائبة، أو صودر أو أوذي بوجه من وجوه الأذى، توسّل إلى الله تعالى
بكتاب نبيه صلى الله عليه وسلم، وأظهره للملوك، فكفوا عن طلبه، وأفرجوا عنه.
ولنرجع إلى أخبار الوفود.
الرّهاويّين
والرّهاويّين حيّ من مذحج، قال ابن سعد: وفد خمسة عشر رجلا من مذحج على رسول
الله صلى الله عليه وسلم سنة عشرٍ، فنزلوا دار رملة بنت الحارث، فأتاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم، فتحدّث عندهم طويلا. وأهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم
هدايا؛ منها فرس يقال له المرواح، فأمر به فشوّر بين يديه فأعجبه. فأسلموا وتعلّموا القرآن
والفرائض. وأجازهم كما يجيز الوفد؛ أرفعهم ثنتي عشرة أوقيةً ونشًّا، وأخفضهم خمس
أواقٍ. ثم رجعوا إلى بلادهم.
ثم قدم منهم نفر فحجّوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأوصى لهم بجادّ مائة وسقٍ
من خيبر في الكتيبة جارية عليهم، وكتب لهم بها كتابا، فباعوا ذلك في زمن معاوية.
غامد
قال: قدم غامد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهم عشرة، فنزلوا
ببقيع الغرقد، ثم لبسوا من صالح ثيابهم، ثم انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فسلّموا عليه وأقرّوا بالإسلام. وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه شرائع
الإسلام، وأتوا أبي بن كعب فعلّمهم قرآنا. وأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
كان يجيز الوفد وانصرفوا.
وفد النّخع
قالوا: بعث النّخع رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدين بإسلامهم،
وهما أرطأة بن شراحيل بن كعب، من بني حارثة بن سعد بن مالك بن النّخع، والجهيش
واسمه الأرقم، من بني بكر بن عوف من النّخع، فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فعرض عليهما الإسلام فقبلاه وبايعا عن قومهما، فأعجب رسول الله صلى

الله عليه وسلم شأنهما، وحسن هيئتهما؛ فقال: " هل خلّفتما وراء كما من قومكما
مثلكما " ؟ قالا: يا رسول الله، قد خلّفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلا كلهم أفضل منا،
وكلهم يقطع الأمر وينفّذ الأشياء، ما يشاركوننا في الأمر إذا كان، فدعا لهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولقومهما بخير، وقال: " اللهمّ بارك في النّخع ". وعقد لأرطأة لواءً
على قومه، وكان في يده يوم الفتح، فشهد به القادسيّة فقتل يومئذ، فأخذه أخوه دريد فقتل -
رحمهما الله - فأخذه سيف ابن الحارث من بني جذيمة، فدخل به الكوفة.
قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر الأسلميّ، قال: كان آخر من قدم من الوفد على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد النّخع، وقدموا من اليمن للنّصف من المحرم، سنة
إحدى عشرة، وهم مائتا رجل، فنزلوا دار رملة بنت الحارث، ثم جاءوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم مقرّين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن، وكان فيهم زرارة بن
عمرو.
وحكى أبو عمر بن عبد البرفي ترجمة زرارة بن عمرو، والد عمرو بن زرارة، قال: قدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد النّخع، فقال: يا رسول الله، إني رأيت في
طريقي رؤيا هالتني. قال: " وما هي " ؟ قال: رأيت أتانًا خلّفتها في أهلي ولدت جديا
أسفع أحوى، ورأيت نارا خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابنٍ لي - يقال له عمرو -
وهي تقول: لظى لظى، بصيرٌ وأعمى. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أخلّفت في
أهلك أمةً مسرّة ولدا ". قال: نعم. قال: " فإنها قد ولدت غلاما وهو ابنك " قال: فما باله
أسفع أحوى ؟ قال: " ادن منّي، أبك برص تكتمه " ؟ قال: والذي بعثك بالحق، ما علمه
أحدٌ قبلك. قال: " فهو ذاك، وأما النار فإنها فتنة تكون بعدي ". قال: وما الفتنة يا
رسول الله ؟ قال: يقتل الناس إمامهم، يشتجرون اشتجار أطباق الرأس - وخالف بين
أصابعه - دم المؤمن عند المؤمن أحلى من الماء، يحسب المسيء أنه محسن، إن متّ

أدركت ابنك، وإن مات ابنك أدركتك ". قال: فادع الله لي ألاّ تدركني. فدعا له. قال:
وكان قدوم زرارة بن عمرو هذا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في النّصف من شهر
رجب سنة تسع.
وقال الطبري: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد النّخع وهم مائتا رجل،
وفيهم زرارة بن قيس بن الحارث بن عديّ بن الحارث بن عوف بن جشم ابن كعب بن
قيس بن منقذ بن مالك بن النّخع فأسلموا.
بجيلة
قال ابن سعد: قدم جرير بن عبد الله البجليّ سنة عشرٍ المدينة، ومعه من قومه مائة
وخمسون رجلا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يطلع عليكم من هذا الفجّ من
خير ذي يمن على وجهه مسحة ملك " فطلع جرير على راحلته ومعه قومه فأسلموا
وبايعوا. قال جرير: فبسط رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فبايعني، وقال: " على أن
تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، ثم تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر
رمضان، وتنصح للمسلم، وتطيع الوالي وإن كان عبدا حبشيا " فقال: نعم، فبايعه.
وقدم قيس بن أبى غرزة الأحمسيّ - وقيل غرزة بن قيس البجليّ - في مائتين وخمسين
رجلا من أحمس، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أنتم " ؟ فقالوا: نحن
أحمس الله. وكان يقال لهم ذاك في الجاهلية. فقال لهم: " وأنتم اليوم لله ". وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لبلال: " أعط ركب بجيلة وابدأ بالأحمسيّين " ففعل. وسأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم جرير ابن عبد الله " ما فعل ذو الخلصة " ؟ قال: هو على
حاله، قد بقي والله، نريح منه إن شاء الله، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
هدمه، وعقد له لواءً فقال: إني لا أثبت على الخيل فمسح صدره، وقال: " اللهم اجعله
هاديا مهديا " فخرج في قومه وهم زهاء مائتين، فما أطال الغيبة حتى رجع؛ فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم: " هدمته " ؟ قال: نعم، والذي بعثك بالحقّ، وأخذت ما عليه

وأحرقته بالنار، فتركته كما يسوء من يهوى هواه، وما صدّنا عنه أحدٌ. قال فبرّك رسول
الله صلى الله عليه وسلم يومئذ على خيل أحمس ورجالها.
خثعم
قالوا وفد عثعث بن زحر، وأنس بن مدرك، في رجال من خثعم إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد ما هدم جرير بن عبد الله ذا الخلصة، وقتل من قتل من خثعم، فقالوا: آمنا
بالله ورسوله، وما جاء من عند الله، فاكتب لنا كتابا نتبع ما فيه؛ فكتب لهم كتابا شهد
فيه جرير بن عبد الله ومن حضر.
حضرموت
قالوا: قدم وفد حضرموت مع وفد كندة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو
وليعة ملوك حضرموت؛ جمد، ومخوس، ومشرح، وأبضعة، فأسلموا، وقال مخوس: يا رسول
الله، ادع الله أن يذهب عني هذه الرّتّة من لساني. فدعا له، وأطعمه طعمة من صدقة
حضرموت.
وقدم وائل بن حجر الحضرميّ وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: جئت
راغبا في الإسلام والهجرة، فدعا له ومسح رأسه ونودي: " الصلاة جامعة " سرورا بقدوم
وائل بن حجر. وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاوية بن أبي سفيان أن ينزله
بالحرّة، فمشى معه، ووائل راكب، فقال له معاوية: ألق إليّ نعليك أتوقّى بهما الرّمضاء. قال:
لا، إني لم أكن لألبسهما وقد لبستهما. ومن رواية: لا يبلغ أهل اليمن أن سوقة لبس نعل
ملك. قال: فأردفني، قال: لست من أرداف الملوك، قال: إنّ الرمضاء قد أحرقت قدمي،
قال: امش في ظلّ ناقتي، كفاك به شرفا.
ويقال: إن وائل بن حجر هذا وفد بعد ذلك إلى معاوية في خلافته فأكرمه معاوية.
قال: ولما أراد وائل بن حجر الشّخوص إلى بلاده، كتب له رسول الله صلى الله عليه
وسلم كتابا وهو:
" بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي لوائل بن حجر قيل حضرموت، إنك
أسلمت وجعلت لك ما في يدك من الأرضين والحصون، وأن يؤخذ منك من كل عشرة

واحد. ينظر في ذلك ذوو عدل وجعلت لك ألا تظلم فيها ما قام الدّين. والنبي - صلى
الله عليه وسلم - والمؤمنون عليه أنصار ".
قال القاضي عياض بن موسى بن عياض - رحمه الله - وفيه:
" إلى الأقيال العباهلة، والأرواع المشابيب ". وفيه:
" في التّيعة شاةٌ لا مقوّرة الألياط ولاضناكٌ، وأنطوا الثّبجة، وفي السّيوب الخمس ومن زنى
من امبكرٍ فاصقعوه مائةً واستوفضوه عاما، ومن زنى من امثيّب فضرّجوه بالأضاميم، ولا
توصيم في الدّين، ولا عمّة في فرائض الله؛ وكل مسكر حرام، ووائل بن حجر يترفّل على
الأقيال ".
قال محمد بن سعد بسنده إلى أبي عبيدة من ولد عمّار بن ياسر قال: وفد مخوس ابن
معدي كرب بن وليعة فيمن معه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرجوا من
عنده فأصاب مخوس اللّقوة فرجع منهم نفر، فقالوا: يا رسول الله، سيّد العرب ضربته اللّقوة،
فادللنا على دوائه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خذوا مخيطا فأحموه في النار،
ثم اقلبوا شفر عينيه، ففيها شفاؤه، وإليها مصيره، فالله أعلم ما قلتم حين خرجتم من
عندي ". فصنعوه به فبريء.
أزدعمان
قالوا: أسلم أهل عمان، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرميّ
ليعلّمهم شرائع الإسلام، ويصدّق أموالهم، فخرج وفدهم إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فيهم أسد بن بيرح الطاحيّ، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن
يبعث معهم رجلا يقيم أمرهم، فقال مخرمة العبديّ واسمه مدرك بن خوطٍ: ابعثني إليهم
فإن لهم عليّ منّةً؛ أسروني في يوم جنوب فمنّوا عليّ. فوجّهه معهم إلى عمان، وقدم بعدهم
سلمة بن عبّادٍ الأزديّ في ناس من قومه، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يعبد
وما يدعو إليه، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ادع الله أن يجمع كلمتنا
وألفتنا. فدعا لهم، وأسلم سلمة ومن معه.
غافقٍ
وقدم جليحة بن شجّار بن صحار الغافقيّ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم في

رجال من قومه، فقالوا: يا رسول الله، نحن الكواهل من قومنا، وقد أسلمنا وصدقاتنا
محبوسةٌ بأفنيتنا. فقال: " لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم " فقال عوذ بن سرير
الغافقيّ: آمنا بالله واتبعنا رسول الله.
بارق
قالوا: قدم وفد بارقٍ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلموا
وبايعوا، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:
" هذا كتاب من محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لبارق ألا تجذّ ثمارهم، ولا
ترعى بلادهم في مربع ولا مصيفٍ إلا بمسألة من بارق. ومن مرّ بهم من المسلمين في عرك
أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام. وإذا أينعت ثمارهم فلابن السّبيل اللّقاط بوسع بطنه من
غير أن يقيه ". ثم شهد أبو عبيدة بن الجرّاح، وحذيفة بنى اليمان، وكتب أبي بن كعب.
ثمالة والحدّان
قالوا: قدم عبد الله بن غلس الثّماليّ ومسلمة بن هاران الحدّاني على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في رهط من قومهما بعد فتح مكة، فأسلموا وبايعوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم على قومهم، وكنتب لهم كتابا بما فرض عليهم من الصدقة في أموالهم، كتبه ثابت بن
قيس بن شمّاس، وشهد فيه سعد بن عبادة ومحمد ابن مسلمة.
مهرة
قالوا: قدم وفد مهرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، عليهم مهريّ بن الأبيض،
فعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلموا، وكتب لهم:
" بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لمهريّ بن الأبيض على من
آمن به من مهرة ألاّ يؤكلوا ولا يعركوا. وعليهم إقامة شعائر الإسلام، فمن بدّل فقد حارب،
ومن آمن به فله ذمّة الله وذمّة رسوله. الّقطة مؤدّاة، والسّارحة مندّاة، والتّفث السّيّئة،
والرّفث الفسوق ".
وكتب محمد بن مسلمة الأنصاري.
قالوا: ووفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من مهرة، يقال له زهير ابن قرضم
بن الجعيل من الشّحر، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنيه لبعد مسافته، فلما

أراد الانصراف بتّته، وحمله، وكتب له كتابا.
حمير
قالوا: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن مرارة الرّهاوي، رسول ملوك
حمير بكتابهم وإسلامهم، وذلك في شهر رمضان سنة تسع عند مقدمه من تبوك، وهم:
الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنّعمان قيل ذي رعين، ومعافر، وهمدان.
قال ابن إسحق: وبعث إليه زرعة ذو يزنٍ مالك بن مرّة الرّهاويّ فكتب إليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم:
" بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال وإلى نعيم بن
عبد كلال، وإلى النعمان قيل ذي رعينٍ ومعافر وهمدان - أما بعد ذلكم - فإني أحمد الله
إليكم الذي لا إله إلا هو - أما بعد - فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم،
فلقينا بالمدينة، فبلّغ ما أرسلتم به، وخبّر ما قبلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين،
وأنّ الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة وآتيتم الوكاة
وأعطيتم من المغانم خمس الله، وسهم النبيّ وصفيّه، وما كتب على المؤمنين من الصّدقة،
من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر، و إن
في الإبل الأربعين ابنة لبون، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر، وفي كل خمس من الإبل شاة،
وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع
جذع أو جذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاةٌ، وأنّها فريضة الله التي فرض
على المؤمنين في الصّدقة، فمن زاد خيرا فهو خير له، ومن أدّى ذلك، وأشهد على إسلامه،
وظاهر المؤمنين على المشركين، فهو من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم وله ذمّة الله
وذمّة رسوله، وإنّه من أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ فإنّه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما
عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يردّ عنها، وعليه الجزية على كل حالمٍ ذكرٍ
أو أنثى، حرٍّ أو عبدٍ دينارٌ وافٍ، من قيمة المعافر أو عوضه ثيابًا، فمن أدّى ذلك إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله، ومن منعه فإنه عدوّ لله
ولرسوله صلى الله عليه وسلم.
أما بعد - فإن رسول الله محمدًا النبيّ أرسل إلى زرعة ذي يزن أن إذا أتاكم رسلي
فأوصيكم بهم خيرا: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة ابن نمر،
ومالك بن مرّة، وأصحابهم، وأن اجمعوا له ما عندكم من الصّدقة، والجزية من مخالفيكم،
وأبلغوها رسلي، وأنّ أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبنّ إلا راضيا.
أما بعد - فإن محمدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنّه عبده ورسوله، ثم إن مالك ابن مرّة
الرّهاويّ قد حدّثني أنك أسلمت من أوّل حمير وقتلت المشركين، فأبشر بخير، وآمرك بحمير
خيرا، ولا تخونوا ولا تخاذلوا، فإنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو مولى غنيّكم
وفقيركم، وأنّ الصّدقة لا تحل لمحمدٍ ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يزكّى بها على فقراء
المسلمين وابن السبيل، وأن مالكا قد بلّغ الخبر، وحفظ الغيب وآمركم به خيرا، وأنّي
أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم، وآمركم بهم خيرا، فإنهم
منظور إليهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ".

جيشان

قال محمد بن سعد: قدم أبو وهب الجّيشانيّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر
من قومه، فسألوه عن أشربة تكون باليمن، فسمّوا له البتع من العسل، والمزر من الشّعير،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هل تسكرون منهما "
قالوا: إن أكثرنا سكرنا،
قال: " فحرامٌ قليل ما أسكر كثيره "، وسألوه عن الرجل يتخذ الشراب فيسقيه عمّا له،
فقال: " كلّ مسكرٍ حرام ".

سلول

قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النّمريّ رحمه الله:
قدم قردة بن نفاثة
السّلوليّ، من بني عمرو بن مرّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جماعة من بني سلولٍ، فأمّره عليهم بعد ما أسلم وأسلموا؛ فأنشأ
يقول:

بان الشّباب فلم أحفل به بالا وأقبل الشّيب والإسلام إقبالا

وقد أروّي نديمي من مشعشعة وقد أقلّب أوراكًا وأكفالا
الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا
قال وقد قيل: إن البيت الثالث للبيد، قال أبو عبيدة: لم يقل لبيد في الإسلام غيره، وكان
قد عمّر مائة وخمسين سنة.
قال أبو عمر: وقردة هذا هو الذي يقول:
أصبحت شيخًا أرى الشّخصين أربعةً والشّخص شخصين لمّا مسّني الكبر
لا أسمع الصّوت حتّى أستدير له وحال بالسّمع دوني المنظر القصر
وكنت أمشي على السّاقين معتدلاً فصرت أمشي على ما تنبت الشّجر
إذا أقوم عجنت الأرض متّكأً على البراجم حتّى يدهب النّفر نجران
وسؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم،وما أنزل الله عزّ وجلّ فيهم من القرآن
قال محمد بن إسحق: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران
ستّون راكبا، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وهم: العاقب عبد المسيح، والسيّد
وهو الأيهم، وأبو حارثة ابن علقمة، وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، ونبيه وخويلد،
وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويحنّس. ومن هؤلاء الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم،
وهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه،
واسمه عبد المسيح.
قال محمد بن سعد: هو رجل من كندة والسيّد ثمالهم، وصاحب رحلهم ومجتمعهم،
واسمه الأيهم، وأبو حارثة ابن علقمة أحد بكر بن وائل أسقفهم وحبرهم وإمامهم،
وصاحب مدراسهم.
قال ابن سعد: وكان من الأربعة عشر كوز وهو أخو الحارث بن علقمة، وأوس أخو
السيّد.
قال: فتقدمهم كوز وهو يقول:
إليك تعدو قلقًا وضينها معترضًا في بطنها جنينها
مخالفًا دين النّصارى دينها
وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قدم الوفد بعده، فدخلوا عليه المسجد، عليهم

ثياب الحبرة وأرديةٌ مكفوفة بالحرير، فقاموا يصلّون في
المسجد نحو الشّرق، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: " دعوهم "، ثم أتوا النبيّ صلى الله عليه
وسلم، فأعرض عنهم ولم
يكلّمهم، فقال لهم عثمان: ذلك من أجل زيّكم هذا، فانصرفوا
يومهم ذلك، ثم غدوا عليه،
بزيّ الرّهبان فسلّموا عليه فردّ عليهم.
قال محمد بن إسحق: وكان أبو حارثة قد شرف فيهم، ودرس
كتبهم، حتى حسن علمه
في دينهم، فكانت ملوك الرّوم من أهل النّصرانية قد شرّفوه
وموّلوه وأخدموه، وبنوا له
الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات؛ لما يبلغهم عنه من علمه
واجتهاده في دينهم، فلما
وجّهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران، جلس
أبو حارثة على بغلة له، وإلى
جنبه أخوه كوز، - ويقال فيه كرز - فعثرت بغلة أبي حارثة، فقال
كوز: تعس الأبعد، يريد
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له أبو حارثة: بل أنت
تعست. فقال: ولم يا أخي ؟
قال: والله إنّه للنبيّ الذي كنا ننتظره. فقال له كوز: فما يمنعك
منه وأنت تعلم هذا ؟ قال:
ما صنع بنا هؤلاء القوم؛ شرّفونا وموّلونا وأكرمونا، وقد أبوا إلاّ
خلافه، فلو فعلت نزعوا منا
كل ما ترى. فأضمر عليها منه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد
ذلك، فكان يحدّث عنه هذا
الحديث.
قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: وبلغني أنّ رؤساء نجران
كانوا يتوارثون كتبًا عندهم،
فكلما مات رئيس منهم وأفضت الرياسة إلى غيره، ختم على
تلك الكتب خاتما مع الخواتم
التي قبله ولم يكسرها، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي
صلى الله عليه وسلم
يمشي فعثر، فقال ابنه: تعس الأبعد - يريد النبيّ صلى الله عليه
وسلم - فقال له أبوه: لا
تفعل فإنه نبيّ واسمه في الوضائع - يعني الكتب - فلما مات لم
يكن لابنه همّة إلا أن كسر
الخواتم، فوجد في الكتب ذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم،
فأسلم وحسن إسلامه فحجّ،
وهو الذي يقول:
إليك تعدو قلقًا وضينها
قال ابن إسحق: ولما قدموا صلّوا في المسجد نحوالشّرق، وكلّم
رسول الله صلى الله عليه

وسلم منهم الثلاثة نفر: العاقب، والسيّد، وأبو حارثة، وهم من النصرانية على دين الملك،
مع اختلاف من أمرهم، يقولون في المسيح: هو الله، ويقولون: هو ابن الله، ويقولون: هو ثالث
ثلاثة، فهم يحتجّون في قولهم: هو الله بأنه كان يحيي الموتى، ويبرئ من الأسقام، ويخبر
بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرا، ويحتجون في قولهم أنه ابن
الله بأنهم يقولون: لم يكن له أبٌ يعلم، وقد تكلم في المهد، وهذا شيء لم يصنعه أحد من
ولد آدم قبله. ويحتجون في قولهم أنه ثالث ثلاثة، بقول الله فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا،
فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلا فعلت وقضيت وأمرت وخلقت، ولكنه هو، وعيسى،
ومريم.
قال: فلما كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحبران قال لهما " أسلما "، قالا: قد
أسلمنا قبلك. قال: " كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعا كما لله ولدًا، وعبادتكما
الصّليب، وأكلكما الخنزير " قالا: فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم يجبهما، فأنزل الله تعالى عليه في اختلاف أمرهم كلّه صدر سورة آل عمران، إلى
بضع وثمانين آية منها.
فقال تعالى: " آلم. الله لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم " قال افتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا
وتوحيده، ليس معه شريك في أمره: " الحيّ " أي الذي لا يموت، وقد مات عيسى وصلب
في قولكم. القيّوم " القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول، وقد زال عيسى. ثم
قال تعالى: " نزل عليك الكتالب بالحقّ " أي بالصدق فيما اختلفوا فيه " وأنزل التّوارة
والإنجيل. من قبل هدًى للنّاس وأنزل الفرقان " أي الفصل بين الحقّ والباطل فيما اختلف
فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره، ثم قال: " إنّ الّذين كفروا بآيات الله لهم عذابٌ شديدٌ
والله عزيزٌ ذو انتقام " أي أنّ الله منتقم ممن كفر بآياته بعد علمه بها ومعرفته. " إنّ الله لا
يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السّماء " أي قد علم ما يريدون وما يكيدون وما
يضاهون بقولهم في عيسى؛ إذ جعلوه إلها وعندهم من علمه غير ذلك. " هو الّذي

يصوّركم في الأرحام كيف يشاء " أي قد كان عيسى ممن صوّر في الأرحام لا يدفعون ذلك
ولا ينكرونه، كما صوّر غيره من ولد آدم، فكيف يكون إلها وقد كان بذلك المنزل.
ثم قال تعالى تنزيها لنفسه وتوحيدا لها: " لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم " أي " العزيز " في
انتصاره ممّن كفر به إذا شاء الحكيم في حجته وعذره إلى عباده.
ثم قال: " هو الّذي أنزل
عليك الكتاب منه آياتٌ محكماتٌ هنّ أمّ الكتاب " أي فيهنّ حجة الربّ وعصمة العباد،
ودفع الخصوم والباطل، ليس لهنّ تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه. " وأخر
متشابهاتٌ " أي لهنّ تصريف وتأويل، ابتلى الله فيهنّ العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام،
ألا يصرفن إلى الباطل ولا يحرّفن عن الحق.
قال الله تعالى: " فأمّا الذين في قلوبهم زيغٌ " أي ميلٌ من الهدى. " فيتّبعون ما تشابه منه "
أي ما تصرّف منه؛ ليصدّقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا لتكون لهم حجّة وشبهة على ما
قالوا. " ابتغاء الفتنة " أي الّلبس " وابتغاء تأويله " أي تأويل ذلك على ما ركبوا من
الضلالة في قولهم: خلقنا وقضينا. يقول تعالى: " وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم
يقولون آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا " فكيف يختلف وهو قولٌ واحدٌ، من ربٍّ واحد، يقول: "
وما يذّكر إلاّ أولوا الألباب " أي في مثل هذا.
ثم قال تعالى: " ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنّك أنت
الوهّاب ". ثم قال تعالى: " شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم" يشهدون
بذلك. قائمًا بالقسط " أي بالعدل " لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم.
إنّ الدّين عند الله الإسلام
" أي ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للربّ والتصديق للرسل.
قال تعالى: " وما اختلف
الّذين أوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم " أي العلم الذي جاءك أنّ الله
الواحد الذي ليس له شريك. ثم قال: " ومن يكفر بآيات الله فإنّ الله سريع الحساب " يقول
تعالى: " فإن حاجّوك " أي فيما يأتون به من الباطل من قولهم: خلقنا وفعلنا وأمرنا، فإنما
هي شبهة باطلٍ قد عرفوا ما فيها من الحقّ " فقل أسلمت وجهي لله ومن اتّبعن وقل للّذين

أوتوا الكتاب والأمّيّين " أي الذين لا كتاب لهم " أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولّوا
فإنّما عليك البلاغ والله بصيرٌ بالعباد ".
ثم جمع تعالى أهل الكتابين من اليهود والنصارى فيما أحدثوا وابتدعوا، فقال: " إنّ الّذين
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيّين بغير حقٍّ ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من النّاس
فبشّرهم بعذابٍ أليم " إلى قوله " قل الّلهمّ مالك الملك " أي ربّ العباد والملك الذي لا
يقضي فيهم غيره. " تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من
تشاء بيدك الخير إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ " أي لايقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك
" تولج الّليل في النّهار وتولج النّهار في الّليل وتخرج الحيّ من الميّت وتخرج الميّت من الحيّ "
أي بتلك القدرة. " وترزق من تشاء بغير حسابٍ " أي لا يقدر على ذلك غيرك ولا يصنعه
إلاّ أنت، أي إن كنت سلّطت عيسى على الأشياء التي بها يزعمون أنه إلهٌ، من إحياء
الموتى، وإبراء الأسقام، والخلق من الطّين، والإخبار عن الغيوب، لأجعله به آيةً للناس،
وتصديقًا له في نبوّته التي بعثته بها إلى قومه، فإن من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه؛ من إيلاج
الليل في النهار والنهار في الليل، وإخراج الحيّ من الميّت، وإخراج الميت من الحيّ؛ ورزق
من شئت من برٍّ أو فاجرٍ بغير حساب، فكلّ ذلك لم أسلّط عيسى عليه، ولم أملّكه إياه،
أفلم يكن لهم في ذلك عبرة وبينة ! أن لو كان إلها لكان ذلك كلّه إليه، وهو في قولهم يهرب
من الملوك ويتنقل منهم في البلاد، من بلد إلى بلد.
ثم وعظ المؤمنين وحذّرهم فقال تعالى: " قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم " أي ما مضى من كفركم " والله غفورٌ رحيمٌ.
قل أطيعوا الله والرّسول
فإن تولّوا فإنّ الله لا يحبّ الكافرين " يقول: أطيعوا الله والرسول فأنتم تعرفونه وتجدونه في
كتابكم، " فإن تولّوا " أي على كفرهم.
ثم استقبل أمر عيسى عليه السلام، وكيف كان بدء ما أراد الله تعالى به فقال: " إنّ الله
اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرّيةً بعضها من بعضٍ والله سميعٌ

عليمُ ". ثم ذكر أمر امرأة عمران فقال: " إذا قالت امرأة عمران ربّ إنّي نذرت لك ما في
بطني محرّرًا " أي جعلته عتيقا يعبد الله عزّ وجل، لا ينتفع به لشيء من الدنيا " فتنقبّل
منّي إنّك أنت السّميع العليم. فلمّا وضعتها قالت ربّ إنّي وضعتها أنثى والله أعلم بما
وضعت وليس الذّكر كالأنثى " أي ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها محرّرًا لك نذيرة " وإنّي
سمّيتها مريم وإنّي أعيذها بك وذرّيّتها من الشيطان الرّجيم ".
يقول الله تعالى: فتقبّلها ربّها بقبولٍ حسنٍ وأنبتها نباتًا حسنًا وكفّلها زكريّا " أي كفلها بعد أبيها وأمها؛ يذكرها باليتم، ثم
قصّ خبرها وخبر زكريا، وما دعا به وما أعطاه، إذ وهب له يحيى، ثم ذكر مريم، وقول
الملائكة لها، فقال تعالى: " وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك
على نساء العالمين " قال الثعلبيّ: القائل من الملائكة جبريل وحده، " اصطفاك " بولادة
عيسى عليه السلام من غير أبٍ،" وطهّرك " من مسيس الرجال. وقيل: كانت مريم عليها
السلام لا تحيض و " اصطفاك " بالتحرير في المسجد " على نساء العالمين " قال: على
عالمي زمانها، ولم تحرّر أنثى غيرها. " يا مريم اقتني لربّك واسجدي واركعي مع الرّاكعين "
قال الثعلبي: قوله " اقنتي " أطيعي وأطيلي الصلاة لربك، قال: كلّمتها الملائكة شفاهًا. قال
الأوزاعيّ: لما قالت لها الملائكة ذلك، قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها وسالتا دمًا
وقيحا.
ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: " ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت
لديهم إذ يلقون أقلامهم أيّهم يكفل مريم " قال ابن إسحق: كفلها هاهنا جريج الراهب رجلٌ
من بني إسرائيل نجّار، خرج السّهم عليه فحملها، وكان زكريّا قد كفلها قبل ذلك، فأصابت
بني إسرائيل أزمةٌ شديدة، فعجز زكريا عن حملها، فاستهموا عليها، فخرج السّهم على
جريج الراهب فكفلها، يقول تعالى: " وما كنت لديهم إذ يختصمون " أي ما كنت معهم إذ
يختصمون في كفالتها، فخبّره تعالى بخفيّ ما كتموا منه من العلم عندهم؛ لتحقيق نبوّته،
والحجة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه.

ثم قال تعالى: إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشّرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى بن
مريم " أي هكذا كان أمره، لا كما يقولون فيه. " وجيهًا في الدّنيا والآخرة ومن المقرّبين " "
وجيهًا " أي شريفا ذا جاه وقدر " ومن المقربين " عند الله "
ويكلّم النّاس في المهد وكهلاً
ومن الصّالحين " يخبرهم بحالاته التي يتقلب فيها في عمره؛ كتقلب بني آدم في أعمارهم
صغارا وكبارا، إلاّ أنّ الله تعالى خصّه بالكلام في مهده آيةً لنبوّته وتنزيهًا لأمّه. وقوله: "
وكهلاً " قال مقاتل: إذا اجتمع قبل أن يرفع إلى السماء. وقال الحسين بن الفضل: " كهلاً "
بعد نزوله من السماء. وقال ابن كيسان: أخبرها أن يبقى حتى يكتهل. وقيل: يكلّم الناس
في المهد صبيًّا وكهلا؛ بشّرها بنبوّته، فلأمه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة. وقال
مجاهد: " وكهلاً " أي حليما.
قال تعالى إخبارا عن مريم: " قالت ربّ أنّى يكون لي ولدٌ ولم يمسسني بشرٌ قال كذلك الله
يخلق ما يشاء إذا قضى أمرًا فإنّما يقول له كن فيكون " ثم أخبرها بما يريد به فقال تعالى: "
ويعلّمه الكتاب والحكمة والتّوارة والإنجيل " قوله " الكتاب " أي الكتابة والخطّ. و"
الحكمة والتّوراة " التي كانت فيهم من عهد موسى قبله " والإنجيل " كتابا آخر أنزله الله
إليه، لم يكن عندهم إلاّ ذكره أنه كائن. يقول تعالى: " ورسولاً إلى بني إسرائيل أنّي قد
جئتكم بآيةٍ من ربّكم " أي يحقّق فيها نبوّتي أنّى رسول منه إليكم. " أنّي أخلق لكم من
الطّين كهيئة الطّير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله " قال الثعلبيّ: قراءة العامة بالجمع؛ لأنه
خلق طيرا كثيرة، وقرّاء أهل المدينة " طائراً " ذهبوا إلى أنه نوع واحد من الطّير، لأنه لم
يخلق غير الخفّاش، قال: وإنما خصّ الخفّاش لأنه أكمل الطير خلقاً، ليكون أبلغ في القدرة؛
لأن لها ثديا وأسنانا وهي تحيض وتطير، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه،
فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا، ليتميز فعل الخلق من فعل الله عزّ وجل؛ وليعلم أن
الكمال لله. " وأبرئ الأكمه والأبرص " " الأكمه " الذي يولد أعمى وجمعه كمه. وقيل: هو
الأعمى وهو المعروف من كلام العرب؛ قال سويد بن أبي كاهل:

كمهت عيناه حتى ابيضّتا فهو يلحى نفسه حتي نزع
والأبرض الذي فيه وضحٌ، قال: وإنما خصّ هذين، لأنهما عياءان وكان الغالب على زمن
عيسى عليه السلام الطّبّ؛ فأراهم الله تعالى المعجزة من جنس ذلك.
قال وهب: ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفا،
من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يطق أتاه عيسى عليه السلام، وإنما كان يداويهم
بالدعاء، على شرط الإيمان. " وأحيي الموتى بإذن الله " قال الثعلبيّ: أحيا أربعة أنفس
العازر وكان صديقا له، فأرسلت أخته إلى عيسى: إنّ أخاك العازر يموت فأته، وكان بينه
وبينه مسيرة ثلاثة أيام، فأتاه هو وأصحابه، فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته:
انطلقي بنا إلى قبره. فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة، فقال عيسى عليه
السلام: " اللّهمّ ربّ السموات السّبع، إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك،
وأخبرني أني أحيي الموتى بإذنك، فأحي العازر "، قال: فقام عازر وودكه يقطر، فخرج من
قبره وبقي وولد له. وأحيا ابن العجوز، مرّ به ميتا على عيسى عليه السلام، وهو يحمل
على سرير، فدعا الله تعالى عيسى، فجلس على سريره، ونزل عن أعناق الرجال، ولبس
ثيابه، وحمل السّرير على عنقه، ورجع إلى أهله، فبقي وولد له، وابنة العاشر قيل له:
أتحييها وقد ماتت بالأمس ؟ فدعا الله عزّ وجلّ فعاشت وبقيت وولدت، وسام بن نوح
عليهما السلام، ودعا الله باسم الله الأعظم، فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه، فقال:
قد قامت القيامة ؟ قال: لا، ولكنّي دعوتك باسم الله الأعظم، ثم قال له: مت، قال:
بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت، فدعا الله سبحانه ففعل.
قال الكلبيّ: كان يحيي الأموات بيا حيّ يا قيّوم.
قال تعالى: " وأنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم إنّ في ذلك لآيةً لكم إن كنتم
مؤمنين " أي آية لكم أني رسولٌ من الله إليكم.
يقول تعالى: " ومصدّقًا لما بين يديّ من التّوراة " أي لما سبقني منها. " ولأحلّ لكم بعض

الّذي حرّم عليكم " أي أخبركم أنه كان عليكم حراما فتركتموه، ثم أحلّه لكم تخفيفاً
عنكم فتصيبون يسره وتخرجون من تباعته.
يقول تعالى: " وجئتكم بأيةٍ من ربّكم فاتّقوا الله وأطيعون. إنّ الله ربّي وربّكم فاعبدوه
هذا صراطٌ مستقيمٌ " أي هذا الهدى قد حملتكم عليه وجئتكم به.
يقول تعالى: " فلمّا
أحسّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريّون نحن أنصار الله آمنّا بالله
وأشهد بأنّا مسلمون. ربّنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرّسول فاكتبنا مع الشّاهدين " أي هكذا
كان قولهم وإيمانهم، لا كما يقول هؤلاء الذين يحاجّونك، ثم ذكر تعالى رفعه عيسى إليه حين
اجتمعوا لقتله، فقال " ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين " قال أهل المعاني: المكر
السّعي بالفساد في ستر ومداجاة. وقال الفرّاء: المكر من المخلوقين الحبّ والخديعة والحيلة،
وهو من الله استدراجه العباد. ثم أخبرهم تعالى، وردّ عليهم فيما أقرّوا به لليهود من
صلبه، وأنّ الله عصمه منهم، ورفعه إليه، فقال تعالى: " إذ قال الله يا عيسى إنّي متوفّيك
ورافعك إليّ ومطهّرك من الّذين كفروا وجاعل الّذين اتّبعوك فوق الّذين كفروا إلى يوم القيامة
ثمّ إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون. فأمّا الّذين كفروا فأعذّبهم عذابًا
شديدًا في الدّنيا والآخرة وما لهم من ناصرين. وأمّا الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات فنوفّيهم
أجورهم والله لا يحبّ الظّالمين. ذلك نتلوه عليك من الآيات والذّكر الحكيم " قال الثعلبيّ:
اختلفوا في معنى التوفي هاهنا؛ فقال كعب والحسن والكلبيّ ومطر الورّاق ومحمد بن جعفر
بن الزبير وابن جريح وابن زيد: معناه إني قابضك ورافعك من الدنيا إليّ من غير موت.
قال: وعلى هذا القول تأويلان: أحدهما - إني رافعك إليّ وافيا لم ينالوا منك شيئا؛ من
قولهم توفّيت هذا، واستوفيته أي أخذته تامًّا.
والآخر - إني مسلّمك؛ من قولهم توفّيت منه كذا أي تسلّمته.
وقال الربيع بن أنس: معناه
إني منيمك ورافعك إليّ في نومك؛ ويدل عليه قوله تعالى: " وهو الّذي يتوفّاكم باللّيل " أي
ينيمكم؛ لأنّ النوم أخو الموت. وقوله تعالى: " الله يتوفّى الأنفس " الآية. وعن ابن عباس

رضي الله عنهما قال: إني مميتك، ويدل عليه قوله تعالى: " قل يتوفّاكم ملك الموت " وقوله: "
أو نتوفّينك " قال: وله على هذا القول تأويلان: أحدهما - ما قال وهب: توفّى الله تعالى
عيسى عليه السلام ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه إليه. وقال ابن إسحق: النصارى
يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه ورفعه. والآخر - ما قال
الضحاك وجماعة من أهل المعاني: إنّ في الكلام تقديما وتأخيرا، معناه إنّي رافعك إليّ
ومطهّرك من الذين كفروا، ومتوفّيك بعد أن أنزلك من السماء. وقال أبو بكر بن محمد بن
موسى الواسطيّ: معناه " إنّي متوفّيك " عن شهواتك وحظوظ نفسك. قال: وذلك أنه لمّا
رفع إلى السماء صار حاله حال الملائكة. وقوله: " ورافعك إليّ " قال البنانيّ والشّيبانيّ:
كان عيسى عليه السلام على طور زيتا فهبّت ريحٌ، فهرول عيسى، فرفعه الله عزّ وجلّ في
هرولته، وعليه مدرعة من شعر. وقيل: معناه ورافعك بالدرجة في الجنة، ومقرّبك إليّ
بالإكرام.
وقوله: " ومطهّرك من الّذين كفروا " أي مخرجك من بينهم ومنجيك منهم. وقوله: "
وجاعل الّذين اتّبعوك فوق الّذين كفروا إلى يوم القيامة " قال قتادة والربيع والشّعبيّ ومقاتل
والكلبيّ: هم أهل الإسلام الذين اتبعوا دينه وسنّته من أمّة محمد صلى الله علسه وسلم،
فوالله ما اتبعه من دعاه ربًّا. " فوق الّذين كفروا " ظاهرين قاهرين بالعزّ والمنعة والدليل
والحجّة. وقال الضحاك وعليّ ومحمد بن أبان: يعني الحواريين فوق الذين كفروا. وقيل: هم
الرّوم. وقال ابن زيد: وجاعل النصارى فوق اليهود، فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا
وهم فوق اليهود، واليهود مستذلّون مقهورون. قال: وعلى هذين القولين يكون معنى الاتباع:
الادّعاء والمحبة لا اتباع الدّين والملّة. " ثمّ إليّ مرجعكم " أي في الآخرة. " فأحكم بينكم
فيما كنتم فيه تختلفون " أي من الدّين وأمر عيسى.
قوله: " فأمّا الّذين كفروا فأعذّبهم عذابًا شديدًا في الدّنيا " بالقتل والسّبي والجزية والذّلّة. "
والآخرة " بالنار. " وما لهم من ناصرين ". قوله: " وأمّا الّذين آمنوا " الآية ظاهرة المعنى.

قوله: ذلك نتلوه عليك من الآيات والذّكر الحكيم " أي هذا الذي ذكرته لك، قال النبيّ صلى
الله عليه وسلم: " هو القرآن ". وقيل: هو اللّوح المحفوظ، وهو معلّق بالعرش، من درّة
بيضاء، و " الحكيم " هو المحكم من الباطل؛ قاله مقاتل. وقال ابن إسحق: أي القاطع
الفاصل، الحقّ الذي لا يخالطه الباطل، من الخبر عن عيسى، وعما اختلفوا فيه من أمره،
فلا تقبلنّ خبرا غيره. فقال: " إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من ترابٍ ثمّ قال له
كن فيكون. الحقّ من ربّك فلا تكن من الممترين " أي قد جاءك الحقّ فلا تمترينّ فيه، وإن
قالوا خلق عيسى من غير ذكر، فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا
ذكر؛ فكان لحمًا ودمًا وعظمًا وشعرًا وبشرًا، كما كان عيسى، فليس خلق عيسى من
غير ذكر بأعجب من هذا.
ثم قال تعالى: " فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم " أي من بعد ما قصصت
عليك من خبره " فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ
نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين " قوله: " نبتهل " أي نتضرع في الدعاء. وقيل: نخلص
في الدعاء. وقيل: نجتهد ونبالغ فنقول لعن الله الكاذب منّا ومنكم. قال ابن إسحاق: " إنّ
هذا " الذي جئت به من الخبر عن عيسى " لهو القصص الحقّ " من أمره. " وما من إلهٍ
إلاّ الله وإنّ الله لهو العزيز الحكيم. فإن تولّوا " أي إن أعرضوا عن الإيمان " فإنّ الله عليمٌ
بالمفسدين " أي الذين يعبدون غير الله تعالى، ويدعون الناس إلى عبادة غير الله.
ثم قال تعالى: " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا
نشرك به شيئًا ولا يتّخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا
مسلمون " فدعاهم إلى النّصف، وقطع عنهم الحجّة، قال فلما أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الخبر من الله عزّ وجلّ عن عيسى، والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأمره بما
أمره به من ملاعنتهم إن ردّوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك؛ فقالوا، يا أبا القاسم، دعنا ننظر

في أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه،
فانصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب،
فقالوا: يا عبد المسيح، ما ترى ؟ فقال: والله يا معشر النّصارى
لقد عرفتم أنّ محمدًا لنبيٌّ
مرسلٌ، لقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم ما لا
عن قومٌ نبيًّا قطّ فبقي
كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وأنه الاستئصال منكم لو فعلتم، فإن
كنتم قد أبيتم إلا إلف
دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم
فوادعوا الرجل، ثم انصرفوا إلى
بلادكم. فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا
القاسم، قد رأينا ألاّ نلاعنك،
وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلا
من أصحابك، ترضاه
لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا، فإنكم عندنا
رضًا.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ائتوني العشيّة أبعث
معكم القويّ الأمين " فكان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ما أحببت الإمارة قطّ
حبّي إياها يومئذ رجاء أن
أكون صاحبها، فخرجت إلى الظّهر مهجّرا، فلمّا صلّى بنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
الظهر، سلّم ثم نظر عن يمينه ويساره، فجعلت أتطاول له
ليراني، فلم يزل يلتمس ببصره
حتى رأى أبا عبيدة بن الجرّاح فدعاه له، وذلك قبل الهجرة.
فقال: " اخرج فاقض بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه " قال عمر:
فذهب بها أبو عبيدة.
وهذا ما رواه ابن هشام عن ابن إسحق.
وقال محمد بن سعد في طبقاته: إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما عرض عليهم
المباهلة انصرفوا عنه، ثم أتاه عبد المسيح ورجلان من ذوي
رأيهم، فقال: قد بدا لنا ألا
نباهلك، فاحكم علينا بما أحببت نعطك ونصالحك. فصالحهم
على ألفي حلّة: ألف في
شهر رجب، وألف في صفر، أو قيمة كل حلّة من الأواقي، وعلى
عارية ثلاثين درعًا،
وثلاثين رمحًا وثلاثين بعيرًا، وثلاثين فرسًا: إن كان باليمن كيد.
ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبيّ رسول الله،
على أنفسهم وملّتهم وأرضهم
وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم، لا يغيّر أسقفٌ من
سقّيفاه، ولا راهب من رهبانيّته،

ولا واقفٌ من وقفانيّته، وفي بعض الروايات لا يغيّر وافهٌ من وفهيّته، ولا قسيس من
قسّيسيّته، والوافه: قيّم الكنيسة.
قال: وأشهد على ذلك شهودا. منهم أبو سفيان بن حرب، والأقرع بن حابس والمغيرة بن
شعبة، ورجعوا إلى بلادهم، فلم يلبث السيّد والعاقب إلاّ يسيرًا حتى رجعا إلى النبيّ
صلى الله عليه وسلم، فأسلما وأنزلهما في دار أبي أيوب الأنصاريّ، وأقام أهل نجران على
ما كتب لهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله تعالى. ثم ولي أبو بكر
فكتب بالوصاة بهم عند وفاته، ثم أصابوا ربًا فأخرجهم عمر بن الخطاب من أرضهم،
وكتب لهم:
" هذا ما كتب عمر أمير المؤمنين لنجران. من سار منهم إنه آمنٌ بأمان الله، لا يضرّهم
أحدٌ من المسلمين، وفاءً لهم بما كتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر - أما
بعد - فمن وقعوا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من جريب الأرض، ما
اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة، وعقبة لهم بمكان أرضهم، لا سبيل عليهم فيه لأحدٍ ولا
مغرم - أمّا بعد - فمن حضرهم بمن رجلٍ مسلم فلينصرهم على من ظلمهم، فإنهم أقوام
لهم الذّمّة. وجزيتهم عنهم متروكة أربعةً وعشرين شهراً بعد ان يقدموا، ولا يكلّفوا إلاّ من
ضيعتهم، غير مظلومين، ولا معنوف عليهم.
شهد عثمان بن عفان ومعيقيب بن أبي فاطمة.
قال: فوقع ناسٌ منهم بالعراق، فنزلوا النّجرانيّة التي هي ناحية الكوفة.
وحيث ذكرنا وفادات العرب، فلا بأس أن نصل هذا الفصل بما يناسبه من خبر الجنّ في
إسلامها، ونلحق ذلك بما يتعلق به من إخبار الجنّ أصحابهم بأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم، ومن أسلم بسبب ذلك، فإنا عند ذكرنا للمبشّرات برسول الله صلى الله عليه
وسلم، ذكرنا من ذلك طرفا، وأخرنا بقيته لنذكره في هذا الفصل، ونبهنا عليه هناك.
خبر إسلام الجن
ودعائهم قومهم إلى الإيمان عند سماعهم القرآن
قال تعالى: "وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما

قضى ولوا إلى قومهم منذرين. قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما
بين يديه إلى الحق وإلى طريقٍ مستقيم. يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من
ذنوبكم ويجركم من عذابٍ أليم. ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجزٍ في الأرض وليس له
من دونه أولياء أولئك في ضلالٍ مبين ".
وكان من خبر الجن ما روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: انطلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين
الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين، قفالوا: مالكم ؟
فقالوا: قد حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين
خبر السماء إلا ما قد حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر
الذي قد حدث، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها، ينظرون ما هذا الأمر الذي
حال بينهم وبين خبرالسماء، وانطلق الذين توجهوا إلى نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر، فلما
سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبرالسماء. فهنالك رجعوا
إلى قومهم " فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا
". وأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم: " قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن
" وإنما أوحي إليه قول الجن، روا البخاري في صحيحه عن موسى بن إسماعيل، عن أبي
عوانة، عن أبي بشر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.
وذهب محمد بن سعد إلى أن استماع الجن كان بنخلة، عند عود رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الطائف، لما توجه يدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا له، وذلك قبل
الهجرة.
وقال الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتابه المترجم " بدلائل النبوة " ومعرفة
أحوال صاحب الشريعة " بعد أن ساق حديث البخاري قال: وهذا الذي حكاه عبد الله

بن عباس إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، وعلمت بحاله،
وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه، ثم أتاه داعي الجن مرةً أخرى، فذهب
معه، وقرأ عليهم القرآن، كما حكاه عبد الله بن مسعود.
وقد روى البيهقي بسنده إلى عبد الله بن مسعود خبر الجن في القصتين: أما الأولى فإنه
قال: هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا:
أنصتوا - قالوا صه - وكانوا سبعة، أحدهم زوبعة، فأنزل الله تعالى: " وإذ صرفنا إليك
نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا " إلى قوله " أولئك في ضلالٍ مبينٍ
". وعن ابن مسعود أن النبيّ صلى الله عليه وسلم آذنته بالجن شجرةٌ، رواه البخاري
ومسلم في الصحيحين.
وأما القصة الثانية، فرواها عن الشّعبيّ عن علقمة قال: قلت لعبد الله بن مسعود هل
صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجنّ منكم أحدٌ ؟ فقال: ما صحبه منّا
أحدٌ، ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا: اغتيل ؟ استطير ؟ ما فعل ؟ قال: فبتنا بشرّ
ليلةٍ بات بها قومٌ، فلما كان في وجه الصّبح أو قال في السّحر، إذا نحن به يجئ من قبل
حراء، فقلنا: يا رسول الله، فذكروا الذي كانوا فيه، فقال: " إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم
فقرأت عليهم " قال: فانطلق فأرانا آثارهم، وآثار نيرانهم، قال: وقال الشعبي فسألوه الزّاد،
وقال ابن أبي زائدة: قال عامر سألوه ليلتئذٍ الزاد، وكانوا من جن الجزيرة، فقال: " كل عظم
ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما كان لحماً، وكل بعرةٍ أو روثةٍ علفٌ لدوابكم –
قال - فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن " رواه مسلم في صحيحه. وكان
فيما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم:" الرحمن." علم القرآن " السورة؛ ويدل
على ذلك ما رواه محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: لما قرأ رسول الله صلى
الله عليه وسلم "الرحمن " على الناس سكتوا فلم يقولوا شيئاً، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: " للجن كانوا أحسن جواباً منكم لما قرأت عليهم " فبأي آلاء ربكما تكذبان

" قالوا: لا ولا بشيء من آلاء ربنا نكذب ". ومن رواية أخرى عنه: " قالوا ولا بشيء من
نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ".
وعن أبي المليح الهذلي أنه كتب إلى عبيدة بن عبد الله بن مسعود: أين قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الجن ؟ فكتب إليه: إنه قرأ عليهم بشعب يقال لهم الحجون.
وروى عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم " أن نفراً من الجن خمسة
عشر بني أخوةٍ وبني عمٍّ يأتونني الليلة فأقرأ عليهم القرآن ".
وقيل: كانوا أكثر من هذا.
وقد جاء عنه: أنه ذهب إلى موضعهم، قال: فرأيت موضع مبرك ستين بعيراً. ولما رأى
عبد الله بن مسعود رجال الزّطّ قال: ما رأيت شبههم إلا الجن ليلة الجن، وكانوا مستنفرين
يتبع بعضهم بعضاً.
ذكر إخبار الجن أصحابهم
بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامهم بسبب ذلك
روى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في صحيحه، بسنده عن عبد
الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ما سمعت عمر رضي الله عنه لشيء قطّ يقول، إني
لأظنّه كذا إلا كان كما يظن؛ بينا عمر جالس إذ مرّ رجلٌ جميل، فقال: لقد أخطأ ظني أو
إن هذا على دينه في الجاهلية، ولقد كان كاهنهم؛ علي الرجل، فدعي له، فقال له عمر: لقد
أخطأ ظني أو إنك على دينك في الجاهلية أو لقد كنت كاهنهم، فقال: ما رأيت كاليوم
استقبل به رجلٌ مسلم. قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني. قال: كنت كاهنهم في
الجاهلية. قال: فما أعجب ما جاءتك به جنّيتك ؟ قال: بينا أنا يوماً في سوق جاءتني
أعرف فيها الفزع، قالت:

ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها بعد وإبلاسها
ولحوقها بالقلاص وأحلاسها ويأسها بعد من أنساكها

قال عمر: صدق، بينا أنا نائمٌ عند آلهتهم، إذا جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ منه صارخٌ
لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول: يا جليح أمر نجيح، رجل يصيح، يقول لا إله إلا
الله، فوثب القوم، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح، أمرٌ نجيح،

رجلٌ يصيح، يقول لا إله إلا الله. فقمت فما نشبت أن قيل هذا نبيّ.
قال البيهقيّ: ظاهر هذه الرواية يوهم أن عمر رضي الله عنه بنفسه سمع الصارخ يصرخ
من العجل الذي ذبح، وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر في إسلامه، وسائر
الروايات تدل على أن الكاهن أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه، والله تعالى أعلم.
خبر سواد بن قاربٍ
روى البيهقيّ رحمه الله تعالى بسنده عن البراء، قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يخطب الناس على منبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ قال: أيها الناس، أفيكم سواد
بن قارب ؟ قال: فلم يجبه أحدٌ تلك السنة، فلما كانت السنة المقبلة، قال: أيها الناس،
أفيكم سواد بن قارب ؟ قال فقلت: يا أمير المؤمنين، وما سواد ابن قارب ؟ فقال: إن
سواد بن قارب كان بدء إسلامه شيئاً عجيباً ! قال: فبينا نحن كذلك، إذا طلع سواد بن
قارب، فقال له عمر: يا سواد، أخبرني ببدء إسلامك كيف كان ؟ قال سواد: فإني كنت
نازلاً بالهند وكان لي رئيٌّ من الجن، قال: فبينا أنا ذات ليلة نائم؛ إذ جاءني في منامي ذلك،
قال: قم فافهم واعقل إن كنت تعقل، قد بعث رسول من لؤيّ بن غالب، ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وأنجاسها وشدّها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنوها مثل أرجاسها
فانهض إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى راسها

ثم أنبهني وأفزعني، وقال: يا سواد بن قارب، إن الله عز وجل بعث نبيا فانهض إليه تهتد
وترشد، فلما كان في الليلة الثانية أتاني فأنبهني، ثم أنشأ يقول كذلك:

عجبت للجن وتطلابها وشدّها العيس بأقتابها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ليس قداماها كأذنابها
فانهض إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى نابها

فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهني، ثم قال كذلك:

عجبت للجن وتخبارها وشدّها العيس بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ليس ذوو الشّرّ كأخيارها
فانهض إلى الصفوة من هاشم ما مؤمنوا الجن ككفارها

قال: فلما سمعته يكرر ليلةً وقع في قلبي حب الإسلام من أمر النبي صلى الله عليه وسلم

ما شاء الله، فانطلقت إلى رحلي فشددته على راحلتي، فما حللت نسعةً ولا عقدت
أخرى حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا هو بالمدينة والناس عليه كعرف
الفرس، فلما رآني قال: " مرحباً بك يا سواد بن قارب، قد علمنا ما جاء بك " قال قلت:
" يا رسول الله قد قلت شعراً فاسمعه مني، قال سواد فقلت:
أتاني ربِّي بعد ليلٍ وهجعة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليالٍ قوله كلَّ ليلةٍ أتاك نبيٌّ من لؤي بن غالب
فشمرت عن ساقي الإزار ووسّطت بي الذعلب الوجناء عند السباسب
فأشهد أن الله لا غيره وأنك مأمونٌ على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين شفاعةً إلى الله يا بن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى وإن كان فيما جاء سيب الذوائب
فكن لي شفيعاً يوم لاذو شفاعةٍ سواك بمغنٍ عن سواد بن قارب
قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه. وقال لي:
" أفلحت يا سواد " فقال عمر: هل يأتيك رئيّك الآن ؟ فقال: منذ قرأت القرآن لم يأتني،
ونعم العوض كتاب الله عز وجل من الجن.
قال البيهقيّ: ويشبه أن يكون هذا هو الكاهن، الذي لم يذكر اسمه في الحديث الصحيح،
وهو الحديث الذي ذكرناه آنفاً قبل خبر سواد.
وقد روى أيضاً عن سواد بن قارب، من رواية سعيد بن جبير بنحو هذا، إلا أنه قال:
كان سواد في جبل من جبال الشّراة، وقال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
بمكة، وقد ظهر، فأخبرته الخبر، وبايعته.
قال البهيقيّ رحمه الله: وقوله أتيت مكة أقرب إلى الصّحة مما رويناه في الروايتين الأوليتين.
والله تعالى أعلم.
خبر خفاف بن نضلة
الثّقفيّ
روى أبو بكر البيهقيّ رحمه الله بسنده غلى ذابل بن طفيل بن عمرو الدّوسيّ، أن النبي
صلى الله عليه وسلم قعد في مسجده ذات يوم، فقدم عليه خفاف بن نضلة ابن عمرو بن
بهدلة الثقفيّ، فأنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم:
كم تحطمت القلوص بي الدجى في مهمةٍ قفرٍ من الفلوات

فلٍّ من التّوريس ليس بقاعه نبتٌ من الإسناتُ والأزمات
إني أتاني في المنام مساعدٌ من جن وجرة كان لي وموات
يدعو إليك لياليًا ولياليا ثم احزألّ وقال لست بآت
فركبت ناجية أضرّ بنيها جمرُ تخبّ به على الأكمات
حتى وردت إلى المدينة جاهداً كيما أراك فتفرج الكربات
قال: فاستحسنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: " إنّ من البيان كالسحر، وإنّ
من الشعر كالحكم ".
ومن ذلك ما روى عن علي بن حسين، قال: أول خبر قدم المدينة، أن امرأة من أهل يثرب
تدعى فاطمة، كان لها تابع من الجن فجاءها يوماً فوقع على جدارها، فقالت: مالك لا
تدخل ؟ فقال: إنه قد بعث نبي يحرم الزنى، فحدثت بذلك المرأة عن تابعها من الجن، وكان
أول خبر يحدث به في المدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وعن جابر قال: أول خبر قدم المدينة عن النبي الله صلى الله عليه وسلم، أن امرأة من
أهل المدينة كان لها تابع، فجاء في صور طائر حتى وقع على حائط دارهم، فقالت له المرأة:
انزل نخبرك وتخبرنا، قال: لا، إنه بعث بمكة نبي منع منا القرار، وحرم علينا الزنى.
ومنه ما روى عن محمد بن عمر بن واقد، عن تميم الداري أنه قال: سرت إلى الشام
فأدركني الليل، فأتيت وادياً فقلت: أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة، فلما أخذت
مضجعي إذ قائلٌ لا أراه يقول: عذ بالله الأحد، فإن الجن لا تجير على الله أحدا، وأنه قد
بعث رسول الأميين، وصلينا خلفه بالحجون، وأسلمنا واتبعناه، وآمنا به وصدقناه، فأسلم
تسلم. قال تميم: فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب، فسألت راهبة عما سمعت من
الهاتف، فقال: صدق. وكان ذلك سبب إسلام تميم.
ومنه ما روى عن أبي خريم فاتك أنه قال: خرجت في الجاهلية أطلب إبلا أضللتها، فلما
بأبرق العزاف، عقلت ناقتي وتوسدت ذارعها، وقلت: أعوذ بعظيم هذا المكان، فسمعت
هاتفاً يقول:
تعوذن بالله ذي الجلال ووحد الله ولا تبالي
ما هول الجن من الأهوال
قال فقلت: بين لي يرحمك الله، فقال:
هذا رسول الله ذو الخيرات يدعو إلى الجنة والنجاة

يأمر بالصوم وبالصلاة
قال: فوقع في قلبي الإسلام، فقلت: من أنت أيها الهاتف ؟
فقال: أنا مالك بن مالك، إن
أردت الإسلام فأنا أكفيك طلب ضالتك حتى أردها إلى أهلك،
قال: فركبت راحلتي
وقصدت المدينة، فقدمتها في يوم جمعة، فأتيت المسجد فإذا
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخطب، فأنخت بباب المسجد قلت ألبث حتى يفرغ من
خطبته، وإذا أبو ذر قد
خرج فقال لي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني
إليك وهو يقول لك: " مرحباً
قد بلغني إسلامك فادخل فصل مع الناس " قال فتطهرت
ودخلت فصليت، ثم دعاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبايعني وأخبرني بالخبر قبل
أن أذكره له، وقال لي: " أما
إبلك فقد بغت أهلك، وقد وفى لك صاحبك " فقلت: جزاه الله
خيرا ورحمة، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: " آمين ".
ومنه ما روى عن مالك بن نفيع أنه قال: ند بعيرٌ لي، فركبت
نجيبة وطبنة، حتى ظفرت
به، فأخذته وانكفأت راجعاً إلى أهلي، فأسريت ليلةً حتى كدت
أصبح، فأنخت النجيبة
والجمل وعقلتهما، واضجعت في ذرى كثيب رملٍ، فلما كحلني
الوسن سمعت هاتفاً يقول: يا
مالك، يا مالك، لو فحصت عن مبرك العود البارك، لسرك ما
هنالك، قال: فثرت وأثرت
البعير عن مبركه، واحتفرت، وإذا صنم بصورة امرأة، من صفاةٍ
صفراء كالورس، مجلوة
كالمرآة، فاستخرجتها ومسحتها بثوبي ونصبتها، فآستوت
قائمة، فما تمالكت أن خررت
ساجداً لها، ثم قمت فنحرت البعير لها ورششتها بدمه، وسميتها
غلاب، ثم حملتها على
النجيبة وأتيت بها أهلي، فحسدني كثير من قومي عليها،
وسألوني نصبها لهم ليعبدوها
معي، فأبيت عليهم، فانفردت بعبادتها، وجعلت لها نفسي كل
يوم عتيرة، وكانت لي ثلة من
الضأن فأتيت على آخرها، وأصبحت يوماً وليس لي ما أعتره،
وكرهت الإخلاف بنذري،
فأتيتها فشكوت إليها ذلك، فإذا هاتفٌ من جوفها يقول: يا مال
يا مال، لاتأس على المال،
سر إلى طوى الأرقم، فخذ الكلبي الأسحم، الوالغ في الدم، ثم
صد به نعم. قال مالك:

فخرجت من فوري إلى طوى الأرقم، فإذا كلب أسحم هائل المنظر، قد وثب على قرهبٍ
- يعني ثورا وحشيا - فصرعه وأنا أنظر إليه، ثم بقر بطنه، وجعل يلغ في دمه، قال فتهيبته،
ثم أقدمت عليه وهو مقبل على عقيرته، لم يلتفت إلي، فشددت في عنقه حبلا، ثم جذبته
فتبعني، فأتيت راحلتي فأثرتها، وقدتها إلى القرهب، فأنختها وجررته وحملته عليها.
ثم قدتها قاصداً إلى الحي، والكلب يلوذ بي فعنت لي ظبيةٌ، فجعل الكلب يثب ويجاذبني
المرس، فترددت في إرساله ثم أرسلته، فمر كالسهم حتى اختطفها فأتيته فجذبته إياها
فأرسلها في يدي، فاستفزني السرور، وأتيت أهلي فعترت الظبية لغلاب، ووزعت لحم
القرهب، وبت بخير ليلة، ثم باركت به الصيد، فلم يفته حمار، ولا ما طله ثور، ولا اعتصم
منه وعل، ولا أعجزه ظبيٌ، فتضاعف سروري به، وبالغت في إكرامه، وسميته سحاما،
فلبث بذلك ما شاء الله، فإنى لذات يوم أصيد به، فبصرت بنعامة على أدحيها، وهي
قريبة منى، فأرسلته عليها، فأجفلت أمامه، واتبعتها على فرس جواد، فلما كاد الكلب
يثب عليها، انقضت عليه عقاب من الجو فكر راجعاً نحوي فصحت به فما كذب،
وأمسكت الفرس فجاء سحام حتى دخل بين قوائمها، ونزلت العقاب أمامي على صخرة،
وقالت: سحام، قال الكلب: لبيك، قالت: هلكت الأصنام، وظهر الإسلام، فأسلم تنج
بسلام، وإلا فليست بدار مقام. ثم طارت العقاب، وتبصرت سحاما فلم أره، وكان آخر
عهدي به.
ومنه مما يشبه هذه القصة ما روى عن قتادة عن عبد الله بن أبي ذباب عن أبيه، أنه قال:
كنت مولعاً بالصيد، وكان لنا صنم اسمه فراض، كنت كثيرا ما أذبح له، ولم أكن أتخذ
جارحاً للصيد إلا رمى بآفة، فلما أدخل الحي صيداً حياً، لأني كنت لا أدركه إلا وقد
أشفى على الهلاك، فلما طال بي ذلك أتيت فراضاً، فعترت له عتيرة، ولطخته من دمها،
وقلت:

فراض أشكو نكد الجوارح من طائرٍ ذي مخلبٍ ونابح
وأنت للأمر الشديدي الفادح فافتحْ فقد أسهلت المفاتح

فأجابني مجيبٌ من الصنم؛ فقال:
دونك كلباً جارحاً مباركاً أعد للوحوش سلاحاً شابكا
يفر حزون الأرض والد كادكا
قال: فانقلبت إلى خبائي، فوجدت به كلباً خلاسياً بهيما عظيما؛ أهرت الشدقين، شابك
الأنياب، شئن البراثن، أشعر مهول المنظر، فصفرت به فأتاني، فلاذ بي وبصبص، فسميته
حياضا، فاتخذت له مربطا بإزاء فراشي وأكرمته، ثم خرجت به إلى الصيد، فإذا هو
أبصر بالصيد مني، وكان لا يثبت له شيء من الوحش، فقلت فيه:
حياض إنك مأمولٌ منافعه وقد جعلتك موقوفاً لفراض
وكنت أعتر لفراض من صيده، وأقرى الضيف، فلم أزل به من أوسع العرب رحلا،
وأكثرها ضيفا، إلى أن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل بي ضيفٌ كان زار
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمع منه القرآن، فحدثني عنه، ورأيت حياصضاً كأنه
ينصت الحديثه، ثم إني غدوت أقتنص بحياض، فجعل يجاذبني، ويأبى أن يتبعني فأجذبه
وأمسحه، إلى أن عن لي تولب - يعني جحشا من حمير الوحش -
قال: فأرسلته عليه
فقصده، حتى إذا قلت قد أخذه حاد عنه، فساءني ذلك، ثم أرسلته على رأل - يعني فرخ
نعامة - فصنع مثل ذلك، ثم أرسلته على بقرة، ثم على خشف، كل ذلك لا يأتي بخير،
فقلت:
ألا ما بحياضٍ يحيد كأنما رأى الصيد ممنوعاً بزرق اللهاذم
قال: فأجابني هاتف لا أراه:
يجيد لأمرٍ لو بدا لك عينه لكنت صفوحاً عاذلاً غير لائم
قال: فأخذت الكالب وانكفأت راجعاً، فإذا شخص إنسانٍ عظيم الخلق، قد ركب حمارا
وحشيا، فتربع على ظهره، وهو يساير شخصاً مثله راكباً على قرهب، وخلفهما عبد
أسود يقود كلباً عظيما بساجورٍ،فأشار أحد الراكبين إلى حياض وأنشد:
ويلك يا حياض لم تصيد اخنس وحد عما حوته البيد
الله أعلى وله التوحيد وعبده محمد السديد
سحقاً لفراضٍ وما يكيد قد ظل لا يبدي ولا يعيد
قال: فملئت رعباً، وذل الكلب فما يرفع رأسا، وأتيت أهلي مغموماً كاسف البال، فبت

أتململ على فراشي، ثم خفت من آخر الليل فإذا نغمة، ففتحت عيني فرأيت الكلب الذي
كان الأسود يقوده، وإذا حياض يقول له: أحسب صاحبي يقظان، قال: فتناومت، ثم
قصدني فتأملني ورجع إليه، فقال: قد نام، فلا عينٌ ولا سمعٌ، قال: أرأيت العفريتين ؟
وسمعت ما قالا، قال حياض: نعم، قال: إنهما قد أسلما واتبعا محمدا، وقد سلطا على
شياطين الأوثان، فما يتركان لوثن شيطانا. وقد عذباني عذاباً شديداً، وأخذا علي موثقا
ألا أقرب وثنى، وأنا خارج إلى جزائر الهند، فما رأيك لنفسك ؟ قال حياض: ما أمرنا إلا
واحد، وذهبا، فقمت أنظر فلا عين ولا أثر، فلما أصبحت أخبرت قومي بما رأيت
وسمعت، وقلت لهم: تخيروا من ينطلق معي إلى هذا النبي من حلمائكم وخطبائكم؛ فقالوا
لي: أترغب عن دين آبائك ؟ فقلنت لهم: إذا كرهتم شيئاً كرهته، فما أنا إلا واحد منكم،
ثم انسللت منهم فكسرت الصنم، ثم قصدت المدينة فأتيتها ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يخطب، فجلست بإزاء منبره فعقب خطبته بأن قال: " بإزاء منبري رجلٌ من سعد
العشيرة، قدم علينا راغباً في الإسلام، لم يرني ولم أره إلا ساعتي هذه، ولم أكلمه ولم يكلمني
قط، وسيخبركم خبرا عجيبا " ونزل فصلى، ثم قال: " أدن يا أخا سعد العشيرة " فدنوت
فقال:" أخبرنا عن حياض وفراض وما رأيت وما سمعت " قال: فقمت على قدمي
وقصصت القصة، والمسلمون يسمعون، فسر النبي صلى الله عليه وسلم، ودعاني إلي
الإسلام، وتلا علىّ القرآن فأسلمت، وقلت في ذلك:

تبعت رسول الله إذ جاء بالهدى وخلفت فراضاً بدار هوان
شددت عليه شدةً فتركته كأن لم يكن والدهر ذو حدثان
رأيت له كلباً يقوم بأمره فهدد بالتنكيل والرجفان
ولما رأيت الله أظهر دينه أجبت رسول الله حين دعاني
وأصبحت للإسلام ما عشت ناصراً وألقيت فيه كلكلي وجراني
فمن مبلغٌ سعد العشيرة أنني شريت الذي يبقى بما هو فاني

وقد تقدم في خبر وفد سعد العشيرة ذكر هذه الأبيات، وأنه لذبابٍ، وأنه الذي كسر

الصنم، إلا أنه لم يذكر البيت الذي فيه ذكر الكلب، والله تعالى أعلم.
ومنه ما روى أن ربيعة بن أبي براءٍ، قال أخبرني خالي فقال: لما أظهر الله علينا رسوله
صلى الله عليه وسلم بحنين انشعبنا في كل مشعب، لا يلوى حميم على حميم، فبينا أنا في
بعض الشعاب، رأيت ثعلبا قد تحوي عليه أرقم، والثعلب يعدو عدوا شديدا، فانتحيت له
بحجر فما أخطأه، وانتهيت إليه، فإذا الثعلب قد سبقني بنفسه - اي هلك قبل أن أصل
إليه - وإذا الأرقم قد تقطع وهو يضطرب، فقمت لأنظر إليه، فهتف هاتفٌ ما سمعت أفظع
من صوته يقول: تعساً لك وبؤسا، فقد قتلت رئيسا، وورثت بئيسا، ثم قال: يا داثر يا داثر،
فأجابه مجيب من العدوة الأخرى بلبيك لبيك، فقال: بادر بادر، إلى بني العذافر، وأخبرهم
بما صنع الكافر، فناديت: إني لم أشعر، وأنا عائذ بك فأجرني. قال: كلا، والحرم الأمين، لا
أجير من قاتل المسلمين، وعبد غير رب العالمين. قال فناديت، إني أسلم، فقال: إن أسلمت
سقط عنك القصاص، وألبثك الخلاص، وإلا فلا مناص. قال فقلت: أشهد أن لا إله إلا
الله، وأن محمد رسول الله، فقال: نجوت وهديت، لولا ذاك لرديت، فارجع من حيث
جيت. قال: فرجعت أقفوا أدراجي، فإذا هو يقول: امتط السمع الأزل، يعل بك التل،
فهناك أبو عامر يتبع الفل. قال: فالتفت فإذت سمع كالأسد النهد، فركبته ومر ينسل، حتى
انتهى إلى تل عظيم، فتوقل فيه إلى أن تسنمه، فأشرفت منه على خيل المسلمين، فنزلت
عنه وصوبت الحدور نحوهم، فلما دنوت منهم خرج إلى فارس، كالفالج الهائج، فقال: ألق
سلاحك لا أم لك، فألقيت سلاحي. فقال: ما أنت ؟ قلت: مسلمٌ، قال: فسلام عليك
ورحمة الله، قلت: وعليك السلام والرحمة والبركة، من أبو عامر ؟ قال: أنا هو، قلت:
الحمد لله، قال لا بأس عليك؛ هؤلاء إخوانك المسلمون، أما رأيتك بأعلى التل فارساً فأين
فرسك ؟ قال فقصصت عليه القصة، فأعجبه ما سمع منى: وسرت مع القوم أقفوا بهم
آثار هوازن حتى بلغوا من ذلك ما أرادوه.

والأخبار في مثل ذلك كثيرة، وقد أتينا منها بما نكتفي به، فلنذكر خلاف ذلك من سيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم.
رسائله الى الملوك
ذكر رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم إلى الملوك وغيرهم، وما كتب به
إليهم، وما أجابوا به
كانت رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، على ما أورده الشيخ أبو محمد عبد المؤمن
بن خلف الدمياطي رحمه الله، أحد عشر رجلاً؛ وهم: عمرو بن أمية الضمري، ودحية
بن خليفة الكلبي، وعبد الله بن حذافة السهمي، وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي، وعمرو
بن العاص، وسليط بن عمرو العامري، وشجاع بن وهب الأسدي، والمهاجر بن أبي أمية
المخزومي، والعلاء بن الحضرمي، وأبو موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل. هؤلاء الذين
أثبتهم.
وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك
بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة قتله شرحبيل بن عمرو الغساني، وبسبب قتله بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم سرية مؤتة على ما قدمنا ذكره.
ولعل الشيخ رحمه الله، إنما أثبت من الرسل من بلغ الرسالة، وهذا لم يهمل حتى يبلغها، ولم
يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسولٌ غيره. وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث غير هؤلاء، ممن نذكرهم إن شاء الله تعالى.
فكان أول ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسل في المحرم، سنة سبع من
مهاجره؛ أرسل ستةً من هؤلاء الرسل إلى ستة ملوك، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما
رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة خمس جهز الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام،
وكتب إليهم كتباً، فقيل له: يا رسول الله، إن الملوك لا يقرءون كتابا إلا مختوما، فاتخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خاتما من فضة فصة منه، نقشه ثلاثة أسطر: " محمد "
سطر " رسول " سطر " الله " سطر.
وختم به الكتب، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع، وأصبح كل

رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، حكاه
محمد بن سعد في طبقاته بسنده.
وقال أبو عبد الله بن محمد بن إسحق بن يسار: حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري أنه
وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان، وملوك العرب
والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم، قال: فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري،
فعرفه، وفيه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم: " إن الله
بعثني رحمةً وكافةً، فأدوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على
عيسى بن مريم " قالوا: يا رسول الله، وكيف كان اختلافهم ؟ قال: " دعاهم لمثل ما
دعوتكم له، فأما من قرب به فأحب وسلم، وأما من بعد به فكره وأبى، فشكا ذلك
عيسى منهم إلى الله، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم ".
قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدثني من أثق به عن أبي بكر الهذلي، قال بلغني أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه. وساق نحو الحديث.
ذكر إرسال عمرو بن الأمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة وإسلامه
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي، وكتب معه كتابين، يدعوه في أحدهما
إلى الإسلام، ويتلو عليه القرآن،، فأخذ النجاشي كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوضعه على عينيه، ونزل عن سريره فجلس على الأرض، ثم أسلم وشهد شهادة الحق،
وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجابته،
وتصديقه وإسلامه على يدي جعفر بن أبي طالب لله رب العالمين. وكان جعفر ممن هاجر
إلى الحبشة كما قدمنا ذكر ذلك.
وفي الكتاب الثاني، يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت قد
هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش الأسدي، فتنصر هناك ومات،
وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه من قبله من أصحابه الذين هاجروا

إلى الحبشة وأن يحملهم، ففعل، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة،
وأصدقها أربعمائة دينار، وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم، وحملهم في سفينتين مع عمرو
بن أمية، وجعل كتابي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق من عاج، وقال: لن تزال
الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها.
ذكر إرسال دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، وكتب إليه: " بسم الله الرحمن الرحيم. من
محمد عبد الله و روسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى - أما بعد -
فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم
اليريسين، و " يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك
به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ".
وبإسنادنا المتقدم، إلى أبي عبد الله محمد بن إسمعيل بن إبراهيم البخاري، قال: حدثنا
الحكم بن نافع أبو اليمان، قال حدثنا شعيب، عن الزهري، قال أخبرنا عبيد الله بن عبد
الله بن عتبة بن مسعود، أن عبد الله بن عباس أخبره، أن أبا سفيان بن حرب أخبره، أن
هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشام، في المدة التي كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيليا، فدعاهم في مجلسه،
وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي
يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه،
فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم أني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني
فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علىّ كذباً لكذبت عنه.
ثم كان أول ما سألني عنه
أنه قال: كيف نسبه فيكم ؟ قلت: هو فينا ذو نسبٍ، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد
قط قبله ؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس
يتبعونه أم ضعفائهم ؟ قلت بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت: بل يزيدون،

قال: فهل يرتد أحد منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر ؟
قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعلٌ فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها
شيئا غيرهذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت:
الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه، قال: ماذا يأمركم ؟ قلت: يقول اعبدو الله
وحده، ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف،
والصلة، فقال لترجمانه: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل
تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو
كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من أبائه
من ملك، فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه،
وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن
ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله، وسألتك أأشراف الناس اتبعوه لم ضعفاؤهم،
فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم
يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل
فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر، فذكرت
أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بم يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا
تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان
ما يقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارجٌ، لم أكن أظن أنه
منكم، فلو أنى أعلم أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه. ثم
دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى،
فدفعه إلى هرقل فقرأه، فإذا فيه " بسم الله الرحمن الرحيم " وذكره كما تقدم.
قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب، وارتفعت

الأصوات، وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه
ليخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام.
قال: وكان ابن الناطور صاحب إيليا وهرقل أسقفا على نصارى الشام يحدث أن هرقل
حين قدم إيليا أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك، فقال
ابن الناطور، وكان هرقل حزاءً، ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين
نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة ؟ قالوا: ليس يختتن إلا
اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلو من فيهم من اليهود، فبينما هم
على أمرهم، إذ أتى هرقل برجل، أرسل به ملك غسان، يخبر عن خبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتنٌ هو أم لا، فنظروا إليه،
فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة
قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى
حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه، يوافق رأي هرقل على خروج النبي
صلى الله عليه وسلم، وأنه نبيٌ، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر
بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد؟ وأن يثبت
ملككم فتبايعوا لهذا النبي، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد
غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردوهم عليه، وقال: إني قلت مقالتي
آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر
شأن هرقل.
رواه صالح بن كيسان ويونس ومعمر عن الزهري.
وقد قدمنا من خبر هرقل في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحقيق نبؤته عنده
في فصل من بشر في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقف عليه هناك.
ذكر إرسال عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتابا؛ قال عبد
الله: فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرئ عليه ثم أخذه فمزقه، فلما
بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اللهم مزق ملكه ". وكتب كسرى إلى
باذان عامله على اليمن أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز،
فليأتيا بخبره. فبعث باذان قهرمانه، ورجلاً آخر وكتب معهما كتاباً، فقدما المدينة، فدفعا
كتاب باذان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم،
ودعاهما إلى الإسلام وفرائضهما ترعد، وقال: " ارجعا عني يومكما هذا حتي تأتياني الغد
فأخبركما بما أريد " فجاءاه الغد، فقال لهما: " أبلغا صاحبكما أن ربي قد قتل ربه كسرى
في هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها - وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى
الأولى سنة سبع من الهجرة - وأن الله تعالى سلط عليه ابنه شيرويه فقتله " فرجعا إلى
باذان بذلك فأسلم هو والأبناء الذين في اليمن.

ذكر إرسال حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس
صاحب الإسكندرية عظيم القبط، واسمه جريج بن مينا

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً فأتاه،
وأوصل إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه، وقال خيراً، وجعل الكتاب في
حقّ من عاج، وختم عليه ودفعه إلى جاريته، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم:
قد علمت أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت
إليك بجاريتين لهما مكان في القبط العظيم، وقد أهديت لك كسوة وبغلة تركبها.
ولم يزد على هذا، ولم يسلم المقوقس، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم هديّته، وأخذ
الجاريتين، وهما مارية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأختها شيرين، وبغلة
بيضاء، لم يكن في العرب يومئذ غيرها، وهي دلدل، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المقوقس " ضنّ الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه ". قال حاطب: كان المقوقس مكرماً لي
في الضيافة وقلة اللبث ببابه، وما أقمت عنده إلا خمسة أيام.

وقال أبو عمر بن عبد البر: إن المقوقس أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصيّا
اسمه مأبور، وذكر لك في ترجمة مارية، ويقال: هو ابن عم مارية، والله أعلم.
وقد ذكرنا في الحجة البالغة، والأجوبة الدامغة، ما كان بينهما من المحاورات، وذلك في
الباب الرابع عشر، من القسم الخامس، من الفن الثاني، في السفر الثامن من هذه النسخة.
ذكر إرسال شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر
قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الأسدي، إلى الحارث بن
أبي شمر الغساني، ملك البلقاء من أرض الشام، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً، قال
شجاع: فأتيته وهو بغوطة دمشق، وهو مشغول بتهيئة الأنزال والألطاف لقيصر، وهو جاءٍ
من حمص إلى إيلياء، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة، فقلت لحاجبه: إني رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم إليه، فقال: لا تصل غليه حتى يخرج يوم كذا وكذا. وجعل حاجبه
- وكان روميّا اسمه مرى - يسألني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنت أحدثه
عن صفته، وما يدعو إليه فيرقّ حتى يغلبه البكاء، ويقول: إني قرأت الإنجيل فأجد صفة
هذا النبي بعينه، فأنا أومن به وأصدقه، وأخاف من الحارث أن يقتلني، وكان يكرمني
ويحسن ضيافتي، وخرج الحارث يوماً فجلس، ووضع التاج على رأسه، فأذن لي عليه،
فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأه ثم رمى به، وقال: من ينتزع مني
ملكي ؟ أنا سائر إليه، ولو كان باليمن جئته، عليّ بالناس ! فلم يزل يفرض حتى قام، وأمر
بالخيول تنعل، ثم قال: أخبر صاحبك ما ترى. وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عزم
عليه، فكتب إليه قيصر: ألا تسير إليه، واله عنه، ووافني بإيلياء، فلما جاءه جواب كتابه
دعاني فقال لي: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك ؟ فقلت: غداً، فأمر لي بمائة مثقال
ذهب، ووصلني مرى، وأمر لي بنفقة وكسوة، وقال: اقرأ على رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - منّي السلام. فقدمت على رسول الله فأخبرته، فقال: " باد ملكه " وأقرأته من

مرى السلام، وأخبرته بما قال، فقال صلى الله عليه وسلم: " صدق " ومات الحارث بن
أبي شمر عام الفتح.
إرسال سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن عليّ الحنفي باليمامة
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابا، فقدم
عليه فأنزله وحباه، وقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب إلى النبي صلى الله
عليه وسلم: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب
مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتّبعك. وأجاز سليط بن عمرو بجائزة وكساه أثواباً من
نسج هجر، فقدم بذلك كله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره عنه بما قال،
فقرأ كتابة وقال: " لو سألني سيابةً من الأرض ما فعلت، باد وباد ما في يديه " فمات عام
الفتح. فهؤلاء الستة الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحرم سنة سبع.
وبعث صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك
البحرين.
قال محمد بن سعد: بعثه عند منصرفه من الجعرانة إليه، يدعوه إلى الإسلام، وكتب إليه
كتابا. فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه وتصديقه، و " أني قرأت
كتابك على أهل هجر، فمنهم من أحب الإسلام، وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه،
وبأرضي مجوسٌ ويهودٌ، فأحدث إليّ في ذلك أمرك " فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم: " إنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودتيه أو مجوسيته فعليه
الجزية، وبألا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم ".
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا هريرة مع العلاء بن الحضرمي، وأوصاه به
خيراً، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العلاء فرائض الإبل، والبقر والغنم،
والثمار والأموال، فقرأ العلاء كتابه على الناس وأخذ صدقاتهم.
وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ملكي عمان.
قال محمد بن سعد: بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة، سنة ثمان من

مهاجره، إلى جيفر وعبدٍ ابني الجلندي، وهما من الأزد، والملك منهما جيفر، يدعوهما إلى
الإسلام، وكتب معه إليهما كتابا، قال عمرو: لما قدمت عمان عمدت إلى عبدٍ، وكان أحلم
الرجلين وأسهلهما خلقا، فقلت: إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك وإلى
أخيك، فقال: أخي المقدم عليّ بالسن والملك وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك، فمكثت
أياماً ببابه، ثم دعاني فدخلت عليه فدفعت إليه الكتاب مختوماً، ففضّ خاتمه وقرأه حتى
انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته، إلا أني رأيت أخاه أرق منه، فقال:
دعني يومى هذا وارجع إليّ غدا، فلما كان من الغد رجعت إليه، فقال: إني فكرت فيما
دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما في يدي، قلت: فإني خارج غدا،
فلما أيقن بمخرجي أصبح فأرسل إلي، فدخلت عليه فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا،
وصدّقا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وخلّيا بيني وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم،
وكانا لي عونا على من خالفني، فأخذت الصدقة من أغنيائهم، فرددتها في فقرائهم، ولم أزل
مقيما بينهم حتى بلغنا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وبعث صلى الله عليه وسلم المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث الحميري، وهو
الحارث بن عبد كلال ملك اليمن.
وبعث صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل إلى اليمن. وكانا جميعا
داعيين إلى الإسلام، فأسلم عامة أهل اليمن، ملكوهم وعامتهم طوعا. هؤلاء الرسل الذين
ذكرهم الشيخ أبو محمد عبدالمؤمن بن خلف الدمياطي في مختصر السيرة.
وقد ذكر محمد بن سعد بن منيع في طبقاته الكبرى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع بن ناكور بن حبيب ابن مالك بن حسان بن
تبع، وإلى ذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام، فأسلما وأسلمت ضريبة بنت أبرهة بن
الصباح. وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرير عندهم، فأخبره ذو عمرو بوفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجع جرير إلى المدينة.

ولم يذكر محمد بن سعد المهاجر، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى اليمن
مع معاذ بن جبل مالك بن مرارة.
وذكر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، في كتابه المترجم
بالاستيعاب، في ترجمة بن أبي أمية، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى الحارث
كما قدمنا.
قال ابن سعد: وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان
يدعوه إلى الإسلام فأسلم، وكتب بإسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهدى له
هدية، ولم يذكر اسم المرسل إليه، ثم كان من أمر جبلة بن الأيهم، وخبر ارتداده ما نذكره
إن شاء الله تعالى، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
وقال محمد بن إسحق رحمه الله: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه
وعماله على الصدقات، غلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان.
فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه العنسي وهو بها، وبعث
زياد بن لبيد، أخا بني بياضة الأنصاري، إلى حضرموت وعلى صدقاتها. وبعث عدي بن
حاتم على طيء وصدقاتها، وعلى بني أسد، وبعث مالك بن نويرة اليربوعي على صدقات
بني حنظلة، وفرق صدقات بني سعد على رجلين منهم، فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية
منها، وقيس بن عاصم على ناحية.
قال: وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين، وبعث عليّ بن أبي طالب إلى أهل
نجران ليجمع صدقتهم، ويقدم عليه بجزيتهم.
هذا ما وقفنا عليه من أخبار رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلنذكر من أخباره
صلى الله عليه وسلم خلاف ذلك.
أزواج الرسول وخواصه
وهن: خديجة بنت خويلد، وسودة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة
بنت عمر بن الخطاب، وزينب بنت خزيمة بن الحارث، وأم سلمة هند بنت أبي أمية،
وزينب بنت جحش، وجويرية بت الحارث،، وريحانة بنت زيدٍ، وأم حبيبة رملة بنت أبي
سفيان بن حرب، وصفية بنت حيٍّ ابن أخطب، وميمونة بنت الحارث، هؤلاء المدخول

بهن، وهن ثنتا عشرة امرأة رضوان الله عليهن، وسنذكر إن شاء الله تعالى، بعد أن نذكر
أخبار هؤلاء، من تزوجهن صلى الله عليه وسلم، ولم يدخل بهن، ومن وهبت نفسها له،
ومن خيرها فاختارت الدنيا، ومن فارقها صلى الله عليه وسلم، ولنذكر أخبارهن على
حسب اتصالهن به صلى الله عليه وسلم.
فأول امرأة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم:
خديجة
بنت خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشية، رضي الله عنها، وكانت
تدعى في الجاهلية الطاهرة، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم، واسم الأصم جندب ابن
هرم بن رواحة بن حجرٍ بن معيص بن عامر بن لؤي. وكانت خديجة عند أبي هالة بن
زرارة بن نباشٍ بن عدي بن حبيب بن صردٍ بن سلامة بن جروة بن أسيد بن عمرو بن
تميم التميمي. قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ابن عاصم النمري:
هكذا نسبه الزبير، وأما الجرجاني النسابة فقال: كانت خديجة قبل عند أبي هالة هند بن
النباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن عدي ابن جروة بن أسيد بن عمرو
بن تميم، فولدت له هنداً، قال: ثم اتفقا فقالا: ثم خلف عليها بعد أبي هالة عتيق بن عابد
بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم خلف عليها بعد عتيق المخزومي رسول الله صلى الله
عليه وسلم.
وقال قتادة: كانت خديجة تحت عتيق بن عابد المخزومي، ثم خلف عليها بعده أبو هالة
هند بن زرارة، قال أبو عمر: والأول أصح.
وقال أبو محمد عبد المؤمن بن خلف: إنها ولدت لعتيق جارية تدعى هند، ثم هلك عنها
فخلف عليها أبو هالة فولدت له ابنا وبنتا. وقال ابن إسحق: ولدت هند بن أبي هالة،
وزينب بنت أبي هالة، وولدت لعتيق عبد الله وجارية، قال: ثم هلك فتزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وقد قدمنا ذكر زواجه صلى الله عليه وسلم بها، فلا حاجة إلى
إعادته. وولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جميع أولاده، إلا إبراهيم. وقال أبو

عمر: لا ختلفون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج في الجاهلية غير خديجة، ولا
تزوج عليها أحدا من نسائه حتى ماتت، وهي أول من آمن بالله عز وجل، وبرسوله صلى
الله عليه وسلم على الإطلاق.
قال ابن إسحق رحمه الله: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع من المشركين
شيئا يكرهه، من ردٍّ عليه وتكذيب له إلا فرّج الله عنه بخديجة، تثبّته وتصدّقه وتخفّف
عنه وتهوّن عليه ما يقلى من قومه، وقد تقدم من أخبارها في ابتداء الوحي وامتحانها
الأمر، وقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الذي يأتيه ملك، وغير ذلك ما تقف
عليه هناك، مما يستدل به على أنها رضي الله عنها أوّل من آمن بالله تعالى وبرسوله، وقد
جاءت الأحاديث الصحيحة المنتشرة، بفضل خديجة رضي الله عنها، فمن ذلك ما روى
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سيدة نساء
أهل الجنة بعد مريم بنت عمران فاطمة وخديجة وآسية امرأة فرعون ". وعن عائشة أم
المؤمنين رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، وما بي أن أكون
أدركتها، ولكن ذلك لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها، وأن كان ليذبح
الشاة فيتتبع بذلك صدائق خديجة يهديها لهن، وعنها رضي الله عنها قالت: كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها
الثناء، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله
خيراً منها ؟ فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال: " لا والله ما أبدلني الله
خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وواستني في مالها إذ
حرمني الناس، ورزقني الله منها أولادا إذ حرمني أولاد النساء " قالت عائشة: فقلت في
نفسي لا أذكرها بسيئة أبداً.
وقد قدمنا من فضلها وما بشّرها به جبريل عليه السلام، وذكر وفاتها عند ذكرنا لزواج
رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما يستغنى عن إيراده في هذا الموضع، وهو في الجزء

الرابع عشر من كتابنا هذا من هذه النسخة.
ولما ماتت خديجة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاتها بأيام:
سودة
بنت زمعة بن قيس
ابن عبد شمس بن عبد ودٍ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، ويقال في حسل:
حسيل. وأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم
بن عدي بن النجار، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، بعد موت خديجة،
وقبل العقد على عائشة على المشهور، وكانت قبل عند ابن عمٍ لها يقال له السكران بن
عمرو، وهو أخو سهيل بن عمرو، من بني عامر بن لؤي، وأسنت سودة عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهم بطلاقها، فقالت له: لا تطلقني وأنت حلٍ من شاني، فإنما أريد أن
أحشر في أزواجك، وإعني قد وهبت يومي لعائشة، وإني ما أريد ما تريد النساء.
فأمسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يقسم لبقية أزواجه دونها، ونوبتها
لعائشة، فكانت كذلك حتى توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من توفي عنه
من أزواجه.
قال أبو عمر: وفي سودة نزل قوله تعالى: " وإن امرأةٌ خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا
جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير ". وقيل: " نزلت في عمرة، ويقال:
خولة بنت محمد بن مسلمة، وفي زوجها سعد بن الربيع. ويقال في غيرها. والله أعلم.
وكانت وفاة سودة في آخر زمان عمر بن الخطاب، ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد سودة:
عائشة
بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما
وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان
بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، في
شوال سنة عشر من النبوة، قبل الهجرة بثلاث سنين، وهي بنت ستٍ أو سبع، وبنى بها

بالمدينة على رأس سبعة أشهر من الهجرة، وهي ابنة تسع سنين، وتوفي عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وهي بنت ثمان عشرة سنة، ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم بكراً
غيرها، وكانت عائشة رضي الله عنها تذكر لجبير ابن مطعم بن عدي وتسمى له، وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أري عائشة في المنام في سرقة من حرير متوفى
خديجة، فقال: " إن يكن هذا من عند الله يمضه " فتزوجها رسول الله صلى الله عليه
وسلم في شوال وابتنى بها في شوال، فكانت تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبتها في
شوال على أزواجهن، وتقول: هل كانت في نسائه عنده أحظى مني، وقد نكحني وابتنى بي
في شوال.
قال أبو عمر: فكان مكثها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين، روي عنها
أنها قالت: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنت سبع سنين، وبنى بي وأنا
بنت تسع، وقبض عني وأنا بنت ثماني عشرة.
قال أبو عمر: واستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكنية فقال لها: " اكتني
بابنك عبد الله بن الزبير " يعني ابن أختها، وكان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول:
حدثتني الصادقة ابنة الصديق، البريئة المبرأة بكذا وكذا، ذكره الشعبي عن مسروق، وقال
أبو الضحا عن مسروق: رأيت مشيخة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الأكابر
يسألونها عن الفرائض. وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس،
وأحسن الناس رأيا في العامة، وقال هشام ابن عروة عن أبيه: ما رأيت أحداً أعلم بفقهٍ ولا
بطب ولا بشعر من عائشة. وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن ابيه، قال: ما رأيت أحدا
أروى لشعر من عروة،فقيل له:: ما أرواك يا أبا عبد الله ! قال: وما روايتي في رواية
عائشة، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا. قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى
جميع علم أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة
أفضل. وروى عن عمرو بن العاص قال: قلت: لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس

أحب إليك ؟ قال: " عائشة "، قلت: فمن الرجال ؟ قال: " أبوها ".
ومن حديث أبي موسى الأشعري، وأنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال: " فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ". ومن فضل عائشة
أن الله عز وجل أنزل في براءهتها ما أنزل، وقد ذكرنا ذلك في حديث الإفك، في حوادث
سنة خمسٍ من الهجرة، وهو في الجزء الرابع عشر من كتابنا هذا، من هذه النسخة. وورى
عن مالك بن أنس رحمه الله أنه قال: من سب أبا بكر جلد، ومن سب عائشة قتل، فقيل
له: لم ؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن، لأن الله تعالى يقول: " يعظكم الله أن تعودوا
لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين " فمن عاد لمثله فقد كفر. وعن القاضي أبي بكر بن الطيب
قال: إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه، كقوله: "
وقالو اتخذ الرحمن ولداً سبحانه " في أي كثر. وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة
فقال: " لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك " سبح نفسك في تنزيهها
من السوء، كما سبح نفسه في تنزيهه من السوء، وفضائلها رضي الله عنها كثيرة مشهورة.
وسنذكر إن شاء الله تعالى، عند ذكرنا لوفاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
خصها به صلى الله عليه وسلم، في مرضه الذي مات فيه، من تمريضه في بيتها، وأنه مات
صلى الله عليه وسلم في بيتها وفي نوبتها، وبين سحرها ونحرها، وآخر ما دخل فمه ريقها،
وناهيك بها فضيلة وخصوصية، وكانت وفاة عائشة رضي الله عنها بالمدينة، في سنة سبع
وخمسين، وقيل: في سنة ثمان وخمسين، ليلة الثلاثاء، لسبع عشر خلت من شهر رمضان،
وأمرت أن تدفن ليلا، فدفنت بعد الوتر بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة، ونزل في قبرها
خمسة: عبد الله، وعروة ابنا الزبير، والقاسم بن محمد، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي
بكر، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، والله أعلم.
وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زواج عائشة: حفصة
بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها

وهي أخت عبد الله بن عمر لأبيه وأمه، وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب ابن وهب
بن حذافة بن جمح، وكانت حفصة من المهاجرات، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عند خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي، وكان بدريا، فلما مات عنها،
وتأيمت، ذكرها عمر لأبي بكر وعرضها عليه، فلم يرجع إليه أبو بكر كلمة، فغضب من
ذلك عمر، ثم عرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم، فانطلق عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشكا إليه عثمان، وأخبره بعرضه حفصة عليه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:
" يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة " ثم
خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر فتزوجها، فلقى أبو بكر الصديق عمر بن
الخطاب فقال: لا تجد علىّ في نفسك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذكر
حفصة، فمل أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها لتزوجتها،
وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس ثلاثين شهرا من مهاجره. قال أبو
عمر: وطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم تطليقة ثم ارتجعها، وذلك أن جبريل عليه
السلام قال له: " راجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وأنها زوجتك في الجنة ". وروى عن
عقبة بن عامر قال: طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر، فبلغ ذلك
عمر، فحثى على رأسه التراب، وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعد هذا، فنزل جبيريل من
الغد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: " إن الله يأمرك أن تراجع حفصة بنت
عمر رحمة لعمر ".
قال أبو عمر: وأوصى عمر بعد موته إلى حفصة، وأوصت حفصة إلى عبد الله ابن عمر
بما أوصى به إليها عمر، وبصدقة تصدقت بها بمال وقفته بالغاية. واختلف في وفاتها، فقال
الدولابي: عن أحمد بن محمد بن أيوب، توفيت في سنة سبع وعشرين، وقال أبو معشر:

توفيت في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وقال غيره:
توفيت في شعبان سنة خمس
وأربعين بالمدينة، وصلى عليها مروان بن الحكم، وحمل
سريرها، وهو إذ ذاك أمير المدينة
لمعاوية بن أبي سفيان، وهذا الذي أشار إليه الشيخ أبو محمد
الدمياطي في مختصر السيرة،
قال: ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زواج حفصة
بنت عمر:
زينب
بنت خزيمة بن الحارث
ابن عبد الله عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة
بن معاوية ابن أبي بكر
بن هوزان القيسية الهوازنية العامرية الهلالية، وكانت تدعى
في الجاهلية أم المساكين، وكانت
قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطفيل بن الحارث
ابن عبد المطلب بن عبد
مناف فطلقها، فخلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث فقتل عنها
بيوم بدر شهيدا، فخلف
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان على
رأس أحد وثلاثين شهرا من
مهاجره. وقيل: كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يومٍ
أحدٍ، فتزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم. وعلى الأول اعتمد الشيخ أبو محمد، قال:
ومكثت عنده ثمانية
أشهر، وتوفيت في آخر شهر ربيع الآخر، وصلى عليها رسول
الله صلى الله عليه وسلم،
ودفنها بالبقيع، وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها، ولم يمت من
أزواجه في حياته غيرها،
وغير خديجة، قال: وفي ريحانة خلاف، وقال أبو الحسن علي بن
عبد العزيز الجرجاني
النسابة، كانت زينب بنت خزيمة أخت ميمونة لأمها، قال أبو
عمر: ولم أر ذلك لغيره، والله
أعلم.
ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زينب بنت خزيمة:
أم سلمة
هند بنت أبي أمية
حذيفة المعروف بزاد التراكب بن المغيرة بن عبد الله بن عمر
بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن
كعب بن لؤي القرشية المخزومية. وكان أبوها أحد أجواد قريش
المشهورين بالكرم. وأمها
عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خزيمة بن علقمة ابن
فراس. وكانت قبل رسول الله

صلى الله عليه وسلم عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن
عمر بن مخزوم، وهو ابن برة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم،
وولدت له عمر وزينب، فكانا ربيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو عمر: ولدت
له عمر وسلمة ودرة وزينب. قال: وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى أرض الحبشة،
ويقال أيضاً: أم سلمة أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة، وقيل: بل ليلى بنت أبي حثمة
زوج عامر بن ربيعة.
تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة في ليالٍ بقين من شوال سنة أربع من
مهاجره، وقال أبو عمر: تزوجها في سنة اثنتين من الهجرة بعد وقعة بدر، عقد عليها في
شوال، وابتنى بها في شوال، وقال لها: إن شئت سبعت عندك، وسبعت لنسائي، وإن
شئت ثلثت ودرت " فقلت: ثلث. قال ابن هشام: زوجه إياها ابنها سلمة بن أبي سلمة،
وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فراشا حشوة ليفٌ وقدحا وصحفة ومجشة.
وقد اختلف في وفاتها، فقيل: توفيت في سنة ستين من الهجرة، وقيل: في شهر رمضان أو
شوال سنة تسع وخمسين، وقال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن: توفيت في سنة اثنتين
وستين. قال أبو عمر: وصلى عليها أبو هريرة، وقيل: سعيد بن زيد بوصية منها، ودخل
قبرها عمر وسلمة ابنا أبي سلمة، وعبيد الله بن عبد الله بن أبي أمية، وعبد الله بن
وهب بن ربيعة، ودفنت بالبقيع رحمها الله، وهي آخر أزواج رسول الله صلى الله عليه
وسلم موتا، وقيل بل ميمونة آخرهن، والله أعلم.
ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بعدها:
زينب بنت جحش
بن رئاب
ابن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير - بالباء الموحدة - ابن غنم بن دودان ابن أسد بن
خزيمة.
وكان اسم زينب بنت برة، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب، وأمها أميمة
بنت عبد المطلب بن هاشم، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الشيخ أبو محمد

بن عبد المؤمن: تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لهلال ذي القعدة سنة أربع على
الصحيح، وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة، وكانت قبل ذلك عند زيد بن حارثة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم فارقها، فلما حلت زوجه الله إياها، وهي التي قال
الله تعالى فيها: " فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوجناكها " ولما تزوجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم تكلم في ذلك المنافقون، وقالوا حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه، فأنزل
الله عز وجل: " ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ". وقال تعالى: " ادعوهم لآبائهم هو
أقسط عند الله " فدعى زيد يومئذٍ زيد بن حارثة، وكان قبل ذلك يدعى زيد بن محمد.
قالت عائشة رضي الله عنها: لم يكن أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم يساميني
في حسن المنزلة عنده غير زينب بنت جحش، وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله
عليه وسلم، تقول: إن آباءكن أنكحوكن وأن الله أنكحني إياه من فوق سبع سموات. وعن
أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة: "
اذكرها عليّ " قال زيد: فانطلقت فقلت لها: يا زينب، أبشري، فإن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أرسل يذكرك. فقالت: ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي، فقامت إلى
مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن،
وعن عبد الله بن شداد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضي
الله تعالى عنه: " إن زينب بنت جحش أواهه " فقال رجل: يا رسول الله، ما الأواه ؟
قال: الخاشع المتضرع، و " إن إبراهيم لحليم أواهٌ منيبٌ ". وعن عائشة أم المؤمنين رضي
الله عنها؛ قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لنسائه: " أسرعكن لحاقاً بي
أطولكن يدا "، قالت: فكن يتطاولن أيهن أطول يدا، قالت: فكانت أطولنا يدا زينب، لأنها
كنانت تعمل بيديها وتتصدق. وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً، قالت كانت زينب بنت
جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما رأيت امرأة قط

خيرا في الدين من زينب، وأتقى لله وأصدق حديثا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة. ومن
رواية أخرى عنها أنها ذكرت زينب فقالت: ولم تكن امرأة خيرا منها في الدين، وأتقى لله،
وأصدق حديثا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد تبذلا في نفسها في العمل الذي
تتصدق به وتقترب إلى الله عز وجل، وكانت وفاة زينب بالمدينة في سنة عشرين من
الهجرة، في خلافة عمر، وقيل: في سنة إحدى وعشرين، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها.
ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زينب: جويرية
بنت الحارث
ابن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة، وهو المصطلق بن سعد ابن كعب
بن عمرو بن ربيعة، وهو لحى بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، الأزدية
الخزاعية المصطلقية. سباها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع فوقعت جويرية
في سهم ثابت بن قيس بن شماس، وكاتبها على تسع أواقٍ، فأدى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنها كتابتها وتزوجها. وقيل: جاء أبوها فافتداها، ثم أنكحها رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سنة ست من الهجرة. وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت:
لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث
في السهم لثابت بن قيس بن شماس - أو لابن عم له - فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة
حلوةً ملاحةً لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تستعينه في كتابتها، قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها،
وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت
الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في
السهم لثابت بن قيس بن شماس - أو لابن عم له - فكاتبته على نفسي، فجئتك
أستعينك على كتابتي، قال: فهل لك في خير من ذلك " ؟ قالت: وما هو يا رسول الله ؟

قال: أقض عنك كتابتك وأتزوجك "، قالت: نعم يا رسول الله، قال: " قد فعلت "؛ قالت:
وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج بجويرية بنت الحارث
فقال الناس: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسلوا ما بأيديهم، فلقد أعتق
بتزويجه إياها مائة أهل بيتٍ من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها
منها.
قال أبو عمر: وكانت جويرية قبل تحت مسافع بن صفوان المصطلقي، قال: وكان اسمها برة،
فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمها وسماها جويرية، وحفظت جويرية عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم، وروت عنه، وتوفيت في المدينة في شهر ربيع الأول سنة ست
وخمسين، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو والي المدينة وقد بلغت سبعين سنة؛ لأنه
صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت عشرين سنة. وقيل: توفيت في سنة خمسين.
والله أعلم.
ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جويرية:
ريحانة
بنت زيد بن عمر بن خنافة بن شمعون
قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري رحمه الله: هي ريحانة بنت
شمعون بن زيد بن خنافة من بني قريظة، وقيل من بني النضير.
قال: والأكثر من بني قريظة.
قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن ين خلف رحمه الله: وكانت متزوجة رجلاً من بني قريظة،
يقال له الحكم، وكانت قد وقعت في السبي يوم بني قريظة، وذلك في ليال من ذي القعدة سنة
خمس من الهجرة، فكانت صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيرها بين الإسلام
ودينها فاختارت الإسلام فأعتقها وتزوجها، وأمهرها اثنتي عشرة أوقية ونشا، وأعرس بها
في المحرم سنة ست، في بيت أم المنذر سلمى بنت قيس من بني النجار، وضرب عليها
الحجاب، فغارت عليه غيرة شديدة، فطلقها تطليقة، فأكثرت البكاء فراجعها، فكانت
عنده حتى ماتت بعد رجعته من حجة الوداع، فدفنها بالبقيع.
وقيل: إنه لم يتزوجها وكان

يطؤها بملك اليمين، وأنه خيرها بين العتق والتزويج، أو تكون في ملكه، فقالت: أكون في
ملكك أخف علي وعليك، فكانت في ملكه حتى توفي عنها. قال: والأول أثبت.
ثم تزوج صلى الله عليه وسلم:
أم حبيبة
رملة بنت أبي سفيان
صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشية الأموية، وأمها
صفية بنت أبي العاص بن أمية عمة عثمان بن عفان، هاجرت أم حبيبة مع زوجها عبيد
الله بن جحش إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فولدت له حبيبة فكنيت بها، وتنصر
عبيد الله زوجها، وارتد عن الإسلام، ومات على ذلك، وثبتت أم حبيبة على دين
الإسلام، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي،
كما قدمنا ذكر ذلك فزوجه إياها، وكان الذي عقد عليها خالد بن سعيد بن العاص بن
أمية على الأصح، وأصدقها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة
دينار، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهزها إلى المدينة، وذلك في سنة سبع من
الهجرة، وهذا هو المعروف المشهور. وقيل: إن الذي زوجها عثمان بن عفان، وأن العقد
كان بالمدينة بعد رجوعها من أرض الحبشة. والأول أثبت.
وروى الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن حسن عن عبد الله بن عمرو بن زهير، عن
إسمعيل بن عمرو أن أم حبيبة قالت: ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي
جارية يقال لها أبرهة، كانت تقوم على ثيابه ودهنه، فاستأذنت عليّ فأذنت لها، فقالت: إن
الملك يقول لك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب إليّ أن أزوجكه فقلت: بشرك
الله بخير، وقالت: يقول لك الملك وكلي من يزوجك، فأرسلت إلى خالد بن سعيد فوكلته،
وأعطيت أبرهة سوارى فضة كانتا عليّ، وخواتم فضة كانت في أصابعي سرورا بما
بشرتني، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين
يحضرون، وخطب النجاشي فقال: الحمد لله الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن، العزيز

الجبار، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم
- أما بعد - فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي
سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أصدقتها أربعمائة
دينار. ثم سكب الدنانير بين يدي القوم، فتكلم خالد بن سعيد، فقال: الحمد لله أحمده
وأستعينه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون - أما بعد - فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم، وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسوله. ودفع
النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها؛ ثم أرادوا أن يقوموا، فقال النجاشي:
اجلسوا في سنة الأنبياء عليهم السلام إذا تزوجوا أن يؤكل طعامٌ على التزويج، فعا بطعام
فأكلوا ثم تفرقوا. وماتت أم حبيبة سنة أربع وأربعين. وروى عن علي بن حسين قال:
قدمت منزلي في دار علي بن أبي طالب، فحفرنا في ناحية منه فأخرجنا منه حجرا فإذا
فيه مكتوب، هذا قبر رملة بنت صخر، فأعدناه مكانه، حكاه أبو عمر بن عبد البر في
الاستيعاب في ترجمة أم حبيبة.
ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أم حبيبة: صفية
بنت حي بن أخطب
ابن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بنت الحارث بن أبي حبيب بن النضير بن النحام
بن نحوم، من بني إسرائيل من سبط هرون بن عمران عليه السلام.
كان أبوها سيد بني النضير، وأمها برة بنت سموءل، أخت رفاعة، وكانت صفية عند
سلام بن مشكم القرظي الشاعر، ففارقها فخلف عليها كنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق
النضري الشاعر، فقتل يوم خيبر، ولم تلد لأحد منهما شيئاً، فاصفاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم لنفسه فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها، ولم تبلغ يومئذ سبع عشرة
سنة.

وحكى محمد بن إسحق في مغازية، وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في دلائل النبوة، في
غزاة خيبر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح القموص: - حصن ابن أبي
الحقيق - أتى بصفية بنت حي بن أخطب، وبأخرى معها، فمر بهما بلال على قتلى من
قتلى يهود، فملما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على
رأسها، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أغربوا عني هذه الشيطانة "
وأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه، وكانت صفية قد رأت في المنام، وهي عروس بكنانة بن
الربيع، أن قمرا وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنك تمنين
ملك الحجاز محمدا: فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها، فأتى بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبها أثر منه، فسألها ما هو فأخبرته هذا الخبر.
وروى عن أنس بن مالك من رواية صهيب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جمع
سبى خيبر جاءه دحية فقال: أعطني جارية، من السبي، قال: " اذهب فخذ جارية "
فأخذ صفية بنت حي، فقيل: يا رسول الله، إنها سيدة قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك،
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " خذ جارية من السبي غيرها ".
وقال ابن شهاب: كانت مما أفاء الله عليه، حجبها وأولم عليها بتمر وسويق، وقسم لها،
وكانت إحدى أمهات المؤمنين، قال أبو عمر: " روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل على صفية وهي تبكي، فقال لها: " ما يبكيك " ؟ قالت: بلغني أن عائشة وحفصة
تنالان مني، وتقولان نحن خير من صفية، نحن بنات عم رسول الله وأزواجه، قال: " ألا
قلت لهن كيف تكن خيراً مني وأبي هرون، وعمي موسى، وزوجي محمد صلى الله عليه
وسلم ".
وكانت صفية حليمة عاقلة فاضلة، وروى أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب رضي الله
عنه، فقالت: إن صفية تحب السبت وتصل اليهود، فبعث إليها عمر يسألها، فقالت: أما

السبت فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به يوم الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحما فأنا
أصلها، ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت ؟ قالت: الشيطان، قالت: فاذهبي
فأنت حرة. وتوفيت صفية في شهر رمضان سنة خمسين، وقيل: سنة اثنتين وخمسين.
ودفنت بالبقيع، وورثت مائة ألف درهم بقيمة أرض وعرض، وأوصت لابن أختها بثلثها،
وكان يهوديا.
ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها: ميمونة
بنت الحارث
ابن حزن بنم بجير بن هزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية
بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مطر.
وأمها هند بنت عوف بنت زهير بن الحارث بن حماطة بن حمير، وقيل: من كنانة، وأن
زهير بن الحارث بن كنانة.
وأخوات ميمونة لأبيها ولأمها: أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث، زوج العباس بن عبد
المطلب، ولبابة الصغرى زوج الوليد بن المغيرة، أم خالد بن الوليد. وعصماء بنت الحارث،
كانت تحت أبي بن خلف الجمحي. وعزة بنت الحارث، كانت عند زياد بن عبد الله بن
مالك الهلالي.
وأخواتها لأمها: أسماء بنت عميس، كانت تحت جعفر بن أبي طالب، فولدت له عبد
الله، وعونا ومحمدا، ثم خلف عليها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فولدت له محمدا، ثم
خلف عليها علي بن أبي طالب، فولدت له يحيى، وقيل: إن أسماء كانت تحت حمزة بن
عبد المطلب، فولدت له أمة الله بنت حمزة، ثم خلفها عليها بعده شداد بن أسامة بن الهاد
الليثي، فولدت له عبد الله، وعبد الرحمن. وسلامة بنت عميس أخت أسماء. وسلمى
بنت عميس كانت تحت عبد الله بن كعب بن منبه الخثعمي. وزينب بنت خزيمة أخت
ميمونة لأمها.
قال أبو عمر بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما: كان اسم ميمونة برة، فسماها رسول

الله صلى الله عليه وسلم ميمونة، وقال: لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
مكة معتمرا في سنة سبع، وهي عمرة القضاء، خطب جعفر بن أبي طالب عليه ميمونة
بنت الحارث الهلالية، وكانت أختها لأمها أسماء بنت عميس عند جعفر، وسلمى بنت
عميس عند حمزة، وأم الفضل عند العباس، فأجابت جعفر ابن أبي طالب إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب، فأنكحها النبي صلى
الله عليه وسلم وهو محرمٌ، فلما رجع بنى بها بسرفٍ حلالا، وكانت قبله عند أبي رهم بن
عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، ويقال:
بل كانت عند سبرة بن أبي رهم.
حكاه أبو عبيدة، وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: كانت ميمونة قبل النبي صلى الله
عليه وسلم عند حويطب بن عبد العزى، وقيل: كانت في الجاهلية عند مسعود بن عمرو
بن عمير الثقفي ففارقها، وخلف عليها أبو رهم أخو حويطب فتوفى عنها، فتزوجها رسول
الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن شهاب: وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه
وسلم، وكذلك قال قتادة، قال: وفيها نزلت " وامرأة مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبي " الآية،
وقد قيل: إن الواهبة خولة وقيل: أم شريك. قال قتادة: وكانت ميمونة قبله عند فروة بن
عبد العزى بن أسد بن غنم بن دودان، قال أبو عمر: هكذا قال قتادة وهو خطأ،
والصواب ما تقدم. والله أعلم. قال الشيخ أبو محمد الدمياطي: وماتت ميمونة بسرف في
سنة إحدى وخمسين على الأصح، وقد بلغت ثمانين سنة.
فهؤلاء نساؤه المدخول بهن، ومات صلى الله عليه وسلم عن تسع منهن، وهن: عائشة
بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية،
وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث وأم حبيبة بنت أبي سفيان؛ وصفية بنت حي
بن أخطب، وميمونة بنت الحارث رضوان الله عليهم أجمعين.
من لم يدخل بهن
ذكر من تزوجهن رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء

ولم يدخل بهن، ومن دخل بهن وطلقهن، ومن وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم:
فاطمة
بنت الضحاك
ابن سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر، وهو عبيد بن كلاب بن ربيعة ابن عامر
الكلابية. تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة، سنة ثمان من الهجرة
منصرفة من الجعرانة، فلما دنا منها قالت: أعوذ بالله منك، فقال: " لقد عذت بعظيم الحقي
بأهلك " فكانت إذا استأذنت على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: أنا الشقية إنما
خدعت. ودلهت وذهب عقلها، وماتت سنة ستين. وروي عن ابن إسحق أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم تزوجها بعد وفاة ابنته زينب، وخيرها حين أنزلت آية التخيير
فاختارت الدنيا ففارقها، فكانت بعد تلقط البعر، وتقول: أنا الشقية اخترت الدنيا. قال أبو
عمر بن عبد البر: وهذا عندي غير صحيح؛ لأن ابن شهاب يروى عن أبي سلمة وعروة
عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خير أزواجه بدأ بها فاختارت الله
ورسوله قالت: وتتابع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، قال قتادة وعكرمة: كان
عنده حين خيرهن تسعو نسوة وهن اللواتي توفي عنهن، قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن:
وقيل إنما طلقها لبياض كان بها. وقيل: إنما فراقها لأنه كان إذا خرج طلعت إلى المسجد.
وقيل: إن الضحاك عرض ابنته فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إنها لم
تصدع قط فقال: " لا حاجة لي بها ".
وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان في نساء رسول الله صلى الله
عليه وسلم سناء بنت سفيان بن عوف بن كعب ابن أبي بكر بن كلاب. ومنهن:
عمرة
بنت يزيد بن الجون الكلابية
وقيل: عمرة بنت يزيد بن عبيد بن رواس بن كلاب الكلابية، وقد أصح. وفي رواية قال
أبو عمر: تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغه أن بها برصاً فطلقها، ولم يدخل
بها.

وقيل: إنها التي تعوذت منه حين أدخلت عليه وقيل غيرها.
ومنهن:
العالية
بنت ظبيان بن الجون
ابن عوف بن كعب بن أبي بكر بن عبيد بن كلاب الكلابية. قال أبو
عمر: تزوجها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكانت عنده ماشاء الله، ثم طلقها،
قال: وقل من ذكرها. هؤلاء
اللاتي ذكرن من بني كلاب بن ربيعة بن عامر. قال أبو محمد:
ومن الناس من جعل التي
تزوجها من بني عامر واحدة، اختلف في اسمها، وأنه لم يتزوج
من بني عامر غيرها، قال:
ومنهم من جعلهن جمعا، وذكر لكل واحدة منهن قصة، وهؤلاء
اللاتي ذكرناهن، هن
المشهورات من بني عامر.
وممن ذكرنا في أزواجه صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت
شريح. ذكرها أبو عبيدة في
أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومنهن:
أسماء
بنت النعمان بن أبي الجون
ابن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن الجون بن آكل المرار
الكندي، تزوج بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سنة تسع من الهجرة، زوجه إياها
أبوها حين قدم، على اثنتي
عشرة أوقية ونش، وبعث معه أبا أسيد؛ فحملها من نجد حتى
نزل بها في أطم بني
ساعدة، فقالت عائشة: قد وضع يده في الغرائب يوشك أن
يصرفن وجهه عنا، وكانت من
أجمل النمساء، فقالت حفصة لعائشة، أو عائشة لحفصة:
اخضبيها أنت وأنا أمشطها،
ففعلتا، ثم قالت لها إحداهما: إنه يعجبه من المرأة إذا دخلت
عليه أن تقول: أعوذ بالله
منك؛ فلما دخلت عليه وأغلق الباب، وأرخى الستر، مدّ يده إليها،
فقالت: أعوذ بالله
منك، فقال: " لقد عذت بمعاذ الحقي بأهلك " وأمر أبا أسيد أن
يردها إلى أهلها؛ وقال: "
متعها برازقيتين " يعني كرباسين، فكانت تقول: ادعوني
الشقية، وإنما خدعت؛ لما رؤي من
جمالها وهيئتها، وذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم من
حملها على ماقالت، فقال: "
إنهن صواحب يوسف وكيدهن عظيم " قال: فلما طلع بها أبو
أسيد على أهلها تصايحوا؛

وقالوا: إنك لغير مباركة، ما دهاك ؟ فقالت: خدعت، وقيل لي كيت وكيت، فقالوا: لقد
جعلتنا في العرب شهرة، فقالت: يا أبا أسيد قد كان ما كان فما الذي أصنع ؟ قال: أقيمي
في بيتك واحتجبي إلا من ذي رحم، ولا يطمع فيك طامع بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فإنك من أمهات المؤمنين؛ فأقامت لا يطمع فيها طامع، ولا ترى إلا لذي محرم، حتى
توفّيت في خلافة عثمان بن عفان عند أهلها بنجد.
وقال أبو عمر: أجمعوا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها، واختلفوا في
قصة فراقه لها، فقال بعضهم: لما دخلت عليه دعاها فقالت: تعال أنت، وأبت أن تجيء،
هذا قول قتادة وأبي عبيدة. وزعم بعضهم أنها قالت: أعوذ بالله منك، فقال: " لقد عذت
بمعاذ، وقد أعاذك الله مني " فطلقها، قال قتادة: وهذا باطل إنما قال هذا لامرأة جميلة
تزوجها من بني سليم. وقال أبو عبيدة: كلتاهما عاذتا بالله عز وجل منه صلى الله عليه
وسلم. والله تعالى أعلم. وروى البخاريّ في صحيحه حديث أبي أسيد الساعدي قال:
تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم:
أميمة
بنت شراحيل
فلما دخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك، فأمر أبا أسيد أن يجهزها
ويكسوها ثوبين، وفي لفظ آخر، قال أبو أسيد، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجونية، فلما دخل عليها قال: " هبي لي نفسك " فقالت: وكيف تهب الملكة نفسها للسوقة
؟ فأهوى بيده إليها ليسكتها فقالت: أعوذ بالله منك، قال: " قد عذت بمعاذ " ثم خرج
عليه السلام فقال: " يا أبا أسيد اكسها رازقيتين وألحقها بأهلها ". وروى عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه قال: خلف عليها المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة؛ فأراد عمر أن
يعاقبهما، فقالت: والله ما ضرب عليّ الحجاب ولا سميت بأم المؤمنين، فكف عنهما، وقيل:
تزوّجها عكرمة ابن أبي جهل في الرّدة، وقيل: خلف عليها بعد المهاجر قيس بن مكشوح
المرادي، وقال ابن أبزى: الجونية التي استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم

تستعذ منه امرأة غيرها.
قال أبو عمر رحمه الله: الاختلاف في الكندية كبير جدا، منهم من يقول: هي أسماء بنت
النعمان، ومنهم من يقول: أميمة بنت النعمان، ومنهم من يقول: أمامة بنت النعمان، قال:
واختلافهم في سبب فراقها على ما رأيت، والاضطراب فيها وفي صواحباتها اللواتي لم
يجتمع عليهن من أزواجه صلى الله عليه وسلم عظيم. ومنهن:
قتيلة
بنت قيس
أخت الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية الكندية. روي عن عبد الله ابن عباس
رضي الله عنهما قال: لما استعاذت أسماء بنت النعمان من النبي صلى الله عليه وسلم
خرج والغضب يعرف في وجهه، فقال له الأشعث بن قيس: لا يسؤك الله يا رسول الله، ألا
أزوجك من ليس دونها في الجمال والحسب ؟ قال: " من " ؟ قال: أختي قتيلة، قال: " قد
تزوجتها " قال: فانصرف الأشعث إلى حضرموت، ثم حملها حتى إذا فصل من اليمن، بلغه
وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها إلى بلاده وارتد وارتدت معه فيمن ارتد؛
فلذلك تزوجت؛ لفساد النكاح بالارتداد. قال الشيخ أبو محمد: وكان تزوجها قيس بن
مكشوح المرادي، وقيل: تزوجها عكرمة ابن أبي جهل، فوجد أبو بكر من ذلك وجداً
شديداً، وقال: لقد هممت أن أحرق عليهما بيتهما. فقال له عمر: يا خليفة رسول الله، إنها
والله ما هي من أزواجه، ما خيرها ولا حجبها، ولقد برأها الله منه بالارتداد الذي
ارتدت مع قومها. وكان تزوجه إياها سنة عشر، وقيل: قبل موته بشهرين، وقيل: تزوجها
في مرضه. وقال قائلون: إنه صلى الله عليه وسلم أوصى أن تخير، فإن شاءت ضرب
عليها الحجاب وتحرم على المؤمنين، وإن شاءت طلقها فلتنكح من شاءت، فاختارت
النكاح، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل. وكان عروة بن الزبير ينكر ذلك، ويقول: لم يتزوج
النبي صلى الله عليه وسلم قتيلة بنت قيس، ولا تزوج كندية إلا أخت بني الجون؛ ملكها،
وأتى بها فلما نظر إليها طلقها، ولم يبن بها صلى الله عليه وسلم. ومنهن:

عمرة
بنت معاوية الكندية
تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الشعبي: تزوج امرأة من كندة، فجيء بها
بعد وفاته صلى الله عليه وسلم. ذكر ذلك أبو الفرج بن الجوزي في التلقيح. ومنهن:
أسماء
بنت الصلت
وقيل: سناء بنت الصلت، قال أبو عمر: وهو الصواب؛ قال:
وقال عليّ ابن عبد العزيز بن
علي بن الحسن الجرجاني النسابة: هي وسناء بنت الصلت ابن حبيب بن حارثة بن
هلال بن حرام بن سماك بن عوف بن امرئ القيس ابن بهثة بن سليم السلمية؛ تزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فماتت قبل أن تصل إليه.
وقال غيره: فلما بشرت بذلك
ضحكت، وماتت من الفرح. وقال ابن إسحق: سناء بنت أسماء بن الصلت السلمي،
تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طلقها. وقال أبو نصر ابن ماكولا: سناء بنت
أسماء ماتت قبل أن يدخل بها. وقيل: لما مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالت أسماء: لو كان نبياً ما مات حبيبه، فخلى سبيلها.
وقال عبد الله بن عبيد بن
عمير الليثي: جاء رجل من بني سليم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله،
إن لي إبنة من جمالها وعقلها ما إني لأحسد الناس عليها غيرك، فهم النبي صلى الله عليه
وسلم أن يتزوجها، ثم قال: وأخرى يا رسول الله، لا والله ما أصابها عندي مرض قط،
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " لا حاجة لنا في ابنتك، تجيئنا نحمل خطاياها ! لا
خير في مال لا يرزأ منه، ولا جسم لا ينال منه ". وقال أبو عمر ابن عبد البر: وفي سبب
فراقها اختلاف، ولا يثبت فيها شيء من جهة الإسناد. ومنهن:
مليكة
بنت كعب الليثي
روى محمد بن عمر الواقدي، عن أبي معشر، قال: تزوج النبي صلى الله عليه وسلم
مليكة بنت كعب، وكانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة فقالت: أما تستحيين

أن تنكحي قاتل أبيك ؟ فاستعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلقها، فجاء
قومها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، إنها صغيرة ولا ولي لها، وأنها
خدعت فارتجعها، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستأذنوه أن يزوجوها قريباً لها
من بني عذرة، فأذن لهم فتزوجها العذري، وكان أبوها قتل يوم فتح مكة، قتله خالد بن
الوليد بالخندمة. قال محمد بن عمر: مما يضعف هذا الحديث، ذكر عائشة أنها قالت: ألا
تستحيين، وعائشة لم تكن مع النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح، وعن عطاء بن يزيد
الجندعي قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مليكة بنت كعب الليثي في شهر
رمضان، سنة ثمان، ودخل بها فماتت عنده، قال محمد بن عمر: وأصحابنا ينكرون ذلك،
ويقولون لم يتزوج كنانية قط، وعن الزهري مثل ذلك. ومنهن: ابنة جندب
بن ضمرة الجندعي
قال أبو محمد الدمياطي رحمه الله: روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ابنة
جندب بن ضمرة الجندعي، وأنكر ذلك الواقدي، وقال: لم يتزوج كنانية قط. ومنهن:
الغفارية
قال أبو محمد الدمياطي: قال بعضهم تزوج النبي صلى الله عليه وسلم امرأة من غفار،
فأمرها فنزعت ثيابها، فرأى بها بياضاً، فقال: " الحقي بأهلك " ويقال: إنما رأى البياض
بالكلابية. ومنهن:
خولة
بنت الهذيل بن هبيرة
ابن قبيصة بن الحارث بن حبيب بن حرفة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غنم
بن ثعلبة.
وأمها خرنق بنت خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس الكلبيّ أخت دحية بن
خليفة. تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهلكت في الطريق قبل وصولها إليه.
حكاه أبو عمر بن عبد البر عن الجرجاني النسابة. ومنهن: شراف
بنت خليفة بن فروة الكلبية، أخت دحية بن خليفة الكلبي

قال أبو محمد الدمياطي: قال ابن الكلبي حدثنا الشرقي بن القطامي قال: لما هلكت خولة
بنت الهذيل، تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم شراف بنت خليفة أخت دحية، ثم لم
يدخل بها. وقال أبو عمر بن عبد البر: فهلكت قبل دخوله بها.
وروي عن عبد الرحمن
بن سابط، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من كلب، فبعث عائشة
تنظر إليها، فذهبت ثم رجعت، فقال لها: " ما رأيت " ؟ فقالت ما رأيت طائلاً. فقال
صلى الله عليه وسلم: " لقد رأيت خالاً بخدها اقشعرت كل شعرة منك " فقالت: يا
رسول الله، ما دونك سرٌّ. ومنهن:
خولة
بنت حكيم
ابن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرّة بن هلال بن فالح بن ثعلبة بن ذكوان ابن امرئ
القيس بن سليم. ويقال فيها: خويلة بنت حكيم، وأمها صفية بنت العاص بن أمية بن
عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ. قال ابن الكلبيّ: كانت خولة بنت حكيم من اللائي
وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فأرجأها وكانت تخدم النبي صلى الله عليه
وسلم، وكانت عند عثمان بن مظعون فمات عنها. وعن عروة قال: خولة بنت حكيم ممن
وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم. وقال أبو عمر بن عبد البر: خولة تكنى أم
شريك، وهي التي وهبت نفسها للنبي، في قول بعضهم، وكانت امرأة فاضلة صالحة، روى
عنها سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن المسيب، وهي التي قالت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم: إن فتح الله عليك الطائف فأعطني حلي بادية بنت غيلان، أو حليّ الفارعة بنت
عقيل كما تقدم. ومنهن:
ليلى
بنت الخطيم بن عديّ
ابن عمرو بن سواد بن ظفر بن الحارث بن الخزرج بن عمرو، وهو النبيت بن مالك بن
الأوس، وهي أخت قيس بن الخطيم، واسم الخطيم ثابت، واسم ظفر كعب.
قال محمد بن سعد: عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: كانت ليلى بنت الخطيم وهبت

نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقبلها، وكانت تركب بعولتها ركوباً شديداً، وكانت سيئة الخلق، فقالت: لا والله، لأجعلن محمداً لا يتزوج في هذا الحي من الأنصار، والله لآتينه، ولأهبن نفسي له، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم مع رجل من أصحابه، فما راعه إلا بها واضعة يديها عليه، فقال: " من هذا ؟ أكله الأسد " فقالت: أنا ليلى بنت سيد قومها، قد وهبت نفسي لك، قال: " قد قبلتك؛ ارجعي حتى يأتيك أمري " فأتت قومها فقالوا: أنت امرأة ليس لك صبر على الضرائر، وقد أحل الله لرسوله أن ينكح ما شاء، فرجعت فقالت: إن الله أحل لك النساء، وأنا امرأة طويلة اللسان لا صبر لي على الضرائر، واستقالته فقال: " قد أقلتك ".

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت ليلى بنت الخطيم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مول ظهره إلى الشمس، فضربت على منكبيه، فقال: " من هذا ؟ أكله الأسد " وكان كثيراً ما يقولها، فقالت: أنا بنت مطعم الطير ومباري الريح، أنا ليلى بنت الخطيم، جئتك لأعرض عليك نفسي، تزوجني، قال: " قد فعلت " فرجعت إلى قومها، فقالت: قد تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: بئس ما صنعت، أنت امرأة غيرى، والنبي صلى الله عليه وسلم صاحب نساء، تغارين عليه فيدعو الله عليك، فاستقيليه نفسك، فرجعت فقالت: يا رسول الله، أقلني، قال: " قد أقلتك " قال: فتزوجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر، فولدت له، فبينا هي في حائط من حيطان المدينة تغتسل، إذ وثب عليها ذئب فأكل بعضها، وأدركت فماتت. ومنهن:

ليلى بنت حكيم

الأنصارية

الأوسية التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، قال أبو عمر بن عبد البر: ذكرها أحمد بن صالح المصري في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولم يذكرها غيره فيما علمت. والله تعالى أعلم. ومنهن:

أم شريك

واسمها غزيّة

بنت دودان بن عوف بن عمرو بن عامر بن رواحة بن منقذ بن عمير بن معيص ابن عامر
بن لؤي. وقال أبو عمر: غزيلة الأنصارية من بني النجار.
قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله: اختلف فيها، فكان محمد بن عمر يقول: هي
من بني معيص بن عامر بن لؤي، وكان غيره يقول: هي دوسية من الأزد، وقيل: هي
أنصارية. وروى ابن سعد، عن محمد بن عمر، عن موسى بن محمد ابن إبراهيم التيمي،
عن أبيه قال: كانت أم شريك امرأة من بني عامر بن لؤي، معيصية وهبت نفسها لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتت. وروى عن وكيع عن زكريا عن
عامر في قوله عز وجل: " ترجى من تشاء منهن "؛ قال: كل نساء وهبن أنفسهن للنبي صلى
الله عليه وسلم، فدخل ببعضهن وأرجأ بعضاً فلم ينكحن بعده، منهن: أم شريك. وعن
الشعبي قال: المرأة التي عزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شريك الأنصارية. وعن
علي بن الحسين:
أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم شريك الدوسية، ومثله عن عكرمة. وروى محمد
بن سعد عن محمد بن عمر قال: حدثني الوليد بن مسلم، عن منير بن عبد الله الدوسي
قال: أسلم زوج أم شريك - وهي غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية من الأزد - وهو أبو
العكر، فهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي هريرة، ومع دوس حين هاجروا،
قالت أم شريك: فجاءني أهل أبي العكر فقالوا: لعلك على دينه، قلت: إي والله، إني لعلى
دينه، قالوا: لا جرم، والله لنعذبنك عذاباً شديداً، فارتحلوا بنا من دارنا، ونحن كنا بذي
الخلصة، فساروا يريدون منزلاً، وحملوني على جمل ثفال، شر ركابهم وأغلظه، يطعموني
الخبز بالعسل، ولا يسقوني قطرة من ماء، حتى إذا انتصف النهار وسخنت الشمس، ونحن
قائظون، فنزلوا فضربوا أخبيتهم وتركوني في الشمس حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري،
ففعلوا بي ذلك ثلاثة أيام، فقالوا لي في اليوم الثالث: اتركي ما أنت عليه، قالت: فما دريت ما
يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة، فأشير بإصبعي إلى السماء بالتوحيد، قالت: فوالله إني لعلى

ذلك، وقد بلغني الجهد، إذ وجدت برد دلوٍ على صدري، فأخذته فشربت منه نفساً
واحداً، ثم انتزع مني، فذهبت أنظر فإذا هو معلق بين السماء والأرض، فلم أقدر عليه، ثم
دلي الثانية فشربت منه نفساً، ثم رفع، فذهبت أنظر، فإذا هو بين السماء والأرض، ثم دلي
الثالثة فشربت منه حتى رويت، فأهرقت على رأسي ووجهي وثيابي، قالت: فخرجوا
فنظروا، فقالوا: من أين لك هذا يا عدوة الله ؟ قالت فقلت لهم: إن عدو الله غيري؛ من
خالف دينه، فأما قولكم من أين هذا فمن عند الله رزقاً رزقنيه الله، قالت: فانطلقوا
سراعاً إلى قربهم فوجدوها موكأة لم تحل، فقالوا: نشهد أن ربك هو ربنا، فإن الذي رزقك
ما رزقك في هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا، هو الذي شرع الإسلام، فأسلموا
وهاجروا جميعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يعرفون فضلي عليهم، وما صنع
الله إلي، قال: وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، وكانت جميلة وقد
أسنت، فقالت: إني وهبت نفسي لك، وأتصدق بها عليك، فقبلها النبي صلى الله عليه
وسلم، فقالت عائشة: ما في امرأةٍ حين تهب نفسها لرجلٍ خيرٌ، قالت أم شريك: فأنا تلك؛
فسماها الله مؤمنة، فقال تعالى: " وامرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبي ". فلما نزلت هذه
الآية قالت عائشة: إن الله ليسرع لك في هواك يا رسول الله.

ومنهن:

الشنباء

ذكرها الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله، في أزواج النبي صلى
الله عليه وسلم، ولم يذكر لها ترجمة. فلنذكر من خطبهن صلى الله عليه وسلم.

خطبهن ولم يتزوجهن

منهن:

أم هانئ

بنت أبي طالب

ابن عبد المطلب بن هاشم، واسمها فاختة، وقال ابن الكلبي: اسمها هند، وهي أخت
علي بن أبي طالب، وعقيل وجعفر وطالب، شقيقتهم، وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم

بن عبد مناف. روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: خطب النبي صلى الله
عليه وسلم إلى أبي طالب ابنته أم هانئ في الجاهلية، وخطبها هبيرة بن أبي وهب بن
عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، فزوجها هبيرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " يا
عم، زوجت هبيرة وتركتني " ! فقال: يابن أخي إنا قد صاهرنا إليهم، والكريم يكافئ
الكريم. ثم أسلمت ففرق الإسلام بينها وبين هبيرة، فخطبها رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى نفسها فقالت: والله إن كنت لأحبك في الجاهلية، فكيف في الإسلام، ولكني
امرأة مصبية وأكره أن يؤذوك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خير نساء ركبن
المطايا نساء قريش، أحناه على ولدٍ في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده ". ومنهن:

ضباعة

بنت عامر بن قرط

ابن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

روى هشام بن محمد الكلبي، عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كانت ضباعة
بنت عامر عند هوذة بن علي الحنفي، فهلك عنها فورثها مالاً كثيراً، فتزوجها عبد الله بن
جدعان التيمي، وكان لا يولد له فسألته الطلاق فطلقها، فتزوجها هشام بن المغيرة فولدت له
سلمة، وكان من خيار المسلمين، فتوفى عنها هشام، وكانت إذا جلست أخذت من
الآرض شيئاً كثيراً، وكانت تغطي جسدها بشعرها، فذكر جمالها عند النبي صلى الله
عليه وسلم، فخطبها إلى ابنها سلمة بن هشام بن المغيرة، فقال: حتى أستأمرها، وقيل
للنبي صلى الله عليه وسلم: إنها قد كبرت فأتاها ابنها فقالت: ما قلت له ؟ قال: قلت
حتى أستأمرها، فقالت: وفي النبي صلى الله عليه وسلم يستأمر ! ارجع فزوجه، فرجع
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسكت عنه. ومنهن:

صفية بنت بشامة

بن نضلة العنبري

قال أبو محمد: كان أصابها سباءٌ، فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إن
شئت أنا، وإن شئت زوجك " فقالت: بل زوجي، فأرسلها فلعنتها بنو تميم. ومنهن:

جمرة
بنت الحارث بن عوفٍ المزني
خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبوها: إن بها سوءاً ولم يكن بها، فرجع
إليها أبوها وقد برصت، وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر.
ومنهن:
سودة القرشية
خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت مصبية فقالت: أكره أن تضغو صبيتي
عند رأسك، فحمدها ودعا لها، ذكرها والتي قبلها ابن الجوزي في التلقيح. وروى عن
مجاهد قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب فرد لم يعد، فخطب امرأة،
فقالت: حتى أستأمر أبي، فلقيت أباها فأذن لها، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت له، فقال: " قد التحفنا لحافاً غيرك " ولم يسم مجاهد اسم هذه المرأة.
وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم:
أمامة بنت حمزة
ابن عبد المطلب، وقيل: اسمها عمارة، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: تلك
ابنة أخي من الرضاعة ". وعرضت عليه أم حبيبة اختها.
فجميع من ذكر من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم المدخول بهن، وغير المدخول بهن،
ومن وهبت نفسها له، أو خطبها ولم يتفق تزويجها، أو عرضت عليه فأباها، نحو أربعين
امرأة على ما ذكرناه من الاختلاف، ومن أهل العلم من ينكر بعضهن، ويقول: إنما تزوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة امرأة، ست منهن قرشيات لا شك فيهن،
وهن: خديجة، وعائشة، وسودة، وأم سلمة، وأم حبيبة وحفصة.
ومن العرب: زينب بنت جحشٍ، وميمونة بنت الحارث، وجويرية بنت الحارث، وأسماء
بنت النعمان، وفاطمة بنت الضحاك، وزينب بنت خزيمة.
ومن غيرهم: ريحانة بنت زيد من بني النضير، وصفية بنت حيي بن أخطب.
وعن محمد بن يحيى بن حبان قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة
امرأة، فسمى هؤلاء، وزاد مليكة بنت كعب الليثية. وقال أبو عبيدة: تزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثماني عشرة امرأة.

وقال محمد بن عمر الواقدي: المجمع عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أربع
عشرة امرأة، وهن اللائي سمين، وفارق منهن الجونية والكلابية، ومات عنده خديجة،
وزينب بنت خزيمة، وريحانة بنت زيد، وقبض عن تسع، وهن المذكورات اللاتي قدمنا
ذكرهن.
وقال أبو سعيد في شرف النبوة: إن جملة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إحدى
وعشرين امرأة، طلق منهن ستاً، ومات عنده خمسٌ، وتوفي عن عشر، واحدة لم يدخل بها،
وكان صداقه لنسائه لكل واحدة خمسمائة درهم، إلا صفية فإنه جعل عتقها صداقها، وأم
حبيبة أصدقها عنه النجاشي.
سراري الرسول
وهن:
مارية بنت شمعون
القبطية
وهي أم ولده إبراهيم، وكانت من جفن من كورة أنصنا من صعيد مصر، أهداها له
المقوقس جريج بن مينا، ولما ولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم
قال: " أعتقها ولدها ". وتوفيت مارية في المحرم سنة ست عشرة، في خلافة عمر بن
الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر يحشر الناس بنفسه لشهود جنازتها، وصلى عليها
عمر، ودفنت بالبقيع.
وريحانة بنت زيد النضرية، وقد تقدم خبرها في الزوجات، وقال أبو عبيدة: كان له أربع،
وهن مارية وريحانة، وأخرى جميلة أصابها في السبي، وجارية وهبتها له زينب بنت
جحش. وقال قتادة: كان للنبي صلى الله عليه وسلم وليدتان مارية وريحانة، وبعضهم
يقول: ربيحة القرظية.
أولاد الرسول
روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان أول ولد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة قبل النبوة القاسم وبه كان يكنى، ثم ولدت له زينب، ثم رقية، ثم فاطمة،
ثم أم كلثوم، ثم ولد له في الإسلام عبد الله فسمي الطيب والطاهر، وأمهم كلهم خديجة

رضي الله عنها. وكان أول من مات من ولده القاسم، ثم عبد الله ماتا بمكة، فقال
العاصي بن وائل السهمي: قد انقطع ولده فهو أبتر؛ فأنزل الله تعالى: " إن شانئك هو الأبتر "
وقيل: الطيب والطاهر اثنان سوى عبد الله. وقيل: كان له الطاهر والمطهر ولدا في بطن.
وقيل: كان له الطيب والمطيب ولدا أيضاً في بطن. وقيل: إنهم كلهم ماتوا قبل النبوة، وكان
بين كل ولدين لها سنة، وكانت تسترضع لهم. وأما البنات فكلهن أدركن الإسلام، وأسلمن
وهاجرن، وسنذكر إن شاء الله تعالى أخبارهن ومن تزوجهن، وما ولدن على ما تقف
عليه، وهؤلاء كلهم أولاد خديجة ولدوا بمكة، ثم ولدت له مارية القبطية:
إبراهيم
بن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولد في ذي الحجة، سنة ثمان من الهجرة؛ قال أبو عمر بن عبد البر: ذكر الزبير عن
أشياخه، أن أم إبراهيم مارية ولدته بالعالية، في المال الذي يقال له اليوم مشربة إبراهيم
بالقف، وكانت قابلتها سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم، امرأة أبي رافع، فبشر به أبو
رافع النبي صلى الله عليه وسلم، فوهب له عبداً، فلما كان يوم سابعه عق عنه بكبشٍ
وحلق رأسه؛ حلقه أبو هند، وسماه يومئذ، وتصدق بوزن شعره ورقاً على المساكين،
وأخذوا شعره فدفنوه في الأرض. وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "
ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم " هذا يدل على أنه سماه في وقت ولادته، قال
الزبير: ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قينٍ بالمدينة، يقال له: أبو سيف، قال الزبير: وتنافست
الأنصار فيمن يرضعه، فجاءت أم بردة بنت المنذر بن زيد الأنصاري، زوجة البراء بن
أوسٍ، فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن ترضعه، فكانت ترضعه بلبن ابنها في
بني مازن بن النجار، وترجع به إلى أمه، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بردة
قطعة من نخل، فناقلت بها إلى مال عبد الله بن زمعة. وتوفي إبراهيم في شهر ربيع الأول
سنة عشر، وقد بلغ ستة عشر شهراً؛ مات في بني مازنٍ عند ظئره أم بردة، وهي خولة

بنت المنذر بن لبيد، وغسلته ودفن بالبقيع. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو
عاش لوضعت الجزية عن كل قبطي ". وقال أيضاً: " لو عاش إبراهيم ما رق له خالٌ ".
وفي حديث أنس بن مالك تصريح أن إبراهيم إنما مات عند ظئره أم سيف؛ فإنه يقول:
فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلقت معه،
فصادفنا أبا سيف ينفخ في كيره،
وقد امتلأ البيت دخاناً، فأسرعت في المشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم،
حتى انتهيت إلى أبي سيف فقلت: يا أبا سيف، أمسك، جاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فأمسك، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبي فضمه إليه وقال ما شاء
الله أن يقول، قال: فلقد رأيته يكيد بنفسه، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فقال: " تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون "
وقال أبو عمر بن عبد البر: ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى على ابنه
إبراهيم من غير رفع صوت، وقال: " تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب،
وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ". وعن عطاء، عن جابر قال: أخذ النبي صلى الله عليه
وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف، فأتى به النخل، فإذا ابنه إبراهيم في حجر أمه وهو يجود
بنفسه، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره، ثم قال: " يا إبراهيم إنا
لا نغني عنك من الله شيئاً "؛ ثم ذرفت عيناه، ثم قال: " يا إبراهيم لولا أنه أمرٌ حقٌ ووعد
صدقٌ، وأن آخرنا سيلحق أولنا لحزنا عليك حزناً هو أشد من هذا، وإنا بك يا إبراهيم
لمحزونون، تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ". قالوا: ووافق موت إبراهيم
كسوف الشمس، فقال قوم: إن الشمس انكسفت لموته، فخطبهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال: " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته؛ فإذا
رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله وإلى الصلاة ". وقال صلى الله عليه وسلم حين توفي
إبراهيم: " إن له مرضعاً في الجنة تتم رضاعه ". وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه

وسلم، وكبّر أربعاً، قال ابن عبد البر: هذا قول جمهور العلماء، وهو الصحيح، قال: وقد
قيل إن الفضل بن عباس غسل إبراهيم، ونزل في قبره مع أسامة بن زيد، ورسول الله صلى
الله عليه وسلم جالس على شفير القبر، قال الزبير: ورش قبره، وأعلم فيه بعلامة، وهو أول
قبر رش عليه.
فلنذكر بنات الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن تزوجهن، وما ولدن ووفاتهن، وهن أربع:
زينب
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
هي أسن بناته رضي الله عنهن. قال أبو عمر بن عبد البر: ولدت زينب بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سنة ثلاثين من موالد النبي صلى الله عليه وسلم، حكاه عن
محمد بن إسحق السراج عن عبيد الله بن محمد بن سليمان الهاشمي، وتزوج زينب أبو
العاص بن ربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، وهو ابن خالتها - أمه هالة بنت خويلد -
قبل أن ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرق بينهما الإسلام.
وقد ذكرنا من خبر ابن العاص وأسره في غزوة بدر وإطلاقه، وسقنا ذلك كله هناك، وخبر
إسلامه، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد زينب عليه بغير مهر جديد، ولا نكاح
جديد. وقيل: بل بمهر جديد ونكاح جديد - والله تعالى أعلم - وولدت له علياً مات
صغيراً، وأمامة وهي التي حملها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة، وعاشت
أمامة حتى تزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة، فكانت عنده حتى أصيب،
فخلف عليها المغيرة بن يزيد بن الحارث بن عبد المطلب، فتوفيت عنده، وماتت زينب في
سنة ثمان من الهجرة.
قال أبو عمر: وكان سبب موتها أنها لما خرجت من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم، عمد لها هبار بن الأسود ورجل آخر فدفعها أحدهما فيما ذكروا، فسقطت على
صخرة فأسقطت واهراقت الدماء، فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت رضي الله عنها.
رقية
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو عمر بن عبد البر: ذكر أبو العباس محمد بن إسحق، قال سمعت عبيد الله بن
محمد بن سليمان بن جعفر بن سليمان الهاشمي يقول: ولدت رقية بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم، و رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث وثلاثين سنة، وكانت رقية
عند عتبة بن أبي لهب، وأختها أم كلثوم عند عتيبة بن أبي لهب؛ فلما أنزل الله تعالى: "
تبت يدا أبي لهب " - السورة - قال لهما أبوهما أبو لهب وأمهما أم جميل بنت حرب بن
أمية، حمالة الحطب: فارقا ابنتي محمد، وقال أبو لهب: رأسي من رأسيكما حرام إن لم
تفارقا ابنتي محمد، ففارقاهما، فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة، وهاجرت معه إلى أرض
الحبشة، وولدت له هناك ابنا فسماه عبد الله، وبه كان يكنى، فبلغ الغلام ست سنين،
فنقر عينه ديكٌ وتورم وجهه فمرض ومات. وماتت رقية رضي الله عنها في شهر رمضان،
على رأس تسعة عشر شهرا. من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، و رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر، ودفنت عند وصول زيد بن حارثة بالبشارة بوقعة
بدر، وكانت قد أصابتها الحصبة، وتخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه عن غزوة بدر
بسبب مرضها، بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو عمر بن عبد البر: كانت فاطمة هي وأختها أم كلثوم أصغر بنات رسول الله صلى
الله عليه وسلم، واختلف في الصغرى منهما. وقال ابن السراج: سمعت عبيد الله
الهاشمي يقول: ولدت فاطمة رضي الله عنها في سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى
الله عليه وسلم، وزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم من علي بن أبي طالب رضي
الله عنه بعد وقعة أحد. وقيل: إنه تزوجها بعد أن ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعائشة رضي الله عنها، بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد تزويجه إياها بتسعة أشهر
ونصف. وكانت سنها يوم تزوجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف. قال أبو عمر:

واختلف في مهره إياها، فروى أنه مهرها درعه، وأنه لم يكن له ذلك الوقت صفراء ولا
بيضاء، وقيل: تزوجها على أربعمائة وثمانين درهما فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يجعل ثلثها في الطيب، قال: وزعم أصحابنا أن الدرع على من أجل الدخول، بأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه بذلك، فولدت رضي الله عنها له حسنا وحسينا
ومحسنا فذهب محسن صغيرا. وروى أبو عمر بن عبد البربسنده إلى علي رضي الله عنه
قال: لما ولد الحسن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " أروني ابني ما سميتموه "
؟ قلت: سميته حربا، قال: " بل هو حسن " فلما ولد الحسين قال: " أروني ابني ما
سميتموه " ؟ قلت: سميته حربا، قال: " بل هو حسين " فلما ولد الثالث جاء النبي صلى
الله عليه وسلم فقال: " أروني ابني ما سميتموه " ؟ قلت سميته حربا، قال: قال: " بل
محسن "، ثم قال: إني سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر ". وولدت له رقية
وزينب وأم كلثوم، فهلكت رقية، ولم تبلغ، وتزوج زينب عبد الله بن جعفر فماتت عنده،
وولدت له علي بن عبد الله بن جعفر، وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب فولدت له زيد بن
عمر، ثم خلف عليها بعده عون بن جعفر فلم تلد له حتى مات، وخلف عليها بعده محمد
بن جعفر فولدت له حارثة ومات عنها. فخلف عليها عبد الله ابن جعفر فلم تلد له شيئا
وماتت عنده، وقيل: بل توفي عنها، وماتت فاطمة رضي الله عنها بعد وفاة أبيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر، وقيل: بستة أشهر، وقيل: بثمانية.

أم كلثوم

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد ذكرنا الاختلاف في أيهما أصغر سنا هي أو فاطمة، وكانت عند عتيبة بن أبي لهب،
فلما قال له أبواه ولأخيه ما قالا طلقا بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبنيا بهما،
وجاء عتيبة حين فارق أم كلثوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: كفرت بدينك
وفارقت ابنتك وسطا عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أما إني أسأل الله أن

يسلط عليك كلباً من كلابه " وكان خارجا إلى الشام تاجرا مع نفر من قريش، حتى نزلوا
مكانا من الشام يقال له الزرقاء ليلا، فأطاف بهم الأسد تلك الليلة، فجعل عتيبة يقول: يا
ويل أمه، هو والله آكله بدعوة محمد، قاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام. وقال أبو
لهب: يا معشر قريش، أعينونا هذه الليلة، فإني أخاف دعوة محمد، فجمعوا أحمالهم
وفرشوا لعتيبة في أعلاها وناموا حوله، فقيل: إن الأسد انصرف عنهم حتى ناموا وعتيبة في
وسطهم، ثم أقبل يتخطاهم ويتشممهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه.
قال أبو عمر: ولما ماتت رقية تزوج عثمان بن عفان بأم كلثوم في شهر ربيع الأول من السنة
الثالثة من الهجرة، وبنى عليها في جمادى الآخرة من السنة، وتوفيت أم كلثوم رضي الله
عنها في السنة التاسعة من الهجرة، ولم تلد لعثمان شيئا، وكانت وفاتها في شعبان، وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان: " لو كانت عندنا ثالثة زوجناكها يا عثمان "
وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل في حفرتها علي بن أبي طالب،
والفضل بن العباس وأسامة بن زيد.
وقد روى أن أبا طلحة الأنصاري استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل معهم
في قبرها فأذن له، وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب، وهي التي
شهدت أم عطية غسلها، وحكت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اغسلنها وترا
ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك " الحديث. قال: وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قبر أم كلثوم.
أعمام الرسول
كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمومة أحد عشر، أولاد عبد المطلب ابن
هاشم، وهم:
الحارث
- وبه كان يكنى؛ لأنه أكبر ولده، ومن ولد الحارث وولد ولده جماعة لهم صحبة من النبي
صلى الله عليه وسلم، منهم أبو سفيان بن الحارث، أسلم عام الفتح كما ذكرنا في غزوة

الفتح وشهد حنيناً، ونوفل بن الحارث هاجر وأسلم أيام الخندق، وعبد شمس وسماه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله.
قثم
بن عبد المطلب - وهو أخو الحارث لأبويه؛ مات صغيراً.
الثالث -
الزبير
بن عبد المطلب، وكان من أشراف قريش. وابنه عبد الله بن الزبير شهد حنيناً وثبت
يومئذ واستشهد بأجنادين، وضباعة بنت الزبير، لها صحبة، وأم الحكم بنت الزبير، روت
عن النبي صلى الله عليه وسلم.
حمزة
بن عبد المطلب
كان يقال له: أسد الله وأسد رسوله، يكنى أبا عمارة وأبا يعلى. وهو أخو رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الرضاع. وقد قدمنا في أنباء هذه السيرة خبر إسلامه ومقتله في
غزوة أحد. ولم يكن له إلا ابنة واحدة. وقيل: ابنتان. وقد ذكرناهما فيمن عرض على
رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء فأباهن.
العباس
بن عبد المطلب
كان يكنى أبا الفضل بابنه الفضل بن العباس، وكان العباس أسن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسنتين، وقيل: بثلاث سنين، وأمه نتلة، ويقال: نتيلة بنة جناب بن كليب بن
مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر وهو الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم
الله بن النمر بن قاسط. وهي أول عربية كست البيت الحرام الحرير والديباج وأصناف
الكسوة. وذلك أن العباس ضل وهو صبي، فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت الحرام،
فوجدته ففعلت.
وقد تقدم من خبر العباس في غزوة بدر عند أسره، وقوله لرسول الله صلى الله عليه
وسلم: إني كنت مسلماً، وإن القوم استكرهوني على الخروج.
وقال أبو عمر بن عبد البر: أسلم العباس قبل خيبر وكان يكتم إسلامه. قال: ويقال إنه
أسلم قبل بدر، وكان يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخبار المشركين، وكان

يحب أن يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم: " إن مقامك بمكة خيرٌ " فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: "
من لقي منكم العباس فلا يقتله فإنه أخرج كرهاً ". وكان العباس أنصر الناس لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد أبي طالب، وولي السقاية بعد أبي طالب وقام بها، وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكرم العباس بعد إسلامه ويعظمه ويجله، ويقول: " هذا عمي
وصنو أبي ". وكان العباس جواداً مطعماً، وصولاً للرحم، ذا رأي حسن، ودعوة مرجوة.
وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس في سنة سبع عشرة وذلك
عام الرمادة، وكانت الأرض أجدبت إجداباً شديداً. فقال كعب لعمر: يا أمير المؤمنين، إن
بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء فقال عمر رضي الله عنه؛
هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه، وسيد بني هاشم. فمشى إليه عمر
فشكا إليه ما فيه الناس. ثم قال: اللهم إنا قد توجهنا إليك بعم أبينا وصنو أبيه، فاسقنا
الغيث، ولا تجعلنا من القانطين. ثم قال: يا أبا الفضل قم فادع. فقام العباس فقال بعد حمد
الله والثناء عليه: اللهم إن عندك سحاباً وعندك ماء، فانشر السحاب، ثم أنزل الماء منه
علينا، فاشدد به الأصل، وأطل به الفرع، اللهم إنك لم تنزل بلاء إلا بذنب، ولم تكشفه إلا
بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك فاسقنا الغيث، اللهم شفعنا في أنفسنا وأهلينا، اللهم إنا
شفعاء عمن لا ينطق من بهائمنا وأنعامنا، اللهم اسقنا سقياً وادعاً، نافعاً طبقاً سحاً
عاماً. اللهم لا نرجو إلا إياك، ولا ندعو غيرك، ولا نرغب إلا إليك. اللهم إليك نشكو جوع
كل جائع، وعري كل عارٍ، وخوف كل خائف، وضعف كل ضعيف. في دعاء كثير.
قال ابن عبد البر: وهذه الألفاظ كلها لم تجئ في حديث واحد، ولكن جاءت في أحاديث
جمعتها واختصرتها ولم أخالف شيئاً منها، وفي بعضها، فسقوا والحمد لله. وفي بعضها قال:
فأرخت السماء عزاليها فجاءت بأمثال الجيال، حتى استوت الجفر بالآكام، وأخصبت

الأرض، وعاش الناس. فقال عمر: هذا والله الوسيلة إلى الله والمكان منه. وقال حسان
بن ثابت في ذلك:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبي وصنو والده الذي ورث النبي بذاك دون الناس
أحيا الإله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجناب بعد الياس

وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمي سقى الله الحجاز وأهله عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغباً فما كر حتى جاء بالديمة المطر

وتوفي العباس - رضي الله عنه - بالمدينة يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر
رجب. وقيل: من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان وصلى عليه
عثمان، ودفن بالبقيع وهو ابن ثمان وثمانين سنة. وقيل: تسع وثمانين سنة. وقال خليفة بن
خياط: كانت وفاة العباس سنة ثلاث وثلاثين، ودخل قبره ابنه عبد الله. وكان للعباس من
الولد: الفضل وهو أكبر أولاده وبه كني، وعبد الله، وعبيد الله، وقثم. ولهم صحبةٌ.
وعبد الرحمن ومعبد ولدا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم استشهدا بإفريقية في
خلافة عثمان بن عفان، وأم حبيب، كلهم من أم الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن
الهلالية، وهي أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، يقال: إنها أول امرأة أسلمت
بعد خديجة، وكانت من المنجبات، وفيها يقول عبد الله بن يزيد الهلالي:

ما ولدت نجيبة من فحل بجبلٍ نعلمه وسهل
كستةٍ من بطن أم الفضل أكرِم بها من كهلةٍ وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل وخاتم الرسل وخير الرسل

وكان له من غير أم الفضل أربعة ذكور، وهم: عون، والحارث أمه من هذيل. وكثير وتمام
أمهما أم ولدٍ، وكان أصغر أولاد العباس فكان العباس يحمله ويقول:

تمموا بتمام فصاروا عشره يا رب فاجعلهم كراماً بررة
واجعل لهم ذكراً وأنم الثمرة

ويقال: ما رؤيت قبورٌ أشد تباعداً بعضها من بعض من قبور بني العباس، ولدتهم أمهم أم
الفضل في دار واحدة، استشهد الفضل بأجنادين، ومات معبد وعبد الرحمن بإفريقية، وتوفي

عبد الله بالطائف، وعبيد الله باليمن، وقثم بسمرقند وكثير بينبع. وتوفي العباس بعد أن
كف بصره. ولم يسلم من أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حمزة والعباس رضي
الله عنهما.
والسادس من عمومته صلى الله عليه وسلم - أبو طالب واسمه عبد مناف وهو أخو
عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم لأبويه. وعاتكة صاحبة الرؤيا في شأن بدر، أمهم
فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. وقد تقدم من أخباره ونصرته لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما نستغني عن إعادته في هذا الموضع.
وكان له من الولد طالبٌ مات
كافرا، وعقيل وجعفر وعلي وأم هانئ لهم صحبة، وجمانة.
وحكى عمر بن عبد البر: كان
علي بن أبي طالب أصغر من أخيه جعفر بعشر سنين، وكان جعفر أصغر من عقيل بعشر
سنين، وكان عقيل أصغر من طالب بعشر سنين.
والسابع من عمومة رسول الله صلى الله عليه وسلم - أبو لهب. واسمه عبد العزى كناه أبوه بذلك لحسن وجهه، ومن أولاده عتبة، ومعتب ثبتا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، وعتيبة قتله الأسد بالزرقاء، كما تقدم.
الثامن - عبد الكعبة، وقيل: هو المقوم، ومنهم من جعل المقوم غير عبد الكعبة فجعل
عمومته اثني عشر.
والتاسع - حجل واسمه المغيرة.
والعاشر - ضرار وهو أخو العباس لأبويه.
والحادي عشر - الغيداق سمي بذلك لأنه كان أكرم قريش، وأكثرهم إطعاماً. ومنهم من
جعل الغيداق حجلا وعدهم عشرة. حكاه ابن عبد البر. وقد عد الزبير ابن بكار أولاد
عبد المطلب ثلاثة عشر، وعد المقوم غير عبد الكعبة، وجعله شقيق حمزة وحجل
وصفية. والله أعلم بالصواب.
عمات الرسول
كان له من العمات صلى الله عليه وسلم ست: الأولى - صفية
بنت عبد المطلب، وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة، وهي شقيقة حمزة
والمقوم وحجل، وكانت صفية في الجاهلية تحت الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس،

ثم هلك عنها وتزوجها العوام بن خويلد بن أسد فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة.
وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين من الهجرة ولها ثلاث وسبعون سنة.
ودفنت بالبقيع بفناء دار المغيرة بن شعبة، ولها هجرة.
عاتكة
بنت عبد المطلب
اختلف في إسلامها، وهي صاحبة الرؤيا، وكانت عند أبي أمية بن المغيرة ابن عبد الله
المخزومي، فولدت له عبد الله أسلم وله صحبة، وزهيراً وقريبة الكبرى.
أروى
بنت عبد المطلب
وقد اختلف أيضاً في إسلامها، وكانت عند عمير بن وهب بن عبد الدار بن قصي،
فولدت له طليب بن عمير، وكان من المهاجرين الأولين، شهد بدراً وقتل بأجنادين شهيداً.
أميمة
بنت عبد المطلب
كانت عند جحش بن رياب، ولدت له عبد الله بن جحش قتل بأحد شهيداً، وأبا أحمد
الأعمى الشاعر واسمه عبد، وزينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأم حبيبة وحمنة،
كلهم له صحبة، وعبيد الله بن جحش، أسلم ثم تنصر ومات بالحبشة كافراً.
برة
بنت عبد المطلب
وكانت عند عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له أبا سلمة
واسمه عبد الله، وكان زوج سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم.
أم حكيم
البيضاء بنت عبد المطلب
وكانت عند كريزٍ بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، فولدت له أروى
بنت كريز، وهي أم عثمان بن عفان.
هؤلاء أعمامه صلى الله عليه وسلم وعماته؛ أسلم منهم حمزة والعباس وصفية بلا
اختلاف، واختلف في عاتكة وأروى، وبقيتهم ماتوا على شركهم.
قال أبو عمر ابن عبد
البر: كان عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طالب والزبير وعبد الكعبة

وأم حكيم وأميمة وأروى وعاتكة، أمهم كلهم فاطمة بنت عمرو ابن عائذ بن عمران بن
مخزوم، وكان حمزة والمقوم وحجل وصفية أمهم هالة بنت وهيب، وكان العباس وضرار
وقثم أمهم نتيلة، وأم الحارث سمراء بنت جنيدب ابن جندب بن حرثان بن سواءة بن
عامر بن صعصعة، وقيل: صفية بنت جندب ابن حجير بن رياب بن حبيب بن سواءة،
وأم أبي وهب لبنى بنت هاجر بن خزاعة. والله تعالى أعلم.
فلنذكر خدمه صلى الله عليه وسلم:
خدم الرسول
الأحرار وهم أحد عشر رجلاً
أنس بن مالك
بن النضر
ابن ضمضم بن زيد الأنصاري النجاري، كان يكنى أبا حمزة، وأمه أم سليم بنت ملحان
الأنصارية. خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين، عند مقد رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة للهجرة، واختلف في وقت وفاته فقيل: مات في سنة
إحدى وتسعين، وقيل: سنة اثنتين وتسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين. قال خليفة ابن
خياط: مات أنس وله مائة وثلاث سنين، وقيل: كان سنه إذ مات مائة وعشر سنين، وقيل
غير ذلك. وأما ما قيل فيه مائة سنة إلا سنة، حكى هذه الأقوال أبو عمر بن عبد البر؛
قال: ويقال إنه آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقال:
إنه قدم من صلبه وولد ولده نحواً من مائة قبل موته، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم دعا له فقال: " اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له " قال أنس: فإني أكثر الأنصار مالاً.
ويقال: إنه ولد لأنس ثمانون ولداً منهم ثمانية وسبعون ذكراً وأنثيان.
هند وأسماء
ابنا حارثة
ابن هند الأسلميان؛ شهدا بيعة الرضوان في إخوة لهما ستةٍ، وهم: هند وأسماء وخراش
وذؤيب وفضالة وسلمة ومالك وحمران، ولم يشهدها أخوةٌ في عددهم غيرهم، ولزم منهم
النبي صلى الله عليه وسلم هند وأسماء، وكانا من أهل الصفة، ومات هند بالمدينة في

خلافة معاوية، وتوفى أسماء في سنة ست وستين. بالبصرة وهو ابن ثمانين سنة.

ربيعة بن كعب الأسلمي

وهو ربيعة بن كعب بن مالك بن يعمر الأسلمي أبو فراس، وكان من أهل الصفة، وكان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر، وصحبه قديماً، ومات في سنة ثلاث وستين بعد الحرة.

عبد الله بن مسعود

ابن غافل بن حبيب بن شمخ بن فارٍ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث ابن تميم الهذلي، وكنيته أبو عبد الرحمن، وهو حليف بني زهرة، وأمه: أم عبد بنت عبد ودٍ بن سواء بن قويم بن صاهلة بن كاهل بن هذيل. أسلم عبد الله في أول الإسلام، وكان سبب إسلامه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو يرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فأخذ شاة حائلاً من تلك الغنم فدرت عليه لبناً غزيراً فأسلم، ثم ضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، وكان يلبسه نعليه إذا قام، وإذا جلس جعلهما في دراعته حتى يقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يمشي أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى، ويستره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذنك على أن يرفع الحجاب وأن تسمع سوادي حتى أنهاك ". وكان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك، وهو أحد من شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، ومات ابن مسعود المدينة في سنة اثنتين وثلاثين، وصلى عليه عثمان بن عفان، وقيل: عمار، وقيل: الزبير بن العوام ودفنه بالبقيع ليلاً بإيصائه إليه بذلك، ولم يعلم عثمان فعاتب الزبير، وكان يوم توفى ابن بضع وستين سنة.

عقبة بن عامر بن عبس

الجهني من جهينة بن زيد بن سود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وكان يكنى أبا حماد، وقيل: أبا أسد، وقيل: أبا عمرو، وقيل: أبا سعاد، وقيل: أبا الأسود، وقيل: أبا

عمار، وأبا عامر. وكان عقبة بن عامر صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم،
يقودها به في الأسفار. قال أبو عمر: سكن عقبة بن عامر مصر، وكان والياً عليها، وابتنى
بها داراً، وتوفى في آخر خلافة معاوية.

بلال
بن رباح المؤذن
مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وكان يكنى أبا عبد الله،، ويقال: أبا عبد
الكريم، وقيل: أبا عبد الرحمن، وقيل: أبا عمرو، وقد تقدم خبره في أول السيرة. وأمه
حمامة، وكان خازناً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وآخى بينه وبين عبيدة بن الحارث
بن عبد المطلب، وكان بلال رضي الله عنه صادق الإسلام طاهر القلب، وكان من مولدي
السراة. مات بدمشق سنة عشرين، وهو ابن ثلاث وستين سنة، ودفن بمقبرتها عند الباب
الصغير، وقيل: مات سنة إحدى وعشرين وهو ابن سبعين سنة.

سعد
مولى أبي بكر الصديق
رضي الله عنهما، خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروي عن الحسن البصري،
ويعد في أهل البصرة.

ذو مخمر
بن أخي النجاشي
ويقال: ابن أخته، ويقال فيه: ذو مخبر، خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن
عبد البر: وقد عده بعضهم في موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم، له أحاديث خرجها
أهل الشام وهو معدود فيهم.

بكير
بن شداخ الليثي
وقيل فيه: بكر، عده الشيخ أبو محمد الدمياطي في خدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم.

أبو ذر الغفاري
ويقال أبو الذر، والأول أشهر. واختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، فقيل: جندب بن جنادة،
وهو أصح ما قيل فيه إن شاء الله. وذكر أبو عمر بن عبد البر الاختلاف في اسمه، وترجم
عليه بعد ذلك: جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن الواقفة بن حرام بن غفار بن

مليل بن ضمرة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار الغفاري، وأمه
رملة بنت الوقيعة، من بني غفار، تقدم خبر إسلامه في وفد غفار في أول هذا السفر، وأقام
أبو ذر عند قومه بعد إسلامه حتى مضت بدرٌ وأحدٌ والخندق، ثم قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصحبه إلى أن مات. وقد ذكرنا قصة أبي ذر في غزوة تبوك، وقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث
وحده " وكان من خبره أنه خرج بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الشام، فلم
يزل به حتى كانت خلافة عثمان بن عفان، فاستقدمه عثمان لشكوى معاوية، وأسكنه
الربذة، فمات بها وصلى عليه عبد الله بن مسعود، وكان قد أقبل من الكوفة فدعي إلى
الصلاة عليه، فقال: من هذا ؟ فقيل: أبو ذر، فبكى طويلاً وقال: أخي وخليل عاش
وحده، ومات وحده، ويبعث وحده، طوبى له.
وذلك في سنة ست وثلاثين من الهجرة. روى عن أبي ذر جماعة من الصحابة، وكان من
أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والقول بالحق؛ سئل علي رضي الله عنه عن أبي ذر
فقال: ذاك رجلاً وعى علماً عجز عنه الناس، ثم أوكأ عليه ولم يخرج شيئاً منه. وروي
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما أظلت
الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر " و " من سره أن ينظر إلى
تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى تواضع أبي ذر ". وفضائله كثيرة رضي الله عنه.
وذكر أبو عمر بن عبد البر في خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم " أسلع بن شريك "
الأعوجي التميمي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحب راحلته، وأبو سلام
الهاشمي، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاه.
موالي الرسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال الشيخ أبو محمد الدمياطي رحمه الله تعالى: ومواليه من الرجال أحد وثلاثون، وهم:
زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي - وكان لخديجة فاستوهبه رسول الله صلى الله عليه

وسلم منها وأعتقه، وقد تقدمت أخبار ومقتله في مؤتة.
وأسامة بن زيد بن حارثة - وأمه أم أيمن، بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم،
ومات أسامة في خلافة معاوية، في سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة تسع، وقيل: سنة أربع
وخمسين، وصححه أبو عمر. وكان عمره يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع
عشرة سنة، وقيل: عشرين، وقيل: ثماني عشرة، وسكن بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وادي القرى، ثم رجع إلى المدينة فمات بالجرف.
وثوبان بن بجدد - وكنيته أبو عبد الله على الأصح، وهو من أهل السراة، والسراة موضع
بين مكة واليمن، وقيل: من حمير، وقيل: إنه من حكم بن سعد العشيرة، أصابه سباء
فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه، ولم يزل معه في السفر والحضر إلى أن توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إلى الشام فنزل الرملة، ثم انتقل إلى حمص فابتنى
بها داراً: وتوفي بها سنة أربع وخمسين، وكان ممن حفظ عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأدى ما وعى. روى عن جماعة من التابعين.
وأبو كبشة سليم - شهد بدراً والمشاهد كلها، قيل: هو من فارس، وقيل: من مولدي
أرض دوس، وقيل: من مولدي مكة، ابتاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه، وتوفي
في سنة ثلاث عشرة، في اليوم الذي استخلف فيه عمر بن الخطاب، وقيل: توفي في سنة
ثلاث وعشرين، في اليوم الذي ولد فيه عروة بن الزبير. والله تعالى أعلم.
وأنسة - ويكنى أبا مسرح، ويقال أبو مسروح - وكان من مولدي السراة - اشتراه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه. ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدراً، وقال ابن
إسحاق: كان يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس فيما حكاه مصعب
الزبيري، ومات في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.
وشقران - واسمه صالح، وكان حبشياً، قيل: ورثه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
أبيه وأعتقه بعد بدر، قيل: اشتراه من عبد الرحمن بن عوف وأعتقه، وقيل وهبه له فأعتقه
وأوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته.

ورباح - وكان أسود نوبياً اشتراه من وفد عبد القيس وأعتقه، قال أبو عمر: وربما أذن
على النبي صلى الله عليه وسلم أحياناً؛ إذا انفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يأخذ عليه الإذن.
ويسار - وكان نوبياً أصابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته، وهو الذي
قتله العرنيون كما تقدم.
وأبو رافع - واسمه أسلم، وقيل؛ إبراهيم، وكان عبداً للعباس، فوهبه للنبي صلى الله
عليه وسلم، فلما أسلم العباس بشر أبو رافع رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه،
فأعتقه وزوجه سلمى مولاته، فولدت له عبيد الله، وكان عبيد الله كاتباً لعلي بن أبي
طالب رضي الله عنه في آخر خلافته كلها، قيل: وخازنا أيضاً. ومات أبو رافع في آخر
خلافة عثمان بالمدينة، وقيل: في خلافة علي، قيل: وكان أبو رافع قبطياً.
وأبو مويهبة - وكان من مولدي مزينة، اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه.
ورافع - قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله: كان مولى لسعيد بن العاص، فورثه
ولده، فأعتقه بعضهم وتمسك بعضهم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينه
فوهب له، فكان يقول: أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد حكى أبو عمر ذلك
في أحد القولين عن أبي رافع المقدم ذكره. والله أعلم.
وفضالة - وهو مذكور في موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال ابن عبد البر: لا
أعرفه بغير ذلك، قيل: إنه مات بالشام.
ومدعم - اسود، وهبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن زيد الجذامي، وهو
الذي قتل بوادي القرى، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الشملة التي غلها
تشعل عليه ناراً ".
وكركرة - وكان على بغلة النبي صلى الله عليه وسلم وكان نوبياً أهداه له هوذة بن علي
فأعتقه.
وزيد - وهو جد بلال بن يسار بن زيد.
وعبيد، وطهمان - موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختلف في طهمان، فقيل:

طهمان، وقيل: طهوان، وقيل: ذكوان، وأما عبيد فروى عنه سليمان التيمي.
ومابور - أهداه إليه المقوقس، وقيل: كان خصياً.
وواقد، وأبو واقد، وهشام، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله
إن امرأتي لا تمنع يد لامس، قال: " طلقها " قال: إنها تعجبني. قال: " فاستمتع بها ".
وأبو ضميرة - قيل: اسمه يعد الحميري، قال البخاري: وقيل في اسمه غير ذلك. وكان مما
أفاء الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو جد حسين بن عبد الله بن ضميرة،
وقيل: وكان من العرب فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب له كتابا يوصي به
فهو بيد ولده، قال أبو عمر: وقدم حسين بن عبد الله بن ضميرة على المهدي بكتاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالإيصاء بأبي ضمرة وولده، فوضعه المهدي على عينيه، ووصله
بثلثمائة دينار.
وحنين - قال أبو عمر بن عبد البر: كان عبدا وخادما للنبي صلى الله عليه وسلم،
فوهبه لعمه العباس فأعتقه العباس قال: وقد قيل إنه مولى علي بن أبي طالب، وعده الشيخ
أبو محمد في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وأبو عسيب - واسمه أحمر.
وأبو عبيدة سفينة - فكان عبد لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقته،
واشترطت عليه أن يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته، فقال: لو لم تشترطي
علي ذلك ما فارقته، وكان اسمه رباح، وقيل: عمير: وقيل: رومان. وقيل: مهران. قال
الواقدي: وقال أبو عمر: مهران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم غير سفينة.
سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة بهذا الاسم، لأنه كان معه في سفر؛ فكان
كل من أعيا ألقى عليه متاعه سيفا أو ترسا، فمر النبي صلى الله عليه وسلم به، فقال: "
أنت سفينة " وكان أسود من مولدي الأعراب.
وأبو هند - وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه زوجوا أبا هند،
وتزوجوا إليه، قال أبو محمد: ابتاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من الحديبية
وأعتقه.

وأنجشة - وكان حادياً للجمال، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له: " يا
أنجشة رفقاً بالقوارير ".
وأنيسة - وكان حبشياً فصيحاً شهد بدراً، وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة.
وأبو لبابة - كان لبعض عمات رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه، وهو معدود في
موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ورويفع - سباه رسول الله صلى الله عليه وسلم من هوازن فأعتقه.
وسعد - وهو الذي روى عنه أبو عثمان النهدي. ذكره أبو عمر بن عبد البر.
هؤلاء المشهورون من موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو محمد عبد المؤمن
رحمه الله: وقد قيل إنهم أربعون، وزاد يوسف بن الجوزي: أبا كندير، وسلمان الفارسي،
وسالماً، وسابقاً - ذكره أبو عمر - خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزيد بن
رصولا، وعبيد الله بن أسلم، ونبيه: وقيل فيه: النبيه، وقيل النبيه، بضم النون وفتحها،
ووردان.
وذكر أبو عمر بن عبد البر في موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة أخر، منهم
أبو الحمراء واسمه هلال بن الحارث، ويقال: هلال بن ظفر، وأفلح، وذكوان، وفي اسمه
خلاف، وأبو عبيد، له رواية، وأبو لقيط، وأبو السمح أيادٍ، وقيل: خادم رسول الله صلى
الله عليه وسلم، وضميرة بن أبي ضميرة، قال أبو عمر: مر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بأم ضميرة وهي تبكي فقال: " ما يبكيك أجائعة أنت أم عارية " ؟ فقالت: يا
رسول الله، فرق بيني وبين ابني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يفرق بين والدة
وولدها " ثم أرسل إلى الذي عنده ضميرة فابتاعه منه.
وكيسان، أو مهران - واسمه هرمز يسمى أبا كيسان، اختلف فيه على عطاء بن
السائب، فقيل: كيسان، وقيل: طهمان، وقيل: ذكوان، وأبو بكرة نفيع بن مسروح، وهو ابن
سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي، معدود في موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتقه لما نزل إليه من حصن الطائف، وأسلم
فكان يقول: أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أبى الناس إلا أن ينسبوني فأنا
نفيع بن مسروح، وكناه رسول الله أبا بكرة؛ لأنه تدلى إليه من بكرة من الحصن.
وأبو سلمى - راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قيل: اسمه حارث، فهؤلاء عشرة
أخر لتكملة خمسين. والله أعلم.
ومن النساء: أم عياش، وأميمة، وأم رافع سلمى، وبركة أم أيمن، ومارية، وريحانة، وربيحة،
وميمونة بنت أبي عسيب، وخضرة، ورضوى، وأم ضميرة. وذكر أبو عمر بن عبد البر
أميمة لها رواية، وميمونة بنت أبي عنبسة غير ميمونة المذكورة آنفاً، والله أعلم.
حراس الرسول
في غزواته، وهم ثمانية: سعد بن معاذ حرسه يوم بدر حين نام بالعريش، وذكوان بن عبد
الله بن قيس، ومحمد بن مسلمة الانصاري حرسه بأحد، والزبير بن العوام حرسه يوم
الخندق، وعباد بن بشر، وسعد بن أبي وقاص، وأبو أيوب الأنصاري حرسه بخيبر ليلة بني
بصفية، وبلال حرسه بوادي القرى. ولما أنزل الله تعالى: " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك
من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس " ترك عند ذلك الحرس.
كُتّاب الرسول
وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب وعامر
بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، وأبي بن كعب، وثابت بت قيس بن شماس، وخالد بن
سعيد بن العاص، وحنظلة بن الربيع الأسدي، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان،
وشرحبيل بن حسنة، وكان معاوية وزيد يكتبان الوحي. قال الشيخ الإمام الفاضل محمد
بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي رحمه الله تعالى في
كتاب الأعلام له: والعلاء بن الحضرمي، قال: وكان المداويم على الكتابة زيد ومعاوية، قال:
ويقال إن معاوية لم يكتب له من الوحي شيئاً، وإنما كان يكتب إلى الأطراف، وكتب له عبد

الله بن سرح ثم ارتد، فلما كان يوم الفتح أسلم وحسن إسلامه، وذكر القضاعي: وكان
الزبير بن العوام وجهم بن سعد يكتبان أموال الصدقة، وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص
النخل، وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان المداينات والمعاملات. وذكر الحافظ
أبو الخطاب بن دحية: أن كتابه عليه السلام ينتهون إلى ستة وعشرين، والله أعلم.
قال: وقد قدمنا ذكر رسله صلى الله عليه وسلم
رفقاء الرسول
النجباء وهم اثنا عشر: أبو بكر، وعمر، وحمزة، وعلي، وجعفر، وأبو ذر، والمقداد،
وسلمان، وحذيفو، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وبلال بن رباح.
وكان علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومحمد بن سلمة وعاصم بن أبي الأفلح
والمقداد، رضوان الله عليهم أجمعين يضربون الأعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم، وحين
ذكرنا من سيرته صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا، فلنأخذ الآن في ذكر صفاته الذاتية
والمعنوية وأحواله صلى الله عليه وسلم.
صفة الرسول
قد وردت الأخبار الصحيحة والمشهورة من حديث علي بن أبي طالب وأنس بن مالك
وأبي هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين و ابن أبي هالة وأبي جحيفة وجابر بن
سمرة وأم معبد وابن عباس، ومعرض بن معيقب وأبي الطفيل، والعداء بن خالد وخريم بن
فاتك وحكيم بن
زام، وغيرهم رضوان الله عليهم: أنه كان صلى الله عليه وسلم ربعة
من القوم: لا بائنٌ من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، بعيد بين المنكبين،
أبيض اللون، مشرب حمرة، وفي رواية أزهر اللون، ليس بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم، له شعر
رجل، يبلغ شحمة أذنيه إذا طال، وإذا قصر إلى أنصافهما، لم يبلغ شيبه في رأسه ولحيته
عشرين شعره، كأن عنقه جيد دمية، في صفاء الفضة، وظاهر الوضاءة مبلج الوجه، يتلألأ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، حسن الخلق معتدله، لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة، وسيماً

قسيما، في عينيه دعج، وفي بياضهما عروق رقاق حمر، وفي أشفاره غطف، وفي صوته
صهل، وروى صحل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، إذا صمت فعليه الوقار، وإن تكلم
سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق
فصل: لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن، واسع الجبين، أزج الحواجب في
غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم،
سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، من لبته إلى سرته شعر
يجري كالقضيب، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، أشعر الذراعين والمنكبين، بادن
متماسك، سواء الصدر والبطن، سبيح الصدر، ضخم الكراديس، أنور المتجرد عريض
الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، سبط
القصب، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعاً، وفي رواية:
إذا مشى يقلع - كناية عن قوة الخطو كالذي يمشي في طين - ويخطو تكفياً ويمشي هونا،
ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، بين كتفيه خاتم
النبوة كأنه زر حجلة أو بيضة حمامة، لونه كلون جسده عليه خيلان، كأن عرقه اللؤلؤ،
ولريح عرقه أطيب من ريح المسك الأذفر، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله
عليه وسلم، قال البراء: ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى
الله عليه وسلم، قال أبو هريرة: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كأن الشمس تجري في وجهه، وإذا ضحك يتلألأ في الجذر، وقال جابر بن سمرة، وقد قال له
رجل كأن وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف، فقال: لا، بل مثل الشمس والقمر.
وكان مستديراً، وكان عمر بن الخطاب ينشد قول زهير بن أبي سلمى في هرم بن سنان:
لو كنت من شيءٍ سوى بشرٍ كنت المضيء لليلة البدر
ثم يقول عمر وجلساؤه: كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن كذلك غيره،
وفيه عليه السلام يقول عمه العباس رضي الله عنه وأرضاه:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمةٌ للأرامل
تطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفضائل
وميزان حق لا يخيس شعيرةً ووزان عدلٍ وزنه غير عائل

خاتم النبوة

الذي كان بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم

روى عن جابر بن سمرة. وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ورأيت خاتمه
عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسمه، وعن أبي رمثة قال قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم: " يا أبا رمثة ادن مني امسح ظهري " فدنوت منه فمسحت ظهره، ثم
وضعت أصابعي على الخاتم فغمزتها، فقيل له: وما الخاتم ؟ فقال: شعر مجتمع عند
كتفيه. وعنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت فإذا خلف كتفيه مثل
النفاخة، قلت: يا رسول الله، إني أداوى فدعني حتى أبطها وأداويها، قال: " طببها الذي
خلقها ". وعنه من طريق آخر قلت: يا رسول الله إني طبيب من أهل بيت أطباء، وكان
أبي طبيباً في الجاهلية، معروفا ذلك لنا فأذن لي في التي بين كتفيك، فإن كانت سلعة بطططتها
فشفا الله نبيه؛ فقال: " لا طيبب لها إلا الله " وهي مثل بيضة الحمامة.

شعر رسول الله

صلى الله عليه وسلم وطوله

روى عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يصف شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال: كان شعره إلى شحمة أذنيه، وعنه قال: سمعت البارء يقول: ما رأيت أحدا من خلق
الله أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن جمته لتضرب قريبا من
منكبيه، وفي لفظ، من عاتقيه. وعن قتادة قال: قلت: لأنس بن مالك كيف كان شعر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: كان شعرا رجلا ليس بالسبط ولا بالجعد بين
أذنيه وعاتقه. وعن أنس: كان لا يجاوز شعره أذنيه، وعنه، كان إلى أنصاف أذنيه. وعن
علي رضي الله عنه قال: كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الوفرة ودون
الجمة. وعن أم هانئ قالت: رأيت في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضفائر أربعا،

وعنها قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم مكة وله أربع غدائر. وعن جابر
بن سمرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر اللحية. وعن جابر بن عبد
الله قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد على قصاص شعره.
عدد شيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قال إنه خضب
روى عن حميد الطويل قال: سئل أنس بن مالك هل خضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ؟ قال: ما شانه الله بالشيب، وما كان فيه من الشيب ما يخضب، إنما كانت
شعرات في مقدم لحيته، ولم يبلغ الشيب الذي كان به عشرين شعرة. وفي رواية عن أنس
أيضاً: ما كان في رأسه ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة. وعن جابر بن سمرة، وقد
سئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كان إذا دهن رأسه لم يتبين. وعن
محمد بن واسع؛ قيل: يا رسول الله، لقد أسرع إليك الشيب، فقال: " شيبتني " آلر. كتاب
أحكمت آياته ثم فصلت " وأخواتها ". وعن أبي سلمة، قيل: يا رسول الله، نرى في
رأسك شيباً، قال: " مالي لا أشيب وأنا أقرأ هوداً وإذا الشمس كورت " وفي رواية: " وما
فعل بالأمم قبلي ". وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال أبو بكر: أراك قد شبت يا
رسول الله، قال: " شيبتني هودٌ والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت "
ومن رواية " وأخواتها اقتربت الساعة، والمرسلات وإذا الشمس كورت " وفي رواية أخرى
عن أنس قال قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: بأبي وأمي يا رسول الله، وما أخواتها
؟ قال: " الواقعة والقارعة وسأل سائل وإذا الشمس كورت "
هذا ما رأيناه مما ورد في
شيبه وسببه.
من خضب الرسول
فقد روى عن عبد الله بن موهبة قال:: دخلنا على أم سلمة رضي الله عنها، فأخرجت
إلينا صرة فيها شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوا بالحناء، والكتم.
وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: رأيت شعراً من شعره - يعني النبي صلى الله عليه

وسلم - فإذا هو أحمر، فسألت عنه فقيل لي: أحمر من الطيب.
وعن أبي جعفر قال:
شمط عارضا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخضبه بحناء
وكتم، وعن أبي رمثة أنه
وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ذو وفرة وبها
ردغٌ من حناء، وكان عبد الله
بن عمر رضي الله عنهما يصفر لحيته بالخلوق، ويحدث أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يصفر، وعن عبد الرحمن الثمالي قال: كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يغير لحيته
بماء السدر، ويأمر بتغيير الشعر مخالفة للأعاجم.
هذا ما أمكن إيراده من صفاته الذاتية، وسنذكر إن شاء الله بعد
ذكر صفاته المعنوية،
حديث هند بن أبي هالة، لجمعه بين صفاته الذاتية والمعنوية.
صفاته المعنوية
وما ورد في أكله وشربه، ونومه وضحكه وعبادته ونكاحه، وخلقه
وحلمه واحتماله،
وعفوه وصبره على ما يكره، وجوده وكرمه. وسخائه وسمحته،
وشجاعته ونجدته، وحيائه
وإغضائه، وحسن عشرته وأدبه، وبسط خلقه، وشفقته ورأفته
ورحمته، ووفائه وحسن
عهده، وصلته للرحم، وتواضعه وعدله وأمانته وعفته، وصدق
لهجته، ووقاره وصمته
وتؤدته، ومروءته، وحسن هديه وزهده وخوفه ربه تعالى،
وطاعته له وشدة عبادته صلى
الله عليه وسلم تسليماً كثيرا.
فأما ما ورد في أكله وشربه ونومه وضحكه وعبادته
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ من الأكل
والشرب بالأقل، واعتمد من
ذلك على ما يمسك الرمق ويسد الخلة، وقد جاءت الأخبار
الصحيحة بذلك، ولم تزل
العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما؛ لأن كثرة الأكل
والشرب دليل على النهم
والحرص والشره، وقلة ذلك دليل على القناعة وملك النفس
وقمع الشهوة. وقد روينا
بإسناد متصل عن المقدام بن معدي كرب أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال: " ما
ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن
صلبه فإن كان لا محالة فثلث
لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ". ولأن كثرة النوم من كثرة
الأكل والشرب. وقد روى

عنه عليه السلام أنه كان أحب الطعام إليه ما كان على ضعف؛ أي كثرة الأيدي. وعن
عائشة رضي الله عنها قالت:: لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط، وإنه
كان في أهله ولا يسألهم طعاما ولا يتشهاه، إن أطعموه أكل، وما أطعموه قبل، وما سسقوه
شرب. قال أهل العلم: ولا يعترض على هذا بحديث بريرة، وقوله صلى الله عليه وسلم: "
ألم أر البرمة فيها لحم " ؟ إذ لعل سبب سؤاله ظنه اعتقادهم أنه لا يحل له، فأراد بيان
سننه، إذ رآهم لم يقدموا إليه مع علمه أنهم لا يستأثرون به عليه، فصدق عليهم ظنه، وبين
لهم ما جهلوه من أمره، بقوله: " هو لها صدقة ولنا هدية ". وكان جلوسه صلى الله عليه
وسلم للأكل جلوس المستوفز، معيقا، وزيقول: " إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس
كما يجلس العبد ". وفي حديث صحيح قوله صلى الله عليه وسلم: " أما أنا فلا آكل
متكئا " وليس معنى الأتكاء عند المحققين الميل على شق، وإنما الإتكاء هو التمكن للأكل،
والتقعدد في الجلوس، كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتد فيها الجالس على ما
تحته، والجالس على هذه الهيئة يستدعى الأكل ويستكثر منه، وكان صلى الله عليه وسلم
بخلاف ذلك. وكان صلى الله عليه وسلم إذا رفع الطعام من بين يديه قال: " الحمد لله
الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين ". وفي رواية يقول: " الحمد لله حمداً كثيرا
طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنىً عنه ربنا ". وكن لا يأكل على خوان، ولا يمتنع
من مباح، ولا يتأنق في مأكل، يأكل ما وجد، إن وجد تمرا أكله، أو خبزا أكله أو شواء
أكله، وإن وجد لبنا أكتفى به، ولم يأكل خبزاً مرققا، وأكل صلى الله عليه وسلم الخبز بالخل
وقال: " نعم الإدام الخل " وأكل لحم الدجاج ولحم الحبارى. وكان يحبب الدباء ويأكله، ويعجبه الذارع من الشاة، وقال: " إن أطيب اللحم لحم الظهر "
وقال: " كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة " وكان يأكل بأصابعه الثلاث
ويلعقهن، وأكل صلى الله عليه وسلم خبز الشعير بالتمر، وقال: " هذا أدم هذا " وأكل

البطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد، وكان يحب الحلواء والعسل، وكان يشرب
قاعدا، وربما شرب قائما، ويتنفس ثلاثا وإذا فضلت منه فضله وأراد أن يسقيها بدأ بمن
عن يمينه، وشرب صلى الله عليه وسلم لبنا، وقال: " من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم
بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه "
وقال: " ليس شيء يجزي مكان الطعام والشراب غير اللبن ".
وأما نومه صلى الله عليه وسلم
فكان قليلا، جاءت بذلك الآثار الصحيحة، وقال صلى الله عليه وسلم: " إن عيني
تنامان ولا ينام قلبي " وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم لأن النوم على
الجانب الأيسر أهنأ، لهدو القلب وما بيتعلق به من الأعضاء الباطنة، لميلها إلى الجانب
الأيسر، فيستدعى ذلك الاستثقال فيه والطول، وإذا نام النائم على الجانب الأيمن تعلق
القلب وقلق، فأسرع الإفاقة ولم يغمره الاستغراق. وكان صلى الله عليه وسلم ينام أول الليل
ثم يقوم من السحر، ثم يوتر ثم يأتي فراشه، فإذا سمع الآذان وثب، وكان إذا نام نفخ، ولا
يغط غطيطا، وإذا رأى في منامه ما يروعه قال: " هو الله لا شريك له " وإذا أخذ مضجعه
وضع كفه اليمنى تحت خده، وقال: " رب قني عذابك يوم تبعث عبادك " وكان يقول: "
اللهم باسمك أموت وأحيا " وإذا استيقظ قال: " الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه
النشور ".
وأما ضحكه صلى الله عليه وسلم
فكان جله التبسم، وربما ضحك من شيء معجب حتى تبدو نواجذه من غير قهقهة
صلى الله عليه وسلم، وأما عبارته صلى الله عليه وسلم فكان أفصح الناس، يخاطب كل
أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها، يباريها في منزع بلاغتها، وقد تقدم من كلامه في كتبه إلى
ملوك اليمن وغيرها ما يدل على ذلك، وإن كان ذلك لا يحتاج فيه إقامة دليل بعد أن أنزل
القرآن بلغته. وكان صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بين كلامه حتى يحفظه من جلس إليه،
ويعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه، ويخزن لسانه لا يتكلم من غير حاجة، ويتكلم بجوامع الكلم،

فصلٌ لا فضول ولا تقصير، وكان يتمثل بشيء من الشعر ويتمثل بقوله:
ويأتيك بالأخبار من لم تزود
وبغير ذلك، صلى الله عليه وسلم.
وأما النكاح وما يتعلق به
فهو مما يكثر التمدح بكثرته وذلك، لأنه دليل الكمال وصحة الذكورية، ولم يزل التفاخر
بكثرته عادة معروفة، والتمادح به سيرة ماضية وسنة مأثورة، قال ابن عباس رضي الله
عنهما: أفضل هذه الأمة أكثرها نساء. مشيرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال
صلى الله عليه وسلم: " تناكحوا فإني مباهٍ فيكم الأمم " وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ممن أقدره الله تعالى على ذلك وحببه له، فكان صلى الله عليه وسلم يدور على
نسائه في الساعة من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة، رواه أنس، قال: وكنا نتحدث أنه
أعطى قوة ثلاثين، خرجه النسائي. وعن طاوس: أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوة أربعين رجلا في الجماع، ومثله عن صفوان بن سليم.وقالت سلمى مولاته: طاف النبي
صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع، ويطهر من كل واحدة قبل أن أتى الأخرى.
وقال: " هذا أطهر وأطيب ".
وأما خلقه صلى الله عليه وسلم
فقد قال الله عز وجل فيه مخاطبا له صلى الله عليه وسلم: " وإنك لعلى خلقٍ عظيم "
قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه، وقال
صلى الله عليه وسلم: " بعثت لأتتم مكارم الأخلاق " قال علي وأنس رضي الله عنهما:
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا. وكان صلى الله عليه وسلم -
فيما ذكره المحققون - مجبولا على ذلك في أصل خلقته وأول فطرته، لم يحصل له ذلك
بإكتساب ولا رياضة، إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية، ومن طالع سيرته منذ صباه وإلى
آخر عمره، حقق ذلك وكذلك سائر الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه.
وأما حلمه واحتماله وعفوه
مع القدرة، والصبر على ما يكره، فقد جعلوا بين هذه الألقاب فرقا، فقالوا: الحلم حالة

توقير وثبات عند الأسباب المحركات، والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات، ومثله
الصبر، ومعانيها متقاربة، وأما العفو فهو ترك المؤاخذة، وهذا كله مما أدب الله تعالى به نبيه
صلى الله عليه وسلم فقال: " خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " روي أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له:
حتى أسأل العالم، ثم ذهب فأتاه فقال: " يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك ". وقال تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم: " واصبر
على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور " وقال: " فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ".
وقد روى في حلمه واحتماله وعفوه وصبره أحاديث كثيرة وقصص مشهورة، قد تقدم منها
في أخباره، في أثناء هذه السيرة جملة كافية ونحن نشير الآن في هذا الموضع إليها، وننبه في
هذه الترجمة عليها، منها قصة أحدٍ حين ناله من أذى كفار قريش ما ناله مما قدمنا ذكره،
فشق ذلك على أصحابه، وقالوا: يا رسول الله، لو دعوت عليهم، فقال: " إني لم أبعث لعّانا
ولكني بعثت داعياً ورحمةً اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون " روى عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه، أنه قال في بعض كلامه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد دعا نوح على
قومه فقال: " رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا " ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا
من عند آخرنا، فلقد وطيء ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك، فأبيت أن تقول إلا
خيرا، فقلت: " اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ". ومنها قصتا غورث بن الحارث،
ودعثور بن الحارث حين أرادا أن يفتكا به، وأظفره الله بهما، وأمكنه منهما فعفا عنهما،
كما تقدم ذكر ذلك في غزوتي غطفان وذات الرقاع، ومنها عفو عن الذين هبطوا عليه في
عمرة الحديبية، وأرادوا قتله فأخذوا فأعتقهم صلى الله عليه وسلم، ومنها صفحه عن
قريش حين أمكنه الله منهم يوم الفتح، وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة
خضرائهم؛ لما تقدم من أذاهم له، فما زاد على أن عفا وصفح، وقال: " ما تقولون إني فاعل

بكم ": خيرا؛ أخٌ كريمٌ وابن أخ كريم، فقال: " أقول كما قال أخي يوسف " لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ". ومما لم نذكره فما أتينا عليه من سيرته صلى الله
عليه وسلم ما ورد في الحديث الصحيح من قول الرجل له: اعدل إن هذه قسمة ما أريد بها
وجه الله. فلم يزده صلى الله عليه وسلم في جوابه إلا أن بين له ما جهله، ووعظ نفسه
وذكرها بما قال له، فقال: " ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل "
ونهى ما أراد قتله من أصحابه. ومنه ما روى عن أنس رضي الله عنه قال: كنت مع النبي
صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية، فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى
أثّرت حاشية البرد في صفحة عاتقه. ثم قال: يا محمد، أحمل لي على بعيريّ هذين من مال
الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك، فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم ثم قال: " المال مال الله وأنا عبده " ثم قال: " ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت
بي " ؟ قال: لا، قال " لم " ؟ قال: لأنك لا تكافيء بالسيئة السيئة، فضحك النبي صلى
الله عليه وسلم، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعيرٌ وعلى الآخر تمرٌ.
ومنه خبر زيد بن سعنة حين أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه، وكان من
أحبار اليهود، فجاءه يتقاضاه دينا عليه، فجبذ ثوبه على منكبه وأخذ بمجامع ثيابه
وأغلظ له، ثم قال: إنك يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وشدد له في القول، والنبي صلى الله عليه وسلم يبتسم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: " أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر، تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن
التقاضي " ثم قال: " لقد بقي من أجله ثلاث " وأمر عمر بقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا
لما روعه، فكان سبب إسلامه؛ وذلك أنه كان يقول: ما بقي من علامات النبوّة شيء إلا
وقد عرفتها في محمد إلا اثنتين ؟ لم أخبرهما؛ يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل إلا
حلما؛ فاختبرته بها فوجدته كما وصف. والحديث عن حلمه وصبره وعفوه كثير؛ روى

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من
مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله، وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد
في سبيل الله، وما ضرب خادما ولا امرأة، وجيء إليه برجل فقيل: هذا أراد أن يقتلك،
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلّط عليّ "
صلى الله عليه وسلم.
وأما جوده وكرمه وسخاؤه وسماحته صلى الله عليه وسلم ومعانيها متقاربة، وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم: الإنفاق بطيب النفس فيما
يعظم خطره ونفعه - وسموه أيضا حرية - وهو ضد النذالة.
والسماحة: التجافي عما
يستحقه المرء عند غيره بطيب نفسه، وهو ضد الشكاسة
والسخاء: سهولة الإنفاق
وتجنب اكتساب ما لا يحمد، وهو الجود، وهو ضد التقتير؛ فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ذلك بالمحل الأرفع بهذا جاءت الأحاديث الصحيحة، منها ما رويناه في
صحيح البخاري عن ابن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: ما سئل النبي صلى
الله عليه وسلم شيئا فقال لا. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كان النبي صلى
الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وأجود ما كان في شهر رمضان، وكان إذا لقيه جبريل
عليهما السلام أجود بالخير من الريح المرسلة. وعن أنس أن رجلا سأل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى بلده وقال: أسلموا فإن محمد يعطي
عطاء من لا يخشى فاقة. وقد ذكرنا ما أعطاه صلى الله عليه وسلم من غنائم هوازن.
وأخباره صلى الله عليه وسلم في ذلك كثيرة، وعطاياه فاشية، لو استقصيناها لطال بها
التأليف، وكان لا يبيت في بيته دينارٌ ولا درهم. فإن فضل ولم يجد من يعطيه وفجئه الليل لم
يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما أتاه الله إلا قوت أهله عاما
فقط، من أيسر ما يجد من التّمر والشّعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله، ثم يؤثر من قوت
أهله حتى يحتاج قبل انقضاء العام؛ صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

وأما شجاعته ونجدته صلى الله عليه وسلم
فقد قالوا: الشجاعة فضيلة قوة الغضب، وانقيادها للعقل، والنّجدة: ثقة النفس عند
استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف؛ فكان النبي صلى الله عليه وسلم
منهما بالمكان الذي لا يجهل، قد شهد المواقف الصعبة، وفرّ الكماة والأبطال عنه، وهو
ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، وقد قدّمنا من أخباره وثباته وحملاته في يومي أحد وحنين ما
تقف عليه هناك. وقد روينا بإسناد متّصل عن البراء، وقد سأله رجل: أفررتم يوم حنين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفرّ،
ثم قال: لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها، والنبي صلى الله عليه
وسلم يقول: " أنا النبي لا أكذب " وزاد غيره " أنا ابن عبد المطلب " قيل: فمارئ يومئذ
أحدٌ كان أشد منه. وقال غيره: نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته. وذكر مسلم
عن العباس قال: فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى
الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفّها إرادة ألا تسرع وأبو سفيان
آخذ بركابه، ثم نادى ياللمسلمين.
الحديث. وقال ابن عمر: ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله
صلى الله عليه وسلم. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنا كما إذا حمي البأس -
ويروى اشتدّ البأس - واحمرت الحدق، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون
أحدٌ أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر، ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم،
وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا. وقيل: كان الشجاع الذي يقرب
منه صلى الله عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه منه.
وعن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع
الناس؛ لقد فزع أهل المدينة ليلةً فتانطلق ناسٌ قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم راجعاً قد سبقهم إلى الصوت واستبراء الخبر، على فرس لأبي طلحة عرى،

والسيف في عنقه، وهو يقول: " لن تراعوا ". وقال عمران ابن حصين: ما لقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب.
وأما حياؤه وإغضاؤه صلى الله عليه وسلم
والحياء: رقّة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقّع كراهته أو ما يكون تركه خيرا من
فعله. والإغضاء: التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته، وكان النبي صلى الله عليه وسلم
أشد الناس حياء، وأكثرهم عن العورات إغضاء، وقد أخبر الله تعالى بحيائه فقال: " إن
ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم " وعن أبي سعيد الخدري: كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه.
وكان صلى الله عليه وسلم لا يشافه أحداً بما يكره حياءً وكرم نفس. وعن عائشة رضي
الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن احدٍ ما يكرهه لم يقل ما
بال فلان يقول كذا، ولكن يقول: " ما بال أقوام يصنعون - أو يقولون - كذا " ينهى عنه ولا
يسمي فاعله.
وروى أنس رضي الله عنه أنه يدخل عليه رجل به أثر صفرة، فلم يقل له شيئا - وكان لا
يواجه أحدا بما يكره - فلما خرج قال: " لو قلتم له يغسل هذا " ويروى " ينزعها ". وروي
عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد، وأنه كان يكنى
عما اصطره الكلام إليه مما يكره، صلى الله عليه وسلم.
وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الناس عشرة، وأكثرهم أدبا، وأبسطهم خلقا
مع أصناف الخلق، انتشرت بذالك الأخبار الصحيحة، منها ما رويناه بسند متصل عن
قيس بن سعد قال: زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها، فلما أراد
الانصراف قرب له سعدٌ حمارا ووطّأ عليه بقطيفة، فركب رسول الله صلى الله عليه
وسلم، ثم قال سعد: يا قيس، اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال قيس: فقال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم " اركب " فأبيت، فقال: " إما أن تركب وأما أن

تنصرف " فانصرفت، وفي رواية أخرى: " اركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدّمها ".
وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع أحدا يمشي معه وهو راكب حتى يحمله، فإن أبى قال:
" تقدمني إلى المكان الذي تريد " وركب صلى الله عليه وسلم حمارا عرياً إلى قباء، وأبو
هريرة معه، فقال: " يا أبا هريرة أحملك " ؟ فقال: ما شئت يا رسول الله، فقال: " اركب "
وكان في أبي هريرة ثقلٌ، فوثب ليركب فلم يقدر، فاستمسك برسول الله صلى الله عليه
وسلم فوقعا جميعا، ثم ركب صلى الله عليه وسلم فقال: " يا أبا هريرة أحملك " ؟ فقال:
ما شئت يا رسول الله، فقال: " اركب " فلم يقدر على ذلك، فتعلق برسول الله صلى الله
عليه وسلم فوقعا جميعا، ثم قال: " يا أبا هريرة أحملك " ؟
فقال: لا، والذي بعثك بالحق
لاصرعتك ثالثا. وكان لا يدع أحداً يمشي خلفه ويقول " خلوا ظهري للملائكة ".
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلّف أصحابه ولا ينفّرهم، ويكرم كريم كلّ قومٍ
ويولّيه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا
خلقه، يتفقّد أصحابه، ويعطي كلّ جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه
منه، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم
يردّه إلا بها، أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا
عنده في الحق سواء، هكذا وصفه ابن أبي هالة، قال: وكان دائم البشر سهل الخلق ليّن
الجانب، ليس بفظٍ ولا غليظ، ولا سخّاب ولا فحّاش، ولا عيّاب ولا مدّاح، يتغافل عما لا
يشتهى ولا يؤنس منه. وكان صلى الله عليه وسلم يجيب من دعاه، ويقبل الهدية، ولو كانت
كراعا، ويكافيء عليها، قال أنس: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما
قال لي أفٍّ قطّ، وما قال لشيء صنعته لم صنعته، ولا لشيء تركته لم تركته، ومن رواية
أخرى عنه قال: خدمته نحوا من عشر سنين فوالله ما صحبته في سفر ولا حضر لأخدمه
إلا وكانت خدمته لي أكثر من خدمتي له، وما قال لي أفٍّ قطّ، ولا قال لشيء فعلته لم

فعلت كذا، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا ؟. وكان صلى الله عليه وسلم في بعض
أسفاره فأمر بإصلاح شاة فقال رجل: يا رسول الله، عليّ ذبحها، وقال آخر: عليّ سلخها،
وقال آخر: عليّ طبخها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وعليّ جمع الحطب "
قالوا: يا رسول الله، نحن نكفيك، فقال: " علمت أنكم تكفوني ولكني أكره أن أتميز عليكم
فإن الله يكره من عبده أن يراه مميزا بين أصحابه " وقام فجمع الحطب. وعن عائشة رضي
الله عنها قالت: ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه
أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال: " لبيك " وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم
ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره، ويجيب دعوة الحرّ والعبد والأمة والمسكين، ويعود
المرضي في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر، قال أنس: ما التقم أحد أذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فينحّي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحيّ رأسه، وما أخذ أحد
بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ، ولم ير مقدّما ركبتيه بين يدي جليس له، وكان يبدأ من
لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيّق
بهما على أحد، يكرم من يدخل عليه، وربما بسط له ثوبه، ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم
عليه في الجلوس عليها إن أبى، ويكني أصحابه، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم، ولا
يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام، ويروى: بانتهاء أو قيام، ويروى:
أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفّف صلاته وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد،
إلى صلاته، وكان أكثر الناس تبسّماً، وأطيبهم نفساً، ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو
يخطب.
وأما شفقته ورأفته ورحمته صلى الله عليه وسلم لجميع الخلق فقد أخبر الله تعالى بذلك ووصفه بهذه الأوصاف؛ فقال تعالى: " لقد جاءكم رسولٌ من
أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ " وقال تعالى: " وما
أرسلناك إلا رحمةً للعالمين " فكان من شفقته على أمته صلى الله عليه وسلم تخفيفه

وتسهيله عليهم، وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: "
لولا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسّواك مع كل وضوء " وخبر صلاة الليل، ونهيهم عن
الوصال، وكراهيته دخول الكعبة لئلا يعنت أمته، ورغبته لربه أن يجعل سبّه ولعنه لهم
رحمة، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوّز في صلاته. ومن شفقته صلى الله عليه وسلم
أن دعا ربه وعاهده فقال: " أيّما رجلٍ سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة
وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة ". ومن ذلك أنه لما كذّبه قومه أتاه جبريل عليه
السلام فقال له: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد أمر ملك الجبال
لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال وسلم عليه، فقال: مرني بما شئت، إن شئت أن
أطبق عليهم الأخشبين، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " بل أرجو أن يخرج الله من
أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ". وروى ابن المنكدر: أن جبريل عليه
السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك،
فقال: " أؤخر عن أمتي لعل الله يتوب عليهم ". ومن ذلك ما روى أنه صلى الله عليه
وسلم قال: " لا يبلغني أحدٌ منكم عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج
إليكم وأنا سليم الصّدر ". وقال ابن مسعود: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتخوّلنا بالموعظة مخافة السّآمة علينا، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا.
وأما وفاؤه وحسن عهده وصلته للرحم صلى الله عليه وسلم فكان صلى الله عليه وسلم قد بلغ من ذلك الغاية التي لا يدرك شأوها، ولا يبلغ مداها،
ولا يطمع طامع سواه بالاتصاف بها، جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة،
من ذلك ما رويناه بإسناد متصل عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت النبي صلى الله
عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت، ثم
ذكرت بعد ثلاث، فجئت فإذا هو في مكانه، فقال: " يا فتى لقد شققت عليّ أنا هاهنا منذ

ثلاث أنتظرك ". وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي
بهدية قال: " اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحبّ خديجة
". وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على
خديجة؛ لما كنت أسمعه يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها، واستأذنت
عليه أختها فارتاح إليها، ودخلت عليه امرأة فهش لها، وأحسن السؤال عنها، فلما
خرجت قال: " إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان ". وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: " إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحما سأبلها
ببلالها ". وعن أبي قتادة قال: وفد وفدُ للنجاشي، فقام النبي صلى الله عليه وسلم
يخدمهم، فقال له أصحابه: نكفيك، فقال: " إنهم لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم
". ولما جيء بالشيماء أخته من الرضاعة في سبايا هوزان وتعرفت له، بسط لها رداءه،
وقال لها: " إن أحببت أقمت عندي مكرمة محبة أو متعتك ورجعت إلى قومك "
فاختارت قومها فمتعها. وقال أبو الطفيل: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلامٌ، إذ
أقبلت امرأةٌ حتى دنت منه، فبسط لها رداءه فجلست عليه، فقلت من هذه ؟ قالوا: أمه
التي أرضعته. وعن عمرو بن السائب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً يوماً
فأقبل أبوه من الرضاعة، فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه
من جانبه الآخر فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأجلسه بين يديه. وكان يبعث إلى ثوبيه مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة، فلما
ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل: لا أحد. وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها
قالت له صلى الله عليه وسلم في ابتداء النبوة: أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل
الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.
وأما تواضعه صلى الله عليه وسلم مع علوّ منصبه ورفعة مرتبته

فكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعاً، وأقلهم كبراً، وقد جاء أنه خيّر بين أن
يكون نبيّاً ملكاً، أو نبيّاً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً، فقال له إسرافيل عند ذلك:
فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق الأرض
عنه، وأول شافع. ومما رويناه بسند متصل عن أبي أمامة قال: خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم متوكئاً على عصاً، فقمنا له فقال: " لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم
بعضها بعضاً ". وقال: " إنما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد " وكان
يركب الحمار، ويردف خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس
بين أصحابه مختلطاً بهم، حيث ما انتهى به المجلس جلس، وعن أنس: أن امرأة كان في
عقلها شيءٌ جاءته فقالت: إن لي إليك حاجة، قال: " اجلسي يا أم فلان في أي طرق
المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضي حاجتك " قال: فجلست فجلس النبي صلى الله
عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها. قال أنس: حجّ رسول الله صلى الله عليه
وسلم على رحل رثٍّ وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم، فقال: " اللهم اجعله حجًّا لا
رياء فيه ولا سمعة ". هذا وقد أهدى في حجة ذلك مائة بدنة، ولما فتحت عليه مكة
دخلها وقد طأطأ رأسه على رحله حتى كاد يمسّ قادمته تواضعاً لله تعالى.
ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لما دخل مكة جاءه أبو بكر الصديق رضي الله
عنه بأبيه ليسلم فقال: " لم عنّيت الشيخ يا أبا بكر ألا تركته حتى أكون أنا آتيه في منزله "
وقد تقدم ذكر ذلك في الفتح. وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم رضي الله عنهم،
في صفته صلى الله عليه وسلم، وبعضهم يزيد على بعض، أنه كان صلى الله عليه وسلم في
بيته في مهنة أهله، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويرقّع ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويقمّ
البيت، ويعقل البعير، ويعلف ناضحه، ويأكل مع الخادم، ويعجن معها ويحمل بضاعته من
السوق. وعن أنس: أن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه

وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها. ودخل عليه رجل فأصابته من
هيبته رعدة فقال له: " هوّن عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد
". وعن أبي هريرة قال: دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل،
وقال للوزّان: " زن وأرجح " وذكر القصة، قال: فوثب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم
يقبّلها فجذب يده، وقال: " هذا يفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم " ثم
أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال: " صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله ". وقد ذكر
الأمين العاصمي بعض ذلك في قصيدة له فقال:

يا جاعلاً سنن النبي شعاره ودثاره
متمسكاً بحديثه متتبعاً أخباره
سنن الشريعة خذ بها متوسماً آثاره
وكذا الطريقة فاقتبس في سبلها أنواره
قد كان يقري ضيفه كرماً ويحفظ جاره
ويجالس المسكين يؤ ثر قربه وجواره
الفقر كان رداءه والجوع كان شعاره
يلقي بغرة ضاحك مستبشراً زواره
بسط الرداء كرامةً لكريم قوم زاره
ما كان مختالاً ولا مرحاً يجر إزاره
قد كان يركب بالردي ف من الخضوع حماره
من مهنة هو أو صلا ةٍ ليله ونهاره
فتراه يحلب شاة من زله ويوقد ناره
ما زال كهف مهاجري ه ومكرماً أنصاره
براً بمحسنهم مقي لاً للمسيء عثاره
يهب الذي تحوي يدا ه لطالبٍ إيثاره
زكّى عن الدنيا الدن ية ربه مقداره
جعل الإله صلاته أبدا عليه نثاره
فاختر من الأخلاق ما كان الرسول اختاره
لتعد سنّيًّا وتو شك أن تبوّأ داره

وأما عدله وأمانته وعفته وصدق لهجته صلى الله عليه وسلم فكان صلى الله عليه وسلم أعدل الناس، وآمن الناس، وأعف الناس، وأصدق الناس
لهجة منذ كان، وكان يسمى قبل نبوته الأمين، وقد قال صلى الله عليه وسلم: " والله إني
لأمينٌ في السماء أمينٌ في الأرض " وقد صدقه عداه في مواطن كثيرة تقدم ذكرها وقد قدمنا
قوله صلى الله عليه وسلم للرجل: " ويحك إن لم أعدل فمن يعدل خبت وخسرت إن لم

أعدل ". وقال ابن خالويه: جزأ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاره ثلاثة أجزاء: جزءاً
لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس، فكان يستعين بالخاصة
على العامة، ويقول: " أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة من لا
يستطيع أمّنه الله يوم الفزع الأكبر ". وعن الحسن قال: كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم " لا يأخذ أحدًا بقرف أحدٍ ولا يصدّق أحداً على أحد " صلى الله عليه وسلم،
ولم تمس يده امرأة قطّ لا يملك رقّها أو نكاحها أو تكون ذات محرم ".
وأما وقاره وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه صلى الله عليه وسلم
فقد روينا بإسناد متصل عن خارجة بن زيد قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه. وروى أبو سعيد الخدري رضي الله
عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى بيديه، وكذلك
كان أكثر جلوسه محتبياً. وعن جابر بن سمرة: أنه تربع، وربما جلس القرفصاء، وكان كثير
السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يعرض عمن تكلم بغير جميل، كان ضحكه تبسماً
وكلامه فصلاً لا فضول ولا تقصير، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراً له واقتداءً
به، مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، إذا
تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير. وفي صفته: يخطو تكفّؤاً ويمشي هوناً كأنما
ينحط من صبب. وفي الحديث الآخر: " إذا مشى مشى مجتمعا، يعرف في مشيته أنه غير
غرضٍ ولا وكل؛ أي غير ضجر ولا كسلان. وقال عبد الله بن مسعود: إنّ أحسن الهدي
هدي محمد صلى الله عليه وسلم. وعن جابر بن عبد الله: كان في كلام رسول الله صلى
الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل، قال ابن أبي هالة: كان سكوته على أربع: على الحلم،
والحذر، والتقدير، والتفكر. وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحدث حديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه. وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب

والرائحة الحسنة ويحض عليها ويقول: " حبّب إليّ من دنياكم النساء، والطّيب وجعلت قرّة
عيني في الصلاة ". ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب،
والأمر بالأكل مما يلي، والأمر بالسواك، وإنقاء البراجم والرّواجب، واستعمال خصال
الفطرة. صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً أبدى دائماً إلى يوم الدين، آمين.
وأما زهده في الدنيا صلى الله عليه وسلم
فحسبك من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة عند يهوديّ في نفقة عياله،
بعد أن فتح الله عليه من الفتوحات ما ذكرناه، وآتاه من الأخماس والصفايا ما قدمناه، فآثر
بذلك كله، وكان يقول: " اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا " وسنذكر إن شاء الله تعالى في
أحواله ما ناله من شدة العيش والجوع ما تقف عليه هناك. قالت عائشة رضي الله عنها:
لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير
في رفّ لي، وقال لي: " إنّي عرض عليّ أن تجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب
أجوع يوما وأشبع يوما، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي
أشبع فأحمدك وأثني عليك ". وفي حديث آخر: " إن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له:
إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبًا، وتكون معك حيثما
كنت ؟ " فأطرق ساعة ثم قال: " يا جبريل، إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له
قد يجمعها من لاعقل له " فقال له جبريل: ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت. صلى الله عليه
وسلم.
وأما خوفه ربّه، وطاعته له، وشدّة عبادته صلى الله عليه وسلم فكان ذلك على قدر علمه بربه تبارك وتعالى؛ ولذلك قال فيما رويناه بسند متصل عن
سعيد بن المسيّب: إن أبا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو
تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ". ومن رواية عن أبي عيسى الترمذي عن
أبي ذرٍّ: " إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطّت السماء وحقّ لها أن تئطّ ما

فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك ساجد لله واضع جبهته، والله لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذّذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصّعدات
تجأرون إلى الله، لوددت أني شجرة تعضد ". روي هذا الكلام: " وددت أني شجرة تعضد
" من قول أبي ذر نفسه وهو أصح. وفي حديث آخر صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت
قدماه. وفي رواية: كان يصلي حتى ترم قدماه، فقيل له أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم
من ذنبك وما تأخر ؟، قال: " أفلا أكون عبدا شكورا ".
وقالت عائشة رضي الله عنها: كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمةً، وأيكم
يطيق ما كان يطيق. وقالت: كان يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم.
وكان صلى الله عليه وسلم يصوم الاثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشوراء،
وقلّ ما كان يفطر يوم الجمعة، وأكثر صيامه في شعبان. وقال عوف بن مالك: كنت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام فصلى فقمت معه، فبدأ
فاستفتح البقرة، فلا يمر بآية رحمة غلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم
ركع فمكث بقدر قيامه يقول: " سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة " ثم سجد، وقال
مثل ذلك، ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك، وعن حذيفة مثله، وقال: سجد
نحوا من قيامه، وجلس بين السجدتين نحوا منه، وقال: حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء
والمائدة. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من
القرآن ليلة. وعن عبد الله بن الشّخّير قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولجوفه
أزيزٌ كأزيز المرجل. وقال ابن أبي هالة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل
الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة. وقال صلى الله عليه وسلم: إني لأستغفر الله في
اليوم مائة مرة، وروى سبعين مرة. وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال: " المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني،

والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم
سلاحي، والصبر زادي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي،
والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة ". وفي حديث
آخر: " وثمرة فؤادي في ذكره، وغمي لأجل أمتي، وشوقي إلى ربي ". ولنصل هذه الفصول
التي شرحناها في صفاته المعنوية صلى الله عليه وسلم بما ورد من طيب ريحه، وعرقه،
وما يجري هذا المجرى.
ذكر نبذة مما ورد في نظافة جسمه، وطيب ريحه، وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعورات
الجسد صلى الله عليه وسلم
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصه الله عز وجل من ذلك بخصائص لم توجد
في غيره، ومنحه منحا لم تكن في سواه؛ من ذلك ما رويناه عن مسلم ابن الحجاج بإسناده،
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما شممت عنبراً قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب
من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن جابر ابن سمرة أنه صلى الله عليه وسلم
مسح خدّه، قال: فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار. قال غيره: مسّها
بطيب أو لم يمسّها، يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبيّ
فيعرف من بين الصبيان بريحها. وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام في دار أنس
فعرق، فجاءت أم أنس بقارورة تجمع فيها عرقه. فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فقالت: نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب. وذكر البخاري في تاريخه الكبير
عن جابر: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمرّ في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه
من طيبه. وذكر إسحق بن راهويه: أن تلك كانت رائحته بلا طيبٍ صلى الله عليه
وسلم. وروى المزنيّ عن جابر قال: أردفني النبي صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم
النبوة بفمي وكان ينمّ عليّ مسكا. ونقل القاضي عياض بن موسى قال: حكى بعض
المعتنين بأخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوّط انشقت الأرض

فابتلعت غائطة وبوله، وفاحت لذلك رائحة طيبة.
وأسند محمد بن سعد في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت للنبي صلى
الله عليه وسلم: إنك تأتي الخلاء ولا يرى منك شيء من الأذى.
فقال: " يا عائشة أو ما
علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء "
قال القاضي عياض:
وهذا الخبر وإن لم يكن مشهورا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله
عليه وسلم. ومن ذلك حديث عليّ بن أبي طالب في الوفاة وسنذكره إن شاء الله تعالى.
وقد جاء عن أمه آمنة أنها قالت: ولدتاه نظيفا ما به قذر. صلى الله عليه وسلم. ولختم
هذه الفصول بحديث هند بن أبي هالة لجمعه بين صفاته صلى الله عليه وسلم الذاتية
والمعنوية. والله أعلم.
ذكر حديث هند بن أبي هالة وما تضمن من أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذاتية والمعنوية
حدثنا الشيخان المحدثان شرف الدين أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن يعقوب الحلبي، وزين
الدين أبو محمد عبد الحق بن قينان بن عبد المجيد القرشي - رحمهما الله - قراءة عليهما
وأنا أسمع في شهر رجب عام ثمانية وسبعمائة، قالا: حدثنا الشيخ أبو الحسن محمد بن أبي
علي الحسين بن عتيق بن رشيق الربعي المالكي سماعا في شوال سنة ثمان وستين وستمائة
بمصر، وبقراءة الشيخ زين الدين الثاني على الشيخ نظام الدين الحسين بن محمد بن الحسن
بن الخليلي، وبإجازتهما من الحافظ أبي الحسين يحيى ابن علي بن عبد الله القرشي، وتاج
الدين علي بن أحمد بن القسطلاني، قالوا أخبرنا أبو الحسين محمد بن أبي جعفر أحمد بن
جبير الكناني، قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى التميمي
إجازة، قال أخبرنا القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله
تعالى، قال ابن القسطلاني: وأخبرنا أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء إجازة، قال
أخبرنا أبو الفضل عياض إجازة، قال القاضي أبو الفضل حدثنا القاضي أبو علي الحسين

بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة، قال حدثا الإمام أبو القاسم
عبد الله ابن طاهر التميمي، قال قرأت عليه: أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن
الحسن النيسابوري، والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي،
والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي، قالوا: حدثنا أبو القاسم علي بن
أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي، قال أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، قال
أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ؛ قال حدثنا سفيان بن وكيع، قال
جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي، إملاء من كتابه، قال حدثني رجل من بني تميم من
ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي
هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال سألت خالي هند بن أبي
هالة.
قال القاضي أبو علي رحمه الله: وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد
بن خذاذ الكرخي الباقلاني، قال وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن
خيرون، قالا أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن
حرب بن مهران الفارسي، قراءة عليه، فأقر به، قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن
يحيى ابن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين: أن علي بن أبي
طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي، قال حدثنا إسماعيل بن محمد ابن إسحاق بن
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: حدثني علي بن جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين، عن أخيه موسى بن جعفر ابن محمد، عن جعفر بن محمد، عن
أبيه محمد بن علي، عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي - واللفظ لهذا السند -:
سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان وصافا،
وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئا أتعلق به، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب،
عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرقت عقيقته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه إذا
هو وفر، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ من غير قرن، بينهما عرق يدرّه
الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، ويحسبه من لم يتأمله أشم، كثّ اللحية، أدعج، سهل
الخدين، ضليع الفم، أشنب مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء
الفضة، معتدل الخلق، بادنا متماسكا، سواء البطن والصدر، مشيح الصدر، بعيد ما بين
المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط،
عاري الثديين، ما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين،
رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، أو قال سائن الأطراف، سبط
القصب خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنها الماء، إذا زال زال تقلعاً، ويخطو
تكفؤا، ويمشي هونا، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت
جميعا، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة،
يسوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام.
قلت: صف لي منطقة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان، دائرة
الفكرة، وليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختتمه
بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فصلا لا فضول فيه ولا تقصير، دمثا ليس بالجافي ولا
المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا
تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه
كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، وإذا
غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب
الغمام. قال الحسن: فكتمتها الحسين بن علي زمانا، ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه،

فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله، فلم يدع
منه شيئا، قال الحسين: سألت أبي - عليه السلام - عن دخول رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فقال: كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك، فكان إذا آوى إلى منزله جزأ دخوله
ثلاثة أجزاء: جزء لله تعالى، وجزء لأهله، وجزء لنفسه.
ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة بالخاصة، ولا يدخر عنهم شيئا،
فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه، قسمته على قدر فضلهم في الدين،
منهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم، ويشغلهم فيما
أصلحهم والأمة من مسألته عنهم، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: " ليبلغ الشاهد
منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة
من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة " لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد
غيره.
قال في حديث سفيان بن وكيع: " يدخلون روادا، ولا يتفرقون إلا عن ذواق، ويخرجون
أدلة "، يعني فقهاء، قلت: فأخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه، قال: كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا مما يعنيهم، ويؤلفهم ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم ويولّيه
عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد بشره وخلقه، ويتفقد
أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسّن الحسن ويصوّبه، ويقبح القبيح ويوهنه،
معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملّوا؛ لكل حال عنده عتادٌ، لا يقصّر
عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره، الذين يلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم عنده أعمهم
نصيحةً، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساةً ومؤازرة.
فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه، فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى القوم
جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب

جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو
المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسورٍ من القول، قد وسع الناس بسطه
وخلقه فصار لهم أبا، وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى. وفي الرواية
الأخرى: صاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه
الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنثى فلتاته - وهذه الكلمة من غير الروايتين - يتعاطفون،
بالتقوى متواضعين، يوقّرون فيه الكبير ويرحمون الصغير، ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون
الغريب.
فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه، فقال: كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخّاب ولا فحّاش،
ولا عيّاب، ولا مدّاح، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه، قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء،
والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيّره، ولا يطلب
عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير،
وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ،
حديثهم حديث أوّلهم، يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يعجبون منه، ويصبر للغريب
على الجفوة في المنطق، ويقول: " إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه " ولا يطلب
الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام.
هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع.
وزاد الآخر؛ قلت: كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم ؟ قال كان سكوته على
أربع، على الحلم والحذر والتقدير والتفكّر، فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين
الناس، وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى، وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر، فكان
لا يغضبه شيء يستفزه. وجمع له في الحذر أربع: أخذه بالحسن، ليقتدي به، وتركه القبيح
لينتهي عنه، واجتهاد الرأي بما أصلح أمته، والقيام لهم بما جمع لهم من أمر الدنيا والآخرة.

صلى الله عليه وسلم. فهذه جملة كافية من أوصافه صلى الله عليه وسلم، فلنذكر
أحواله.
ذكر أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في دنياه، وما ناله من شدة العيش فيها، وما روي من أحواله في تطيبه ولباسه وفراشه،
ووسادته، وتختمه وتنعله، وخفّيه. وسواكه، ومشطه، ومكحلته ومرآته وقدحه، وما ورد
في حجامته، وما ملكه من السلاح والدواب وغير ذلك.
صلى الله عليه وسلم
أما ما ناله صلى الله عليه وسلم من شدة العيش في دنياه فقد تقدم من صفاته المعنوية زهده في الدنيا وتقلله منها، وأحلنا هناك على ما نورده في
هذا الموضع. وسنورد منه ما تقف عليه إن شاء الله.
فمن ذلك ما روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً، وأهله لا يجدون عشاء، وكان عامة خبزهم
الشعير. وعن أنس بن مالك أن فاطمة رضي الله عنها جاءت بكسرة خبز إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال: " ما هذه الكسرة " ؟ قالت: قرصٌ خبزته فلم تطب نفسي
حتى آتيتك بهذه الكسرة. فقال: " أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام ". وعن
أبي هريرة: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشدّ صلبه بالحجر من الغرث ".
وعن مسروق قال: بينما عائشة تحدثني ذات يوم إذ بكت؛ فقلت ما يبكيك يا أم المؤمنين
؟ قالت: ما ملأت بطني من طعام فشئت أن أبكي إلا بكيت؛ أذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما كان فيه من الجهد. وعنه قال: دخلت على عائشة أم المؤمنين وهي
تبكي، فقلت يا أم المؤمنين ما يبكيك ؟ قالت: ما أشبع فأشاء أن أبكي إلا بكيت؛ وذلك
أن رسول الله صلىالله عليه وسلم كان يأتي عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز برّ. وعنها
رضي الله عنها قالت: ما شبع آل محمد غداءً وعشاءً من خبز الشعير ثلاثة أيام متتابعات
حتى لحق بالله. ومن رواية عنها: ما رفع عن مائدته كسرة فضلاً حتى قبض. وعن أبي
هريرة قال: كان يمرّ بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم هلالٌ، ثم هلال، ثم هلال، لا يوقد

في شيء من بيوته نارٌ، لا لخبز ولا لطبيخ، قالوا، بأي شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة ؟
قال: بالأسودين التمر والماء. قال: وكان له جيران من الأنصار - جزاهم الله خيراً - لهم
منائح يرسلون إليه بشيء من لبن. وعن الحسن قال: خطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال: " والله ما أمسى في آل محمد صاع من طعام وإنها لتسعة أبيات " والله ما
قالها استقلالاً لرزق الله، ولكن أراد أن تأسى به أمته. وعن عائشة رضي الله عنها قالت:
ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم مرتين حتى لحق بالله، ولا رفعنا له فضل
طعام عن شبع حتى لحق بالله، إلا أن نرفعه لغائب. فقيل لها: ما كانت معيلتكم ؟ فالت:
الأسودان الماء و التمر. قالت: وكان لنا جيران من الأنصار لهم ربائب يسقونا من لبنها؛
جزاهم الله خيراً. وعن ابن شهاب: أن أبا هريرة كان يمر بالمغيرة بن الأخنس وهو يطعم
الطعام، فقال: ما هذا الطعام ؟ قال خبز النقيّ واللحم السمين، قال: وما النقيّ ؟ قال:
الدقيق. فتعجب أبو هريرة ثم قال: عجباً لك يا مغيرة ! رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبضه الله عز وجل، وما شبع من الخبز والزيت في يوم مرتين، وأنت وأصحابك تهذرون ها
هنا الدنيا بينكم.
وعن قتادة قال: كنا نأتي أنس بن مالك وخبآّزه قائمٌ، فقال يوماً: كلوا فما أعلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق بربه، ولا شاةً سميطاً قط. وعن عائشة
رضي الله عنها قالت: ما اجتمع في بطن النبي صلى الله عليه وسلم طعامان في يوم قطّ،
إن أكل لحماً لم يزد عليه، وإن أكل تمراً لم يزد عليه، وإن أكل خبزاً لم يزد عليه. وعن عائشة
رضي الله عنها قالت: أرسل أبو بكر رضي الله عنه قائمة شاة ليلاً فقطعت، وأمسك
عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو قطع رسول الله صلى لله عليه وسلم وأمسكت
عليه، فقيل لها: على غير مصباح ؟ قالت عائشة: لو كان عندنا مصباح لأتدمنا به، كان
يأتي على آل محمد شهراً ما يختبزون خبزاً ولا يطبخون قدراً.
وعن عمران بن زيد المديني قال: حدثني والدي، قال: دخلنا على عائشة، فقلنا: سلام

عليك يا أماه، قالت: وعليك، ثم بكت، فقلنا، ما بكاؤك يا أماه ؟ قالت: بلغني أن الرجل
منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمس لذلك دواء، فذكرت نبيكم صلى الله عليه وسلم،
فذلك الذي أبكاني، خرج من الدنيا ولم يملأ بطنه في يوم من طعامين، كان إذا شبع من التمر
لم يشبع من الخبز، وإن شبع من الخبز لم يشبع من التمر، فذلك الذي أبكاني. وعن أسماء
بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفّى يوم توفّى، ودرعه مرهونة عند رجل من
اليهود بوسق من شعير. وسئل سهل بن سعد: أكانت المناخل على عهد رسول الله
صلىالله عليه وسلم ؟ قال: ما رأيت منخلاً في ذلك الزمان، وما أكل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الشعير منخولاً حتى فارق الدنيا. فقيل له: كيف كنتم تصنعون ؟ قال: كنا
نطحنها ثم ننفخ قشرها، فيطير ما طار ويستمسك ما استمسك. وعن الأعرج، عن أبي
هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع، قال قلت لأبي هريرة: وكيف ذلك الجوع ؟
قال: لكثرة من يغشاه وأضيافه، وقوم يلزمونه لذلك، فلا يأكل طعاماً أبداً إلا ومعه أصحابه
وأهل الحاجة يتتبعون من المسجد، فلما فتح الله تعالى خيبر اتسع الناس بعض الاتساع،
وفي الأمر بعض ضيقٌ، والمعاش شديد في بلاد ظلفٍ، ولا زرع فيها، إنما طعام أهلها التمر
وعلى ذلك أقاموا. قال مخرمة بن سليمان: وكانت جفنة سعد تدور على رسول الله صلى
الله عليه وسلم منذ يوم نزل المدينة في الهجرة إلى يوم توفي. وغير سعد بن عبادة من الأنصار يفعلون ذلك. وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كثيراً يواسون، ولكن الحقوق تكثر والعدّام يكثرون، والبلاد ضيقة ليس فيها معاش،
إنما تخرج ثمرتهم من ماء ثمد يحمله الرجال على أكتافهم، أو على الإبل أقل ذلك، وربما
أصاب نخلهم القشّام فتذهب ثمرتهم تلك السنة، والقشّام: شيء يصيب البلح مثل الجدري
فينتشر؛ فهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم في عيشه في غالب أوقاته، وهي سنة
الأنبياء صلوات الله عليهم.
وأما تطيبه صلى الله عليه وسلم

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الطيب، وكان يتطيب بالغالية وبالمسك،
حتى يرى وبيصه في مفارقه، ويتبخر بالعود ويطرح معه الكافور، وكان يعرف في الليلة
المظلمة بطيب ريحه صلى الله عليه وسلم.
وأما لباسه صلى الله عليه وسلم
وما روي من ألوانه وأصنافه وطوله وعرضه
فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يتجمل لأصحابه، فضلاً عن تجمله لأهله، ويقول:
" إن الله يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيأ لهم ويتجمل " ولبس صلى الله عليه
وسلم من الثياب البياض والحمرة والصفرة والخضرة والسواد.
أما البياض وما جاء فيه - فقد روى عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال: " عليكم بالبياض من الثياب فاليلبسها أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم فإنها من
خير ثيابكم " وفي رواية عنه " البسوا الثياب البيض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها
موتاكم ". وعن أبي قلابة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنّ من أحب
ثيابكم إلى الله البياض، فصلوا فيها وكفنوا فيها موتاكم ".
ومن الثياب الحمر - فروى عن البراء قال: ما رأيت أحداً كان أحسن في حلة حمراء من
رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعنه: ما رأيت من ذي لمة أحسن في حلة حمراء من
رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال أتيت النبي
صلى الله عليه وسلم بالأبطح، وهو في قبة حمراء، فخرج عليه جبة له حمراء وحلة عليها
حمراء. وعن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس برده
الأحمر في العيدين والجمعة. وعن أبي جعفر محمد بن علي أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر؛ ويعتّم يوم العيدين، صلى الله عليه وسلم تسليماً
كثيرا.
وأما الثياب الصفر - فقد روي عن قيس بن سعد بن عبادة قال: أتانا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوضعنا له غسلاً فاغتسل، ثم أتيناه بملحفة ورسية فاشتمل بها، فكأني
أنظر إلى أثر الورس على عكنه. وعن بكر بن عبد الله المزني قال: كانت لرسول الله صلى

الله عليه وسلم ملحفة مورّسة، فإذا دار على نسائه رشها بالماء. وعن أم سلمة رضي الله
عنها قالت: ربما صبغ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ورداؤه وإزاره بزعفران
وورس، ثم يخرج فيها. وعن عبد الله بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصبغ ثيابه بالزعفران: قميصه ورداؤه وعمامته. وعن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال:
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه رداءٌ وعمامةٌ مصبوغين بالعبير، والعبير
عندهم الزعفران. وعن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ
ثيابه كلها بالزعفران حتى العمامة.
وأما الثياب الخضر - فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الثياب
الخضر. وعن أبي رمثة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردان
أخضران. والله المنعم.
وأما السواد وما ورد فيه - فقد روي عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل مكة، وعليه عمامة سوداء. وعن حريث عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
خطب الناس، وعليه عمامة سوداء. هذا ما وقفنا عليه من ألوان لباسه صلى الله عليه
وسلم.
فأما أصناف لباسه صلى الله عليه وسلم وطولها وعرضها، فإنه عليه الصلاة والسلام
لبس الصوف والحبرة والقطن، ولبس السندس والحرير، ثم تركه، وورد في ذلك أخبار نذكر
منها ما أمكن.
أما الصوف وما ورد فيه - فقد روي عن أبي بردة قال: دخلت على عائشة رضي الله
عنها فأخرجت إلينا إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن، وكساء من هذه الملبدة، فأقسمت أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض فيهما. وعنها رضي الله عنها قالت، جعل للنبي
صلى الله عليه وسلم بردة سوداء من صوف فلبسها. وعن سهل بن سعد: قال: جاءت
امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببردة منسوجة، فيها حاشيتاها. قال سهل:
وتدرون ما البردة ؟ قالوا: الشملة، قال: نعم، هي الشملة، فقالت: يا رسول الله، نسجت

هذه البردة بيدي فجئت بها أكسوكها، قال: فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم
محتاجاً إليها، فخرج علينا وإنها لإزاره، فحسّنها فلان - لرجل من القوم سماه - فقال يا
رسول الله، ما أحسن هذه البردة ! أكسينها، فقال: " نعم " فجلس ما شاء الله في المجلس
ثم رجع، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم طواها ثم أرسل بها إليه، فقال له
القوم: ما أحسنت، كسيها رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها ثم سألته إياها،
وقد علمت أنه لا يرد سائلاً ! فقال الرجل: والله ما سألته إياها لألبسها، ولكن لتكون كفني
يوم أموت، قال سهل: فكانت كفنه.
وأما الحبرة وهي من برود اليمن فيها حمرة وبياض فكانت من أحب اللباس إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم. وروي عن قتادة قال قلت لأنس بن مالك: أي اللباس كان أحب
وأعجب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: الحبرة.
وعن محمد بن هلال قال:
رأيت على هشام بن عبد الملك برد النبي صلى الله عليه وسلم من حبرة له حاشيتان.
وأما السندس والحرير - فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس ذلك ثم تركه. روي
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أهدى ملك الروم إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم مستقة من سندس فلبسها، فكأنى أنظر إلى يديها تذبذبان من طولها. فجعل القوم
يقولون: يا رسول الله، أنزلت عليك من السماء ؟ فقال: " وما تعجبون منها، فوالذي نفسي
بيده إن منديلاً من مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها " ثم بعث بها إلى جعفر بن
أبي طالب فلبسها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إني لك أعطكها لتلبسها " قال: فما
أصنع بها ؟ قال: " ابعث بها إلى أخيك النجاشي ". وعن عقبة بن عامر قال: أهدى
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرّوجٌ - يعني قباء حرير - فلبسه، ثم صلّى فيه، ثم
انصرف فنزعه نزعاً شديداً كالكاره له، ثم قال: " لا ينبغي هذا للمتقين ".
وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خميصة له أعلام،

فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما سلّم قال: " اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم فإنها ألهتني
آنفاً عن صلاتي وأتوني بأنبجاني أبي جهم ".
وأما القطن وما ورد في أطوال ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضها فروي عن
أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت يوماً أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
برد بحراني غليظ الحاشية. وعنه كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنياً
قصير الطول قصير الكمين. وعن بديل قال: كان كم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
الرسغ. وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما: أن طول رداء النبي صلى الله عليه وسلم
أربع أذرع، وعرضه ذراعان وشبر. وعنه أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
كان يخرج فيه إلى الوفد - ورداؤه حضرمي - طوله أربع أذرع، وعرضه ذراعان وشبر،
فهو عند الخلفاء قد خلق، فطووه بثوب يلبسونه يوم الأضحى والفطر. وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصاً قصير اليدين
والطول. وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كنت مع عمر، في حديث رواه عنه قال فقال:
رأيت أبا القاسم وعليه جبة شامية ضيقة الكمين.
ذكر صفة إزرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما كان يقوله إذا لبس ثوباً جديداً
روى عن يزيد بن أبي حبيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرخي الإزار من
بين يديه، ويرفعه من ورائه. وعن عكرمة مولى ابن عباس، قال: رأيت ابن عباس إذا ائتزر
أرخى مقدم إزاره، حتى تقع حاشيتاه على ظهر قدميه؛ ويرفع الإزار مما وراءه، فقلت له: لم
تأتزر هكذا ؟ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتزر هذه الإزرة. وعن أبي
سعيد الخدري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استجد ثوباً سماه باسمه؛
قميصاً أو إزاراً أو عمامةً، ويقول: " اللهم لك الحمد كسوتنيه، أسألك من خيره وخير ما
صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له ". وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا لبس ثوباً - أو قال - إذا لبس أحدكم ثوباً قليقل

الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في حياتي ".
وكان صلى الله عليه وسلم يلبس الكساء الصوف وحده فيصلي فيه، وربما لبس الأزار
الواحد ليس عليه غيره، ويعقد طرفيه بين كتفيه يصلي فيه.
وكان يلبس القلانس تحت
العمائم، ويلبسها دونها " ويلبس العمائم دونها ويلبس القلانس ذات الآذان في الحرب، وربما
نزع قلنسوته، وجعلها سترة بين يديه وصلى إليها، وربما مشي بلا قلنسوة ولا عمامة ولا
رداء، راجلاً يعود المرضى كذلك في أقصى المدينة. وكان يعتم ويسدل طرف عمامته بين
كتفيه. وعن عليّ قال: عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة، وسدل طرفها
على منكبي، وقال: " إن العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين ".
ذكر فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسادته
روى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت دخلت امرأة من الأنصار عليّ فرأت
فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءةً مثنية، فانطلقت فبعثت إليّ بفراش حشوه
صوفٌ، فدخل رسول الله صلى لله عليه وسلم عليّ فقال: " ما هذا " ؟ قلت: يا رسول
الله؛ فلانة الأنصارية، دخلت عليّ فرأت فراشك فذهبت فبعثت هذا. فقال: " رديه " فلم
أرده، وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال: " والله يا عائشة لو
شئت لأجرى الله معي حبال الذهب والفضة " وعنها: أنها كانت تفرش لرسول الله صلى
الله عليه وسلم عباءة باثنتين فجاء ليلة وقد ربعتها فنام عليها، فقال: " ياعائشة ما لفراشي
الليلة ليس كما كان يكون " ؟ قالت قلت: يا رسول الله، ربعتها، قال " فأعيديه كما كان
".
وعنها قالت: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادةٌ من أدم محشوة ليفاً، ودخل
عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على سرير
مرمول بشريط، وتحت رأسه مرفقة من أدم محشوة بليف، وقد أثر الشريط بجنبه، فبكى
عمر، فقال: " ما يبكيك " ؟ قال: يا رسول الله ذكرت كسرى وقيصر يجلسون على سرر

الذهب ويلبسون السندس والإستبرق، فقال: " أما ترضون أن تكون لكم الآخرة ولهم
الدنيا ". وعن عبد الله بن مسعود قال: اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على
حصير فأثر الحصير بجلده، فلما استيقظ جعلت أمسح عنه وأقول: يا رسول الله، ألا آذنتنا
نبسط لك على هذا الحصير شيئا يقيك منه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "
مالي وللدنيا، وما أنا والدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها "،
وعن المغيرة ابن شعبة قال: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروة، وكان يستحب أن
تكون له فروة مدبوغة يصلي عليها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على
الحصير والخمرة، كما روي في الصحيحين.
ذكر ما لبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخواتم، ومن قال لم يختتم
قد قدمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ الخاتم في سنة سبع من الهجرة عندما
بعث رسله إلى الملوك، وختم به الكتب التي سيرها إليهم، فلنذكر هنا ما لبسه من الخواتم
وقد روى أنه تختم بالذهب والفضة والحديد الملوى عليه الفضة، على ما نذكر ذلك من
أقوالهم.
روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاتما من ذهب، فكان يجعل فصه في بطن كفه إذا لبسه في يده اليمنى، فصنع الناس
خواتيم من ذهب، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزعه، وقال: " إني
كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصه من باطن كفي " فرمى به، وقال: " والله لا ألبسه أبداً
" ونبذ النبي صلى الله عليه وسلم الخاتم، فنبذ الناس خواتيمهم.
ثم اتخذ خاتماً من فضة فصه منه، ونقش عليه " محمد رسول الله " ثلاثة أسطر، كان
يختم به الكتب إلى الملوك. وقد روى أن خاتمه كان من حديد، ملوي عليه فضة، وقيل:
إنه رآه في يد عمرو بن سعيد بن العاص حين قدم من الحبشة فقال: " ما هذا الخاتم في يدك
يا عمرو " ؟ قال: هذه حلقة يا رسول الله، قال: " فما نقشها " ؟ قال محمد رسول الله،

فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فتختمه، فكان في يده حتى قبض، ثم في يد
أبي بكر حتى قبض، ثم في يد عمر حتى قبض، ثم في يد عثمان ست سنين، وفي السابعة
وقع في بئر أريس. قال أنس ابن مالك: فطلبناه من عثمان ثلاثة أيام فلم نقدر عليه.
وروى عن ابن سيرين: أن نقشه كان " بسم الله، محمد رسول الله ".
وقد روى محمد بن سعد في طبقاته قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي، قال
حدثنا عطاف بن خالد، عن عبد الأعلى عن عبد الله بن أبي فروة، عن سعيد بن
المسيب، قال: ما تختم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي الله، ولا أبو بكر حتى
لقي الله، ولا عمر حتى لقي الله، ولا عثمان حتى لقي الله، هكذا روى. والصحيح أنه
تختم صلى الله عليه وسلم، وتختموا رضوان الله عليهم أجمعين كما ذكرنا.
ذكر نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخفيه
روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لنعله قبالان.
وعن عبد الله بن الحارث قال: كان نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لها رمالان
شراكهما مثنى في العقدة. وعن سلمة عن هشام بن عروة قال: رأيت نعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم مخصرة معقبة ملسنة لها قبالان. وعن عبيد ابن جريج قال قلت لابن
عمر: يا أبا عبد الرحمن، أراك تستحب هذه النعال السبيتية، قال: إني رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبسهما ويتوضأ فيهما. وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه: أن
صاحب الحبشة أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خفين ساذجين فمسح
عليهما، وفي رواية: أن النجاشي أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خفين أسودين
ساذجين فلبسهما ومسح عليهما.
ذكر سواك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومشطه، ومكحلته، ومرآته، وقدحه، وغير
ذلك من أثاثه
روى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا

يرقد ليلا ولا نهارا فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ. وعن قتادة عن عكرمة قال: استاك
رسول الله صلى الله عليه وسلم بجريد رطب وهو صائم، فقيل لقتادة: إنا أناسا يكرهونه،
فقال: استاك والله رسول الله صلى الله عليه وسلم بجريد رطب وهو صائم. وعن ابن
جريج قال: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مشط عاج يمتشط به. وعن ثور عن
خالد بن معدان قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسافر بالمشط والمرآة والدهن
والمكحل والسواك.
وعن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه، ويسرح لحيته
بالماء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مكحلة يكتحل بها عند النوم ثلاثا في كل عين. وعن أنس قال: كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكتحل في عينه اليمنى ثلاث مرات، واليسرى مرتين.
وعن أبي رافع قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتحل بالإثمد وهو صائم.
وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
" عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر، وإنه من خير أكحالكم ". وعن عبيد الله
بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: أهدى المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدح زجاج، كان يشرب فيه. وعن عطاء قال: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح
زجاج، فكان يشرب فيه. وعن حميد قال: رأيت قدح النبي صلى الله عليه وسلم عند
أنس فيه فضة، أو شد بفضة. وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم وكان له ربعة فيها مرآة
ومشط عاج ومكحلة ومقراض وسواك.
وكان له قدح مضبب بثلاث ضبات من فضة - وقيل من حديد - وفيه حلقة يعلق بها،
وهو أكبر من نصف المد و أصغر من المد، وكان له قدح آخر يدعى الريان، وتور من
حجارة يدعى المخضب، ومخضب من شبهٍ يكون فيه الحناء والكتم توضع عند رأسه إذا
وجد فيه حرا، ومغسل من صفر، وقصعة، وصاع يخرج به فطرته، ومد، وكان له سرير،

وقطيفة، وكان له كساء أسود كساه في حياته، وكان له ثوبان للجمعة، غير سائر ثيابه التي
يلبسها في سائر الأيام، وكان له منديل يمسح به وجهه من الوضوء، وربما مسح بطرف ردائه
صلى الله عليه وسلم.
ذكر ما ورد في حجامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجامه
روى عن أنس بن مالك قال: احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحجمه أبو طيبة،
وأمر له بصاعين، وأمرهم أن يخففوا عنه من ضريبته، واختلف في اسم أبي طيبة، فقيل:
دينار، وقيل: نافع، وقيل: ميسرة، وهو مولى بني حارثة. وعن جابر بن عبد الله قال:
أخرج إلينا أبو طيبة المحاجم لثمان عشرة من شهر رمضان نهارا، فقلت: أين كنت؟ قال:
كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحجمه. وعن أنس قال: احتجم رسول الله
صلى الله عليه وسلم، حجمه أبو طيبة مولى كان لبعض الأنصار، فأعطاه صاعين من
طعام، وكلم أهله أن يخففوا عنه من ضريبته، وقال: " الحجامة من أفضل دوائكم ".
وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو صائم، فغشى عليه يومئذ، فلذلك: كرهت الحجامة للصائم، وعن سمرة بن جندب
قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حجامه فحجمه بمحاجم من قرون،
وجعل يشرطه بطرف شفرة، فدخل أعرابي فرآه ولم يكن يديري الحجامة، ففزع وقال: يا
رسول الله، علام تعطى هذا يقطع جلدك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هذا
الحجم " قال: يا رسول الله، وما الحجم ؟ قال: " هو خير ما تداوي به الناس ". وعن
عطاء ابن عباس - رضي الله عنهما - قالا: احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو محرم من وجع. وعن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم ثلاثا،
على الأخدعين ثنتين، وعلى الكاهل واحدة. وعن سعد بن أبي وقاص: أنه وضع يده على
المكان الناتئ من الرأس فوق اليافوخ، فقال: هذا موضع محجم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي كان يحتجم، وجاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسميها المغيثة.

وكان خالد بن الوليد يحتجم على هامته وبين كتفيه، فقيل له: ما هذه الحجامة ؟ فقال: إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحتجمها، وقال: " من أهراق منه هذه الدماء فلا
يضره ألا يتداوى بشيء لشيء ".
وروى: أن الأقرع بن حابس دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم في
القمحدوة: وهي آخر الرأس، فقال: لم احتجمت وسط رأسك ؟ قال: " يا ابن حابس إن
فيها شفاء ومن وجع الرأس والأضراس والنعاس والمرض " وشك الراوي في الجنون. وعن
أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الحجامة في الرأس هي المغيثة أمرني بها
جبريل حين أكلت طعام اليهودية ". وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليلة
أسرى بي ما مررت بملأ من الملائكة إلا قالوا يا محمد مر أمتك بالحجامة ". وعن معقل بن
يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة في
الشهر دواء لداء السنة ". وقد كان صلى الله عليه وسلم يحتجم لسبع عشرة وتسع
عشرة وإحدى وعشرين. وعن الأوزاعي، عن هرون بن رئاب: أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم احتجم، ثم قال لرجل: " ادفنه لا يبحث عنه كلب ".

ذكر ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السلاح

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أسياف: ذو الفقار تنفله يوم بدر، وهو الذي
رأى فيه الرؤيا في غزوة أحد، وكان قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمنبه بن الحجاج
السهمي، وثلاثة أسياف، أصابها من سلاح بني قينقاع، سيف قلعي، وسيف يدعى البتار،
وسيف يدعى الحتف، وسيفان أصابهما من الفلس، سيف يدعى المخذم، وآخر يدعى
الرسوب، وسيف ورثه عن أبيه، وسيف يقال له العضب، أعطاه إياه سعد بن عبادة،
وآخر يدعى القضيب، وهو أول سيف تقلد به رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أنس:
كان نعل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة، وقبيعته فضة، وما بين ذلك حلق
الفضة.
وكان له صلى الله عليه وسلم أربعة أرماح، ثلاثة أصابها من سلاح بني قينقاع، وواحد

يقال له المثنى. وكان له عنزةٌ: وهي حربة دون الرمح يمشي بها في يده، وتحمل بين يديه في
العيدين، حتى تركز أمامه فيتخذها سترة يصلي إليها. وكان له أربعة قسي: قوس من
شوحط تدعى الروحاء، وأخرى من شوحط تدعى البيضاء، وأخرى من نبع تدعى
الصفراء، وقوس تدعى الكتوم كسرت يوم بدر. وكان له جعبة تدعى الكافور، وكان له
مخصرة تسمى العرجون، وكان له محجن قدر الذارع أو نحوه يتناول به الشيء، وهو الذي
استلم به الركن في حجة الوداع، وكان له درعان أصابهما من سلاح بني قينقاع: درع يقال له
السعدية، وأخرى يقال له فضة.
وعن محمد بن مسلمة قال: رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعين،
درعه ذات الفضول، ودرعه فضة، ورأيت عليه يوم حنين درعين، ذات الفضول والسعدية،
ويقال: كانت عنده درع داود عليه السلام التي لبسها لما قتل جالوت، وكان له مغفر يقال له
السبوغ، وكان له صلى الله عليه وسلم ترس، روى محمد بن سعد في طبقاته قال: أخبرنا
عتاب بن زياد، قال حدثنا عبد الله بن المبارك، قال أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر،
قال سمعت مكحولا يقول: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ترسٌ فيه تمثال رأس
كبش، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه، فأصبح وقد أذهبه الله تعالى.
وفي رواية أخرى: كان له صلى الله عليه وسلم ترس عليه تمثال عقاب، أهدى له فوضع
يده عليه فأذهبه الله، وكان له منطقة من أديم مبشور فيها ثلاث حلق من فضة، والإبزيم
من فضة، والطرف من فضة، وكان له راية سوداء مخملة، يقال لها العقاب، ولواء أبيض
وربما جعل الألوية من خمر نسائه صلى الله عليه وسلم، ورضى عنهن.
ذكر دواب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخيل والبغال والحمير
أما خيله صلى الله عليه وسلم، فقد ذكرنا في الباب الأول من القسم الثالث من الفن
الثالث من كتابنا هذا، وهو في السفر التاسع من هذه النسخة، أن خيل رسول الله صلى

الله عليه وسلم التي ملكها، على ما ظهر من مجموع الروايات التي أوردناها هناك تسعة
عشر فرسا: وهي السكب، والمرتجز، والبحر، وسبحة، وذو اللّمّة، وذو العقال، واللحيف،
ويقال فيه: اللخيف بالخاء المعجمة، وقيل: النحيف بالنون، واللّزاز، والظّرب، والورد،
والسجل، والشحا، والسرحان، والمرتجل، والأدهم، وملاوح، والعيسوب، واليعبوب،
والمرواح، وقد يكون الأدهم هو السكب أو البحر، فتكون ثمانية عشر فرسا.
وذكرنا هناك أخبار هذه الخيل ومن ذكرها. وذهب بعضهم إلى خيله صلى الله عليه
وسلم كانت عشرة أفراس: السكب، والمرتجز، ولزاز، واللخيف، والظرب، والورد،
والضرس، وملاوح، وسبحة، والبحر، ولم يذكر ما عداها والله عز وجل أعلم.
وأما بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمره فقد ذكرنا أيضاً في الباب الثاني من
القسم الثالث من الفن الثالث في السفر التاسع من كتابنا هذا، أن بغلات رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللاتي ملكهن كن سبعا، على ما ظهر من مجموع الروايات التي ذكرناها
هناك، وهن دلدل التي أهداها له المقوقس، وفضة التي أهداها له فروة من عمرو، وبغلة
أهداها له كسرى، وبغلته الأيلية التي أهداها له ابن العلماء صاحب أيلة، وبغلة بعثها له
صاحب دومة الجندل، وبغلة أهداها له يوحنّا بن روزبه، وبغلة أهداها له النجاشي
صاحب الحبشة، وفي البغلة الذي ذكر أن كسرى أهداها له صلى الله عليه وسلم نظر، لما
قدمناه من أنه مزّق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه. ومن أهل العلم من
ذهب إلا أنهن كن ثلاثة: دلدل التي أهداها له المقوقس، وفضة وهبها لأبي بكر الصديق
رضي الله عنه، وبغلة أهداها له صاحب أيلة. وكان له صلى الله عليه وسلم من الحمر:
يعفور، وعفير، وقد ذكرناهما في الباب المقدم ذكره في السفر التاسع.
ذكر نعم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة بالغابة، يراح له منها كل ليلة بقربتين

عظيمتين من اللبن، وكانت له لقحة تدعى بردة، أهداها له الضحاك ابن سفيان، كانت
تحلب كما تحلب لقحتان غزيرتان، وكانت له مهرية أرسلها إليه سعد بن عبادة من نعم بني
عقيل، وكانت له القصواء، وهي التي هاجر عليها، وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوحي
غيرها، وهي العضباء، والجدعاء، وقيل: العضباء غير القصواء، وقد ذكرنا في الباب
الثالث من القسم الثالث من الفن الثالث نعمه بأبسط من هذا.
وكان له صلى الله عليه وسلم مائة من الغنم، وكانت له سبع منائح: عجرة، وزمزم،
وسقيا، وبركة، وورشة، وأطلال. وأطراف، وكانت أم أيمن ترعاهن، وكانت له شاة يختص
بشرب لبنها، تدعى غيثة، وكان له ديكٌ ابيض، هذا ما أمكن إيراده في هذه الفصول، وهو
بحسب الاختصار.
وقد آن أن نأخذ من ذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم، وإنما أخرنا ذكر المعجزات إلى
هذه الغاية لأمور: منها أن معجزاته صلى الله عليه وسلم كانت في مدة حياته، تقع خلال
غزواته، وغالب أوقاته، فلو ذكرناها قبل نهاية ذكر أحواله صلى الله عليه وسلم، لكنا قد
قدمنا منها شيئا قبل وقته الذي وقع فيه. ومنها أنا لما ذكرنا صفاته صلى الله عليه وسلم
فيما تقدم، استلزم إيراد أحواله تلو صفاته، وصار الكلام يتلو بعضه بعضا، ولو ذكرنا
المعجزات في خلال ذلك لانقطع الكلام وانفرط النظام، وأهم الأسباب في تأخير ذكر
المعجزات إلى هذه الغاية، أنا أردنا أن تكون معجزاته صلى الله عليه وسلم خاتمةً لهذه
السيرة الشريفة، وتالية لهذه المناقب المنيفة لا يجعل بعدها من أخباره صلى الله عليه
وسلم إلا أخبار وفاته عليه السلام.

معجزاته

ومعنى المعجزة أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها، ولا تكون معجزة إلا مع وجود
التحدي بالنبوة، وأما مع عدم التحدي فهي كرامة، كأحوال الأولياء.
والمعجزة على ضربين: ضربٌ هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عن الإتيان بمثله، كالقرآن
على رأي من رأى أن من قدرة البشر أن يأتوا بمثله، ولكن الله تعالى صرفهم عن ذلك،

فعجزوا عنه، وكصرف يهود عن تمني الموت، ونحو ذلك. وضرب هو خارج عن قدرة
البشر كإحياء الموتى، وتسبيح الحصى، وانشقاق القمر، ونبع الماء من بين الأصابع، وتكثير
الطعام، وحبس الشمس، وردها بعد غروبها.
وها نحن نورد في هذا الفصل من مشاهير معجزاته، وباهر آياته، ما تقف إن شاء الله
تعالى عليه، وقد تقدم من معجزاته صلى الله عليه وسلم في أثناء هذه السيرة ما تقدم، مما
ننبه عليه في هذا الفصل، ونحيل عليه في مواضعه، ونشرح ونبين ما أدمجناه قبل إن شاء
الله تعالى.
ومعجزاته صلى الله عليه وسلم كثيرة: منها القرآن العظيم، وهو أكبرها آية، وأعظمها
دلالة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم، ومنها انشقاق القمر، وحبس الشمس،
وردها، وتفجير الماء وانبعاثه ونبعه من بين أصابعه وتكثير الطعام، وكلام الشجر، وسعيها
إليه، وحنين الجذع، وتسبيح الطعام والحصى، وكلام الجمادات، وشهادة الحيوانات له صلى
الله عليه وسلم بالنبوة، وكلام الموتى، وإبراء المرضى، وإجابة الدعاء، وانقلاب الأعيان،
وما أطلعه الله تعالى عليه من علم الغيوب، والإخبار بما كان ويكون، وما جمع له من
المعارف والعلوم ومصالح الدنيا والدين، وسياسة العالم، والعصمة من الناس، وغير ذلك مما
نشرحه ونبينه إن شاء الله تعالى.
فأما القرآن العظيم وما انطوى عليه من المعجزات، فمعجزاته كثيرة نحصرها في عشرة
أوجه:
الوجه الأول - حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادة
العرب، وذلك أنهم خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم، وحسبك
أن القرآن أنزل بلغتهم، ومع ذلك فقد قرعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم به، ووبخهم
وسفه أحلامهم، وسب آلهتهم، وذكم آباءهم، وشتت نظامهم، وفرق جماعتهم، وأنزل الله
تعالى فيهم ما أنزل من قوله عز وجل: " أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورةٍ مثله وادعوا من
استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين " وقوله تعالى: " وإن كنتم في ريبٍ مما نزلنا على

عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا
ولن تفعلوا " وقوله تعالى: " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا
يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً " وغير ذلك، فنكصوا عن معارضته، وأحجموا
عن مماثلته، ورضوا بقولهم " قلوبنا غلفٌ " و " في أكنةٍ مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقرٌ ومن
بيننا وبينك حجابٌ ". و " لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ". واعترف
فصحاؤهم عند سماعه أنه ليس من كلام البشر، كالوليد بن المغيرة وعتبة ابن ربيعة، على
ما قدمنا ذكر ذلك.
الوجه الثاني من إعجازه - صورة نظمه العجيب، المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج
نظمها ونثرها، وسجعها ورجزها وهزجها وقريضها، ومبسوطها ومقبوضها، كما قال الوليد
بن المغيرة لقريش عند اجتماعهم كما قدمناه، ومن ذلك جمعه بين الدليل والمدلول، وذلك أنه
احتج بنظم القرآن، وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته، وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده
ووعيده، فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معاً من كلام واحد.
الوجه الثالث من إعجازه - ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يقع
فوجد، كما جاء في قوله تعالى: " لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ". وقوله في
الروم: " وهم من بعد غلبهم سيغلبون ". وقوله: " ليظهره على الدين كله " وقوله: " وعد
الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض " الآية. وقوله: " إذا جاء
نصر الله والفتح " السورة، فكان جميع ذلك: فتح الله مكة، وغلبت الروم فارس، وأظهر الله
روسوله، ودخل الناس في دين الله أفواجا، واستخلف الله المؤمنين في الأرض، ومكن دينهم
وملكهم أقصى المشارق والمغارب، وما فيه من الإخبار بحال المنافقين واليهود، وكشف
أسرارهم، وغير ذلك.
الوجه الرابع - ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة والشرائع الداثرة، مما كان
لا يعلم منه القصة الواحدة إلا من مارس العلوم من أهل الكتاب، واطلع على الكتب المنزلة

القديمة، كقصص النبياء مع قومهم، وخبر موسى والخضر وذي القرنين ولقمان وابنه وبدء
الخلق، وغير ذلك مما في كتبهم القديمة مما اعترف بصحته العلماء من أحبار يهود، فمنهم من
آمن به ومنهم من صد عنه مع عدم إنكارهم لصحته، قال الله تعالى: " يأهل الكتاب قد
جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثيرٍ ".
الوجه الخامس - الروعة التي تلحق قلوب سامعيه، وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي
تعتريهم عند تلاوته؛ قال الله عز وجل: " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين
جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " وقال تعالى: " لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً
متصدعاً من خشية الله " هذا في حق المؤمنين به، وأما من كذب به فكانوا يستثقلون
سماعه، ويودّون انقطاعه، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " القرآن صحب
مستصعب على من كرهه وهو الحكم " وقد تقدم أن عتبة بن ربيعة لما سمع القرآن من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ قوله: " صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمود " أمسك
على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف.
الوجه السادس - كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، وقد تكفل الله تعالى بحفظه فقال:
" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ". وقال تعالى " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه " وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها، فلم يبق إلا خبرها، والقرآن العزيز
باق منذ أنزله الله تعالى وإلى وقتنا هذا، وما بعد إن شاء الله إلى آخر الدهر، حجته
قاهرة، ومعارضته ممتنعة.
الوجه السابع - أن قارئه لا يمل قراءته، وسامعه لا تمجه مسامعه، بل الإكباب على تلاوته
وترديده يزيده حلاوة ومحبة، لا يزال غضا طريا، وغيره من الكلام ولو بلغ ما عساه أن يبلغ
من البلاغة والفصاحة يمل مع الترديد، ويسأم إذا أعيد، وكذلك غيره من الكتب لا يوجد
فيها ما فيه من ذلك، وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن " أنه لا يخلق
على كثرة الرد ولا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه، هو الفصل ليس بالهزل ".

الوجه الثامن - أن الله تعالى يسر حفظه لمتعلميه، وقربه على متحفظيه، قال الله تعالى: " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكرٍ " فلذلك إن سائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منها،
وإن لازم قراءاتها، وداوم مدارستها، لم يسمع بذلك عن أحد منهم، والقرآن قد يسر الله
تعالى حفظه على الغلمان في المدة القريبة والنسوان، وقد رأينا من حفظه على كبر سنه،
وهذا من معجزاته.
الوجه التاسع - مشاكله بعض أجزائه بعضا، وحسن ائتلاف أنواعها، والتئام أقسامها،
وحسن التخلص من قصة إلى أخرى، والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه،
وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي، وخبر واستخبار ووعد ووعيد، وإثبات نبوة
وتوحيد، وتقرير وترغيب وترهيب، إلى غير ذلك، دون خلل يتخلل فصوله، والكلام الفصيح
إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته، ولانت جزالته، وقل رونقه، وتقلقلت ألفاظه، وهذا من
الأمور الظاهرة التي لا يحتاج عليها إقامة دليل، ولا تقرير حجة، ولا بسط مقال.
الوجه العاشر - وجمعه لعلوم ومعارف لم تعهدها العرب، ولا علماء أهل الكتاب، ولا
اشتمل عليها كتاب من كتبهم، فجمع فيه من بيان علم الشرائع، والتنبيه على طرق الحجج
العقليات، والرد على فرق الأمم بالبراهين الواضحة، والأدلة البينة السهلة الألفاظ، الموجزة
المقاصد، لقوله تعالى: " أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادرٍ على أن يخلق مثلهم "
وقوله: " قل يحيها الذي أنشأها أول مرةٍ " وقوله: " لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا " إلى
غير ذلك مما اشتمل عليه من المواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة، ومحاسن الآداب،
وغير ذلك مما لا يحصيه واصفٌ، ولا يعده عادٌ، قال الله تعالى: " ما فرطنا في الكتاب من
شيءٍ "، وقال تعالى: " ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثلٍ " وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: " إن الله أنزل على القرآن آمراً وزاجراً، وسنةً خالية، ومثلا
مضروبا، فيه نبأكم وخبرما كان قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يخلقه طول

الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل،
ومن خاصم به فلج، ومن قسم به أقسط، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هدي إلى
صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله، هو
الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين، والشفاء النافع، عصمةٌ
لمن تمسك به، ونجاةٌ لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا
يخلق على كثرة الرد ".
وفي الحديث: " قال الله تعالى لمحمد - صلى الله عليه وسلم - إني منزلٍ عليك توراةً
حديثة تفتح بها أعينا عمياً وآذانا صماً، وقلوباً غلفا، وفيها ينابيع العلم، وفهم الحكمة،
وربيع القلوب ". وقد عدوا في إعجازه وجوها كثيرة غير ما ذكرناه فلا نطول بسردها.
وأما انشقاق القمر، وحبس الشمس ورجوعها - فكان ذلك من معجزات رسول الله
صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: " اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحرٌ مستمرٌ ".
وقد رويت قصة انشقاق القمر عن ابن مسعود، وأنس بن مالك وابن عباس، وعلي بن أبي
طالب، وعبد الله بن عمر، وحذيفة، وجبير بن مطعم رضي الله عنهم، قال ابن مسعود:
انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة
دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اشهدوا قال ابن مسعود: حتى رأيت الجبل
بين فرجتي القمر وفي بعض طرقه: ومن رواية مسروق عنه أنه كان بمكة وزاد: فقال كفار
قريش سحركم ابن أبي كبشة، فقال رجل منهم: إن محمدا إن كان قد سحر القمر فإنه لا
يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا ؟
فأتوا فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك.
وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه. وقال: فقال أبو جهل هذا سحرٌ فابعثوا إلى أهل
الآفاق حتى ينظروا أرأوا ذلك أم لا ؟ فأخبر أهل النفاق أنهم رأوه منشقاً، فقالوا: - يعني

الكفار -: هذا سحر مستمر. وقال علي رضي الله عنه، من رواية أبي حديفة الأرحبي:
انشق القمر، ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم. وعن أنس: سأل أهل مكة النبي صلى
الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين، حتى رأوا حراء بينهما، وفي
رواية معمر، وغيره عن قتادة عن: أراهم القمر مرتين، حتى رأوا حراء بينهما، وفي رواية
معمر، وغيره عن قتادة عنه: أراهم القمر مرتين انشقاقه، فنزلت الآية " اقتربت الساعة
وانشق القمر ".
وحكى الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الحليمي الجرجاني في
منهاجه قال: رأيت ببخارى الهلال وهو ابن ليلتين منشقاً بنصفين، عرض كل واحد منهما
كعرض القمر ليلة أربع أو خمس، وما زلت أنظر إليهما حتى اتصلا، ثم لم يعودا كما كانا،
ولكنهما صارا في شكل أترجة، ولم أمل طرفي عنهما إلى أن غاب، قال: وكان معي ليلتئذ
جماعةٌ كثيفة، من بين شريف وفقيه وكاتب وغيرهم من طبقات الناس، وكلٌ رأى ما
رأيت. قال: وأخبرني من وثقت به، وكان خبره عندي كعياني أنه رأى الهلال وهو ابن
ثلاث منشقاً بنصفين، قال: وإذا كان هكذا، ظهر أن قول الله عز وجل: " وانشق القمر "
إنما هو على الانشقاق الذي هو من أشراط الساعة، دون الانشقاق الذي جعله الله تعالى
آية لرسوله صلى الله عليه وسلم وحجة على أهل مكة. وبالله التوفيق.
وأما رجوع الشمس - فقد روى عن أسماء بنت عميس أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يوحى إليه ورأسه في حجر عليٍ، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: " أصليت يا علي " ؟ قال: لا. فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: " اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس " قالت
أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت، ووقفت على الجبال والأرض، وذلك
بالصهباء في خيبر. خرجه الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء من طريقين، قال وكان

أحمد بن صالح يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء؛ لأنه من
علامات النبوة.
وأما حبسها فقد روى يونس بن بكير في زيادة المغازي عن ابن إسحاق: أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما أسرى به، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير، قالوا: متى
تجيء ؟ قال: " يوم الأربعاء " فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون، وقد ولى النهار
ولم يجيء، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة، وحبست عليه
الشمس صلى الله عليه وسلم.
وأما نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم
فقد روى عن أنس بن مالك، وجابر، وعبد الله بن مسعود؛ قال أنسٌ من رواية إسحاق
بن عبد الله بن أبي طلحة: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد حانت صلاة
العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء،
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضئوا منه،
قال: فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم. ورواه
أيضاً عن أنس قتادة، وقال: بإناء فيه ماء ما يغمر أصابعه، ولا يكاد يغمر، قال: كم كنتم ؟
قال: زهاء ثلثمائة، وفي رواية عنه: وهو بالزوراء عند السوق.
وأما ابن مسعود، ففي الصحيح عنه من رواية علقمة: بينما نحن مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم، وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اطلبوا من معه
فضل ماءٍ " فأتي بإناءٍ فصبه في إناءٍ، ثم وضع كفه فيه، فجعل الماء ينبع من بين أصابع
رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: "
عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ركوةٌ فتوضأ منها، وأقبل
الناس نحوه، وقالوا: ليس عندنا ماءٌ، إلا ما في ركوتك، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم
يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، وفيه: فقلت كم كنتم ؟
قالوا: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة. وفي صحيح مسلم في ذكر غزوة

بواط، قال جابر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا جابر ناد الوضوء " وذكر
الحديث بطوله: وإنه لم يحد إلا قطرة في عزلاء شجبٍ، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم
فغمزه، وتكلم بشيء لا أدري ما هو، وقال: " ناد بجفنة الركب " فأتيت بها فوضعتها بين
يديه، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة، وفرق أصابعه، وصب جابر
عليه وقال: " بسم الله " قال: فرأيت الماء يفور من بين أصابعه، ثم فارت الجفنة،
واستدارت حتى امتلأت، وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا، فقلت: هل بقي أحد
له حاجة؛ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى. هذا مختصر
ما روي من تفجير الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم.
وأما تفجيره وانبعاثه وتكثيره ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم
فمن ذلك ما رواه مالك بن أنس رحمه الله في الموطأ، عن معاذ بن جبل في قصة غزوة
تبوك وأنهم وردوا العين، وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك، فغرفوا من العين بأيديهم
حتى اجتمع في شيء، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه، وأعاده
فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس.
وفي حديث ابن إسحاق: فانخرق من الماء ماله حسٌ كحس الصواعق، ثم قال: " يوشك يا
معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جنانا ". ومنه قصة الحديبية، وقد
تقدم ذكرها في الغزوات. ومن ذلك خبر صاحبة المزادتين، وهو مما روى عن عمران بن
حصين، قال: أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطشٌ في بعض أسفارهم،
فوجه رجلين من أصحابه، وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا، معها بعير عليه
مزادتان، الحديث. فوجداها وأتيا بها النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل في إناء من
مزادتها، وقال فيه ما شاء الله أن يقول، ثم أعاد الماء في المزادتين، ثم فتحت عزاليهما، وأمر
الناس فملأوا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئاً إلا ملأوه، قال عمران: ويخيل لي أنهما لم تزدادا
إلا امتلاء، ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها، وقال: " اذهبي فإنا لم نأخذ من

مائك شيئاً ولكن الله سقانا ".
وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي
المجاز: عطشت وليس عندي ماء، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الأرض
فخرج الماء فقال: " اشرب ". وعن سلمة بن الأكوع؛ قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: "
هل من وضوء ؟ " فجاء رجل بإداوة فيها نطفةٌ فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا، ندغفقه
دغفقة أربع عشرة مائة. وفي حديث غزوة تبوك، وما أصاب الناس من العطش، ودعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الله تعالى أرسل سحابة فأمطرت حتى ارتوى
الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء، وقد تقدم ذكره. ومن طريق آخر في هذه القصة عن
عمر: وذكر ما أصابهم من العطش في جيش العسرة، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر
فرثه فيشربه، فرغب أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء،
فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فانسكبت فملأوا ما معهم من آنية، ولم يجاوز
العسكر. والحديث في هذا الباب كثير.
وأما تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم
فقد روينا من ذلك أحاديث كثيرة بأسانيد صحيحة متصلة، رأينا حذفها هاهنا اختصاراً
لاشتهارها وانتشارها، منها ما رويناه عن جابر رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي صلى
الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه
حتى كاله، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: " لو لم تكله لأكلتم منه وقام بكم
". ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور، وإطعام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين
أو سبعين رجلاً من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده - إي إبطه - فأمر بها
ففتت، وقال فيها ما شاء الله أن يقول. وحديث جابر - رضي الله عنه - في إطعام رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير، وعناقٍ، قال جابر:
فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز،

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك. ومن ذلك حديث
أبي أيوب الأنصاري: أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر رضي الله عنه
من الطعام زهاء ما يكفيهما، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " ادع ثلاثين من أشراف
الأنصار " فدعاهم فأكلوا حتى تركوه، ثم قال: " ادع ستين " فكان مثل ذلك، ثم قال: "
ادع سبعين " فأكلوا حتى تركوا، وما خرج منهم أحدٌ حتى أسلم وبايع، قال أبو أيوب: فأكل
من طعامي مائة وثمانون رجلاً.
وعن سمرة بن جندب قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من
غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون. ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي
الله عنهما قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة، وذكر في الحديث: عجن
صاعٌ من طعام، وصنعت شاة فشوي سواد بطنها، قال: وأيم الله ما من الثلاثين والمائة إلا
وقد حز له حزة من سواد بطنها، ثم جعل منها قصعتان فأكلنا أجمعون، وفضل في
القصعتين فحملته على البعير. ومن ذلك حديث عمر بن الخطاب وأبي هريرة وسلمة بن
الأكوع رضي الله عنهم فذكروا مخمصة أصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في
بعض مغازيه، فدعا ببقية الأزواد، فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك وأعلاهم
الذي أتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع، قال سلمة: فحززته كربضة البعير، ثم دعا
الناس بأوعيتهم، فما بقي في الجيش وعاءٌ إلا ملأوه وبقي منه.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أدعو له
أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم، فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا،
وهي مثلها حين وضعت، إلا أن فيها أثر الأصابع. وعن علي بن أبي طالب رضي الله
عنه قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين، منهم قوم
يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام، فأكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو،
ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقى كأنه لم يشرب.

وقال أنس ابن مالك: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما ابتنى بزينب أمره أن يدعو له قوما
سماهم، وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة، وقدم إليهم تورا فيه قدر مد من تمر
جعل حيسا، فوضعه قدامه وغنمس ثلاثة أصابعه، وجعل القوم يتغدون ويخرجون، وبقي
النور نحوا ما كان، وكان القوم أحدا أو اثنين وسبعين. وفي رواية أخرى في هذه القصة أو
مثلها: أن القوم كانوا زهاء ثلثمائة، وأنهم أكلوا حتى شبعوا،؛ وقال لي: " ارفع " فلا أدري
حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت. وفي حديث جعفر بن محمد عن آله، عن علي
رضي الله عنهم أن فاطمة رضي الله عنها طبخت قدرا لغدائها، ووجهت عليا إلى النبي
صلى الله عليه وسلم ليتغدى معها، فأمرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفةً صحفةً، ثم له
عليه السلام ولعلي، ثم لها، ثم رفعت القدر، وإنها لتفيض، قالت: فأكلنا منها ما شاء الله.
ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن
يزود أربعمائة راكب من أحمس، فقال: يا رسول الله، ما هي إلا أصوع، قال: اذهب فذهب
فزودهم منه، وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقى بحاله.
ومن ذلك حديث جابر بن
عبد الله رضي الله عنه في دين أبيه، وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه، ولم
يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بجذها وجعلها بيادر في
أصولها، ثم جاءه فمشى فيها ودعا، فأوفى جابر غرماء أبيه من ذلك، وفضل مثل ما كانوا
يجذون كل سنة. وفي رواية: مثل ما أعطاهم. قال: وكان الغرماء يهوداً فعجبوا من ذلك.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم " هل لي شيء " ؟ قلت: نعم، شيء، من التمر في المزود، قال: " فأتني به "
فأتيته به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها، ودعا بالبركة، ثم قال: " ادع لي عشرة " فأكلو
حتى شبعوا، ثم عشرة كذلك، حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا، قال: " خذ ما جئت به
وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه " فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت

منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر، إلى أن قتل عثمان فانتهب مني
فذهب. وفي رواية: فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا ومن وسق في سبيل الله. وذكر
مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك، وأن التمر كان بضع عشرة تمرة. ومنه أيضاً حديث أبي
هريرة رضي الله عنه حين أصابه الجوع، فاستتبعه، النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا
في قدح قد أهدى إليه، وأمره أن يدعو أهل الصفة، قال فقلت: ما هذا اللبن فيهم ! كنت
أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها، فدعوتهم، وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له
أن يسقيهم، قال: فجعلت أعطى الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يأخذ الآخر حتى روى
جميعهم، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال: " بقيت أنا وأنت اقعد فاشرب "
فشربت ثم قال: " اشرب " وما زال يقولها واشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما
أجد له مسلكا؛ فأخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة، صلى الله عليه وسلم.
وأما كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وانقيادها إليه وإجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم
فمن ذلك ما رويناه بسند متصل عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي، فقال: " يا أعرابي أين تريد " ؟
قال: إلى أهلي، قال: " هل لك إلى خير " ؟ قال: وما هو ؟ قال: " تشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله " قال: من يشهد لك على ما تقول ؟ قال: "
هذه الشجرة السمرة " وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه،
فاستشهدها ثلاثا فشهدت له أنه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها.
وعن بريدة قال: سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له: " قل لتلك الشجرة
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوك " قال: فمالت الشجروة عن يمينها وشمالها
وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها، ثم جاءت تخد الأرض، تجز عروقها مغيرة حتى وقفت
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: السلام عليك يا رسول الله، قال

الأعرابي: مرها فلترجع إلى منبتها فاستوت، فقال الأعرابي: إيذن لي أسجد لك، قال: " لو
أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها " قال: فأذن لي أقبل يديك
ورجليك، فأذن له.
ومن ذلك ما روى في الصحيح من حديث جابر بن عبد الله قال: ذهب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم يرى شيئاً يستتر به، فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي،
فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال: "
انقادي علي بإذن الله " فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قلائده. وذكر أنه فعل
بالأخرى مثل ذلك، حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال: " التئما عليّ بإذن الله " فالتأمتا.
وفي رواية أخرى؛ فقال: " يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما " ففعلت فرجعت حتى لحقت
بصاحبتها، فجلس خلفهما، فخرجت أحضر، وجلست أحدث نفسي، فالتفت فإذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقبل والشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على
ساق، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه - هكذا - يمينا وشمالا.
وروى أسامة بن زيد نحوه، قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه: "
هل " ؟ يعني مكانا لحاجة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت: إن الوادي ما فيه
موضع بالناس، فقال: " هل ترى من نخل أو حجارة " ؟ قلت:" أرى نخلات متقاربات،
فقال: " انطلق وقل لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك " فقلت ذلك لهن، فوالذي بعثه بالحق لقد
رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن، والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن، فلما
قضى حاجته قال لي: " قل لهن يفترقن " فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى
عدن إلى مواضعن.
وعن ابن مسعود مثله في غزاة حنين. وعن يعلى بن مرة - وهو ابن سيابة - وذكر

أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أن طلحة - أو سمرة – جاءت
فأطافت به، ثم رجعت إلى منبتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنها استأذنت
أن تسلم علي ". وفي حديث ابن مسعود: آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة
فاستمعوا له شجرةٌ. وذكر أبو بكر بن فورك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار في
غزوة الطائف ليلاً وهو وسنٌ، فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين، حتى جاز بينهما،
وبقيت على ساقين إلى وقتنا هذا، وهي هناك معروفة. وقد روى في مثل ذلك أحاديث
كثيرة.
ومن ذلك قصة حنين الجذع، والخبر بذلك مشهورٌ منتشر خرجه أهل الصحيح، ورواه
جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، قال جابر بن عبد الله: كان المسجد مسقوفا على
جذوع نخل، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم على جذع منها، فلما صنع
له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار، وفي رواية أنس: حتى ارتج المسجد
بخواره.
وفي رواية سهل بن سعد: وكثر بكاء الناس لما رأوا به. وفي رواية المطلب بن أبي وداعة:
حتى تصدع وانشق، حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت.
وزاد غيره: فقال النبي صلى الله عليه وسلم " إن هذا بكى لما فقد من الذكر " وزاد غيره:
" والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله " صلى
الله عليه وسلم، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر، وفي حديث
أبي بن كعب: فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه، فلما هدم المسجد
أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته ألرض وعاد رفاتا. وذكر الإسفراييني: أن النبي صلى الله
عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض فالتزمه، ثم أمره فعاد إلى مكانه. وفي
حديث بريدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت
فيه، تنبت لك عروقك، ويكتمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة، وإن شئت أغرسك في

الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك "، ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول
فقال: بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه. فسمعه من
يليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " قد فعلت - ثم قال - اختار دار البقاء على دار
الفناء ".
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم نطق الجمادات كتسبيح الطعام في جوفه، وتسبيح الحصى في كفه وكف من صبه في كفه من أصحابه،
وسلام الجبال والأحجار والأشجار عليه، وسجودها له، وغير ذلك مما يلتحق به على ما
نشرحه إن شاء الله تعالى.
فمن ذلك ما رويناه بإسناد متصل عن البخاري بسنده، عن علقمة عن عبد الله قال: لقد
كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل، وفي غير هذه الرواية عن عبد الله بن مسعود قال: كنا
نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام، ونحن نسمع تسبيحه. وقال أنس بن
مالك: أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفاً من حصًى فسبحن في يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن، ثم في أيدينا فما
سبحن. وروى أبو ذر مثله، وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان. وقال علي بن أبي
طالب رضي الله عنه: كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض
نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله.
وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إني لأعرف حجرا بمكة كان
يسلم علي " قيل: إنه الحجر الأسود. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، عنه صلى
الله عليه وسلم أنه قال: " لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا
قال السلام عليك يا رسول الله ".
وعن جابر بن عبد الله قال: لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد
له. وفي حديث العباس بن عبد المطلب إذا اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
بنيه بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين.
وعن جعفر ابن محمد عن

أبيه قال: مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب، فأكل منه
صلى الله عليه وسلم فسبح. وعن أنس رضي الله عنه قال: صعد النبي صلى الله عليه
وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحداً فرجف بهم فقال: " أثبت أحد، فإنما عليك نبيٌ
وصديق وشهيدان " ومثله عن أبي هريرة في حراء، وزاد فيه: ومعه علي وطلحة والزبير،
وقال: " إنما عليك نبيٌ أو صديق أو شهيد "، والخبر في حراء أيضاً عن عثمان قال: ومعه
عشرة من أصحابه أنا فيهم، وزاد عبد الرحمن وسعدا، قال: ونسيت الاثنين. وقد روى
أنه صلى الله عليه وسلم حين طلبته قريش قال له ثبير: اهبط يا رسول الله، فإني أخاف
أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله، فقال حراء: إلي يا رسول الله. وقد تقدم ذكر خبر
الأصنام، وسقوطها عند ما أشار إليها بالقضيب، حين فتح الله تعالى مكة عليه، صلى الله
عليه وسلم تسليما كثيرا أبداً دائماً.
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم
كلام الحيوانات وسكونها وثباتها إذا رأته؛ كقصة الدجن، وكلام الضب والذئب، والطائر
والظبية، وسجود الغنم والبعير، وخبر شفينة مولاه مع الأسد، وخبر العنز، وغير ذلك مما
نورده إن شاء الله تعالى.
فمن ذلك ما رويناه بسند متصل عن عائشة قالت: كانت عندنا داجنٌ، فإذا كان عندنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه، فلم يجيء ولم يذهب، فإذا خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب.
ومنه ما روى عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في خفل
من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا فقال: من هذا ؟ قالوا: نبي الله، واللات
والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب. وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا ضب" فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا: لبيك
وسعديك يا زين من وافى القيامة، قال: " من تعبد " ؟ قال: الذي في السماء عرشه، وفي
الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه، قال: " فمن أنا ؟"

قال: رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك. فأسلم
الأعرابي.
ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدري
قال: بينا راع يرعى غنما له،
عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه، فأقعى الذئب وقال للراعي: ألا تتقي الله،
حلت بيني وبين رزقي ! قال الراعي: العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس، فقال الذئب: ألا
أخبرك بأعجب من ذلك، رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق، فأتى
الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " قم فحدثهم
"، ثم قال: " صدق ". وروى حديث الذئب عن أبي هريرة. وفي بعض الطرق عنه قال
الذئب: أنت أعجب ! واقفا على غنمك، وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه
عنده قدراً، قد فتحت له أبواب الجنة، وأشرف أهلها على أصحابه ينتظرون قتالهم، وما
بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله، قال الراعي: من لي بغنمي ؟ قال الذئب:
أنا أرعاها حتى ترجع، فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى، وذكر قصته واسلامه ووجوده
النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " عد إلى غنمك
تجدها بوفرها " فوجدها كذلك، وذبح للذئب شاة منها.
وروى أن أهبان بن أوس هو صاحب القصة ومكلم الذئب. وروى أيضا أن صاحب
القصة سلمة بن عمرو بن الأكوع، وأنها سبب إسلامه. وحكى أبو عمر بن عبد البر في
ترجمة رافع بن عميرة الطائى أنه كلمه الذئب، وهو في ضأنٍ له يرعاها، فدعاه إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واللحاق به. قال: وزعموا أن رافع بن عميرة قال في كلام الذئب إياه.

رعيت الضأن أحميها بكلبي من الضبع الحفي وكل ذيب
فلما أن سمعت الذئب نادى يبشرني بأحمد من قريب
سعيت إليه قد شمرت ثوبي على الساقين قاصدة الركيب
فألفيت النبي يقول قولاً صدوقا ليس بالقول الكذوب
يبشرني بدين الحق حتى تبينت الشريعة للمنيب
وأبصرت الضياء يضىء حولي أمامي إن سعيت ومن جنوبي

في أبيات أخر.

وروى ابن وهب: أن مثل هذه القصة وقع لأبي سفيان بن حرب، وصفوان ابن أمية مع
ذئب وجداه قد أخذ ظبيا، فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك، فقال
الذئب: أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار.
فقال أبو سفيان: واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنا خلوفا. وقد روى أيضا مثل
هذا الخبر، وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه.
وعن عباس بن مرداس السلمي أنه لما تعجب من كلام صنمه ضمار، وإنشاده الشعر الذي
ذكرناه، فإذا طائر سقط، فقال: يا عباس، أنعجب من كلام ضمار، ولا تعجب من نفسك ؟
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام، وأنت جالس !
وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ورجلٌ
من الأنصار حائط أنصاريّ، وفي الحائط غنم، فسجدت له فقال أبو بكر: نحن أحقّ
بالسجود لك منها... الحديث. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل النبي صلى الله
عليه وسلم حائطاً فجاء بعيرٌ فسجد له، وذكر مثله، ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك،
وجابر بن عبد الله، ويعلى بن مرة، وعبد الله بن جعفر قال: وكان لا يدخل أحد الحائط
إلا شد عليه بالجمل، فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه، فوضع مشفره في
الأرض وبرك بين يديه فحطمه؛ وقال: " ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أنى رسول الله
إلا عاصي الجن والإنس ". وفي حديث آخر: أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن
شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه. وفي راوية: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: " إنه
اشتكى كثرة العمل وقلة العلف ".
وفي رواية: " إنه شكا إلى أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره "
فقالوا: نعم، وقد روى في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم، وتعريفها له
بنفسها، ومبادرة العشب إليها في الرعي، وتجنب الوحوش عنها، وندائهم لها أنك لمحمد،
وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت، ذكره الإسفرائني. وروى ابن وهب: أن حمام

مكة أظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها، فدعا لها بالبركة. وقد ذكرنا قصة الغار
وخبر الحمامتين والعنكبوت.
وعن عبد الله بن قرط قال: قرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو
ست أو سبع لينحرها يوم عيد، فازدلفن إليه بأيتهن يبدأ. وعن أم سلمة قالت: كان النبي
صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية: يا رسول الله، قال: ما حاجتك " ؟ قالت:
صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع،
قال: " وتفعلين " ؟: قالت: نعم، فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها، فانتبه الأعرابي. فقال:
يا رسول الله، ألك حاجة ؟ قال: " تطلق هذه الظبية " فأطلقها، فخرجت تعدو في
الصحراء وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.
ومنه ما روى من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذ وجهه إلى معاذ باليمن، فلقى الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه كتابه، فهمهم وتنحى عن الطريق، وذكر في منصرفه مثل ذلك.
وفي رواية أخرى عنه: أن سفينة تكسرت به، فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد؛ قال فقلت: أنا
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق.
وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بإذن شاة لقوم من عبد القيس بين إصبعيه ثم
خلاها، فصار لها ميسماً، وبقى ذلك الأثر فيها وفي نسلها. وقد روى عن إبراهيم بن
حماد بسنده كلام الحمار الذي أصابه بخيبر، وقال له: ما اسمك قال: اسمي يزيد بن شهاب،
فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفوراً وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم
الباب برأسه ويستدعيهم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات، تردى في بئر جزعاً
وحزناً فمات. وخبر الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما
سرقها وأنها ملكه. وخبر العنز التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره،
وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة، فحلبها رسول الله صلى الله

عليه وسلم فأروى الجند، ثم قال لرافع: " املكها وما أراك"
فربطها فوجدها قد انطلقت
رواه ابن قانع وغيره، وفيه: فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: " إن الذي جاء بها هو
الذي ذهب بها ". وقال عليه السلام لفرسه، وقد قام إلى الصلاة
في بعض أسفاره: " لا
تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا " وجعله قبلته فما
حرك عضواً حتى فرغ من
صلاته صلى الله عليه وسلم.
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما روى من كلام الأموات
والأطفال وشهادتهم له
بالنبوة.
فمن ذلك ما روى عن فهد بن عطيه: أن النبي صلى الله عليه
وسلم أتى بصبي قد شب
لم يتكلم قط، فقال له: " من أنا " ؟ فقال: رسول الله. وعن
معرض بن معيقب قال: رأيت
من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا، جيء بصبى يوم ولد، فذكر
مثله، وهو حديث
مبارك اليمامة، ويعرف بحديث شاصونة اسم رواية، وفيه؛ فقال
له النبي صلى الله عليه
وسلم: " صدقت بارك الله فيك " ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها
حتى شب، فكان يسمى
مبارك اليمامة، وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوادع.
وعن الحسن رضي الله عنه: أتى رجل النبي صلى الله عليه
وسلم فذكر له أنه طرح بنية
له في وادي كذا، فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها " يا
فلانة احي بإذن الله "
فخرجت وهي تقول: لبيك وسعديك، فقال لها: " إن أبويك قد
أسلما فإن أحببت أن
أردك عليهما " قالت: لا حاجة لي فيهما، وجدت الله خيرا لي
منهم.
وعن أنس رضي الله عنه أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز
عمياء قال: فسجيناه
وعزيناها فقالت: مات ابني ؟ قلنا: نعم، قالت: اللهم إن كنت
تعلم أني هاجرت إليك وإلى
نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة، فلا تحملن على هذه
المصيبة، قال: فما برحنا أن
كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا. وروى عن عبد الله بن
عبيد الله الأنصاري قال:
كنت فيمن دفن ثابت بن قيس ابن شماس - وكان قتل باليمامة
- فسمعناه حين أدخلناه

القبر يقول: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، وعثمان البر الرحيم، فنظرنا
فإذا هو ميت. وذكر عن النعمان بن بشير: أن زيد بن خارجة خر ميتا في بعض أزقة
المدينة، فرفع وسجي إذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول: أنصتوا، أنصتوا،
فحسر عن وجهه، فقال: محمد رسول الله، النبي الأمي، وخاتم النبيين، كان ذلك في الكتاب
الأول، ثم قال: صدق صدق، وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال: السلام عليك يا رسول
الله ورحمة الله وبركاته، ثم عاد ميتا. ومن ذلك قصة الذراع وقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأصحابه: ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة. قد تقدم خبر الذراع.
والله منجي المتقين ووليهم.
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم إبراء المرضى وذوي العاهات، كرد عين قتادة،
وكشف بصر الضرير، وتفله صلى الله عليه وسلم على جراحات فبرأت، وغير ذلك مما
نشرحه إن شاء الله تعالى.
أما عين قتادة بن النعمان فقد روينا بإسناد متصل عن سعد بن أبي وقاص: أن قتادة بن
النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكانت أحسن عينيه. وذكر الأصمعي عن أبي معشر المدني قال: أوفد أبو بكر
محمد بن عمرو بن حزم، بديوان المدينة إلى عمر بن عبد العزيز رجلاً من ولد قتادة بن
النعمان، فلما قدم عليه قال له: ممن الرجل ؟ قال:
أنا ابن الذي سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأول أمرها فيا حسن ما عينٍ ويا حسن ما رد
فقال عمر بن عبد العزيز:
تلك المكارم لا قعبان من لبنٍ شيبا بماءٍ فعادا بعد أبوالا
حكاه ابن عبد البر. وروى النسائي عن عثمان بن حنيف أن أعمى قال: يا رسول الله،
ادع الله أن يكشف لي عن بصري. قال: " فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين، ثم قل اللهم إني
أسألك وأتوجه إليك بنبي محمدٍ نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن
بصري اللهم شفعة في " قال: فرجع وقد كشف الله عن بصره.

وروى أن ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم،
فأخذ بيده حثوة من الأرض فنفل عليها، ثم أعطاها رسوله، فأخذها متعجبا - يرى أنه
قد هزئ به - فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله. وذكر العقيلي عن حبيب بن
فديك - ويقال فويك - أن أباه ابيضت عيناه، فكان لا يبصر بهما شيئا، فنفث رسول الله
صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر، فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين.
واتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاءٌ لا يتكلم، فأتى بماءٍ فمضمض فاه وغسل يديه ثم
أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به، فبرأ الغلام، وعقل عقلا، يفضل عقول الناس. وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة بابن لها به جنونٌ، فمسح رسول الله صلى
الله عليه وسلم صدره فثع ثعةً فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفى. وكانت في كف
شرحبيل الجعفي سلعة، تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة، فشكاها إلى النبي صلى
الله عليه وسلم، فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها أثرٌ. وسألته جاريةٌ طعاما
وهو يأكل، فناولها من بين يديه، وكانت قليلة الحياء، فقالت: إنما أريد من الذي في فيك،
فناولها ما في فيه، ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه، فلما استقر في جوفها ألقى عليها من الحياء
ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها.
وأما الجراحات التي تفل عليها فبرأت فكثير
منها أنه صلى الله عليه وسلم بصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة، في يوم ذي قرد،
قال: فما ضرب علي، ولا قاح. ومنها أن كلثوم بن الحصين رمى يوم أحد في نحره، فبصق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ، وتفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد.
وتفل في رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت،
وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق، إذا انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه.
وقطع أبو جهل يد معوذ بن عفراء في يوم بدر، فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت. رواه ابن وهب، ومن روايته: أن خبيب ابن

يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال
شقه، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونفث عليه حتى صح. ونفث على ضربة
بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت. وتفل في عيني علي بن أبي طالب رضي الله عنه
يوم خيبر وكان رمداً فأصبح بارئاً. واشتكى على مرة فجعل يدعو، فقال النبي صلى الله
عليه وسلم: " اللهم اشفه أو عافه " ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد ذلك.
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم إجابة دعائه
وهذا فصل متسع جداً، نذكر منه ما اشتهر وانتشر، وتواترت به الأخبار وتداولته الرواة،
ونقله أصحاب السير، ولا شك ولا خلاف بين أحد من الأمة في إجابة دعائه صلى الله
عليه وسلم؛ وقد روي عن حذيفة أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا
لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده. روي عن أنس بن مالك قال: قالت أمي يا رسول
الله، خادمك أنسٌ ادع الله له؛ قال: " اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته " قال أنس:
فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة، وما أعلم أحداً
أصاب من رخاء العيش ما أصبت، ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي، لا أقول سقطاً
ولا ولد ولدٍ. ودعا صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف بالبركة، قال عبد الرحمن:
فلو رفعت حجر لرجوت أن أصيب تحته ذهباً، ولما مات حفر الذهب من تركته بالفؤس
حتى مجلت به الأيدي، وأخذت كل زوجة ثمانين ألفاً، وكن أربعا، وقيل: مائة ألف، وقيل:
بل صولحت إحداهن - لأنه طلقها في مرضه - على نيف وثمانين ألفاً، وأوصى بخمسين ألفاً
بعد صدقاته الفاشية في حياته. ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة. ولسعد بن
أبي وقاص أن يجيب الله دعوته، فما دعا على أحد إلا استجيب له. ودعا أن يعز الله
الإسلام بعمر أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر رضي الله عنه؛ قال ابن مسعود: ما زلنا
أعزةً منذ أسلم عمر. وقال لأبي قتادة: " أفلح وجهك، اللهم بارك له في شعره وبشره "

فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمسة عشر. وقال للنابغة: " لا يفضض الله فاك "
قال: فما سقط له سن، وكان، أحسن الناس ثغراً، إذا سقطت له سن نبتت له أخرى،
وعاش عشرين ومائة سنة، وقيل: أكثر.
ودعا لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " فسمى
بعد الحبر وترجمان القرآن. ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه؛ فما اشترى
شيئاً إلا ربح فيه. ودعا للمقداد بالبركة؛ فكان عنده غرائر من المال. ودعا كذلك لعروة
بن أبي الجعد، قال: " فلقد كنيت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفاً. ودعا
لعلي أن يكفى الحر والقر، فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء،
ولا يصيبه حرٌ ولا بردٌ. ودعا على مضر فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم
فسقوا. وتقدم خبره في دعائه في الاستسقاء والاستضحاء.
ودعا على كسر أن يمزق ملكه
فلم يبقى له باقيةٌ، ولم تعد لفارس مملكة. وقال لرجل رآه يأكل بشماله: " كل بيمينك " قال:
لا أستطيع فقال: " لا استطعت " فلم يرفعها إلى فيه بعد.
وقال في عتبة بن أبي لهب: "
اللهم سلط عليه كلباً من كلابك " فأكله الأسد كما تقدم. ودعا على محلم بن جثامة،
فمات لسبع فلفظته الأرض ثم ووري فلفظته، فألقوه في صدين ورضموا عليه بالحجارة،
والصد جانب الوادي. ودعواته صلى الله عليه وسلم كثيرة عليه أفضل الصلاة والسلام.
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انقلاب الأعيان
فيما لمسه أو باشره؛ كسيف عكاشة بن محصن، وعبد الله بن جحش، وغير ذلك، وكان
من خبر عكاشة أن سفيه انكسر يوم بدر فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جذل
حطبٍ، وقال: " اضرب به " فعاد في يده سيفاً صارماً طويلاً أبيضٍ شديد المتن، فقاتل به،
ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة، وكان هذا السيف
يسمى العون. ودفع لعبد الله بن جحش - وقد ذهب سفيه يوم أحد - عسيب نخل
فرجع في يده سيفاً. ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم مر على ماء فسأل عنه، فقيل له

اسمه بيسان وماؤه ملح، فقال: " بل هو نعمان وماؤه طيب "
فكان كذلك. ومنه أنه صلى
الله عليه وسلم أعطى قتادة بن النعمان - وكان قد صلى معه
العشاء في ليلة مظلمة مطيرة
- عرجوناً، وقال: " انطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك
عشراً، ومن خلفك عشراً
فإذا دخلت، بيتك فسترى سواداً فاضربه به حتى يخرج فإنه
الشيطان " فانطلق فأضاء له
العرجون، ووجد السواد فضربه حتى خرج. ومن ذلك أنه صلى
الله عليه وسلم زود
أصحابه سقاء من ماء بعد أن أوكأه ودعا فيه، ولما حضرتهم
الصلاة نزلوا فحلوه فإذا به
لبنٌ طيب وفي فمه زبدة. رواه حماد بن سلمة.
ومما يلتحق بهذا الفصل
أنه صلى الله عليه وسلم ركب فرساً لأبي طلحة، كان يقطف -
أو - به قطاف، فلما
رجع قال: وجدنا فرسك بحراً، فكان بعد لا يجاري. ونخس جمل
جابر بن عبد الله، وكان
قد أعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه، وقد تقدم خبره. وخفق
فرس جعيل الأشجعي
بمخفقه معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطاً، وباع من
بطنها باثنى عشر ألفاً. وركب
صلى الله عليه وسلم حماراً قطوفاً لسعد بن عبادة فرده هملاجا
لا يساير. ومن ذلك بركة
يده صلى الله عليه وسلم فيما لمسه كقصة سلمان في كتابته،
وما غرس له صلى الله عليه
وسلم من الودي فأطعمت كلها من عامها، والذهب الذي أعطاه
وقد تقدم ذكر ذلك في
إسلام سلمان. ومنه أنه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس
عمير بن سعد وبرك فمات
وهو ابن ثمانين سنة وما شاب. وكذلك السائب ابن يزيد،
ومدلوك، وكان يوجد لعتبة بن
فرقد طيبٌ يغلب طيب نسائه، وذلك أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مسح بيده على
بطنه وظهر ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي، ودعا له
فهلك وهو ابن مائة سنة
ورأسه أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت
به يده عليه من شعره
أسود، فكان يدعى الأغر. وروي مثل ذلك لعمرو بن ثعلبة
الجهني، ومسح وجه آخر فما
زال على وجهه نور. ومسح وجه قتادة بن ملحان، فكان لوجهه
بريقٌ، حتى كان ينظر فيه

كما ينظر في المرآة. ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء، فما نعرف كان في
وجه امرأة من الجمال ما بها. ومسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره، وعلى
غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرءوا. وآتاه رجل به أدرة فأمره أن ينضحها بماء
من عين مج فيها ففعل فبرأ. وعن طاوس: لو لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم بأحد به
مس فصك في صدره إلا ذهب. والمس: الجنون. ومج في دلوٍ من بئر ثم صب فيها ففاح
فيها من ريح المسك. وشكا إليه أبو هريرة النسيان فأمره أن يبسط ثوبه، وغرف بيده فيه
ثم أمره بضمه ففعل فما نسى شيئاً بعد. ومن ذلك درور الشياه الحوائل باللبن الكثير؛
كقصة شاة أم معبد، وأعنز معاوية بن ثور، وشاة أنس، وغنم حليمة، وشارفها، وشاة عبد
الله بن مسعود، وشاة المقداد، والله أعلم.
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما أخبر به من الغيوب، وما يكون قبل وقوعه، فكان
كما أخبر به صلى الله عليه وسلم؛ روى عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقاماً، فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه، حفظه من
حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون الشيء فأعرفه فأذكره كما
يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه، وثم قال حذيفة: ما أدرى أنسي
أصحابي أم تناسوه، والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنه إلى أن
تنقضي الدنيا، يبلغ من معه ثلثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته.
وقال أبو ذر: لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في
السماء إلا ذكرنا منه علماً ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم مما يكون فكان، ما أخرجه
أهل الصحيح والأئمة، مما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من الظهور
على أعدائه، وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق، وظهور الأمن حتى تظعن
المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله، وإن المدينة ستغزى، وتفتح خيبر على يد علي

في غد يومه، وما يفتح الله على أمته من الدنيا، وما يؤتون من زهرتها، وقسمتهم كنوز
كسرى وقيصر، وما يحدث بينهم من الفتون والاختلاف والأهواء، وسلوك سبيل من قبلهم
وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة، وأنه ستكون لهم أنماط، ويغدو
أحدهم في حلة ويروح في أخرى، وتوضع بين يديه صفحة وترفع أخرى، ويسترون بيوتهم
كما تستر الكعبة، ثم قال آخر الحديث: " وأنتم اليوم خيراً منكم يومئذٍ " وإنهم إذا مشوا
المطيطاء، وخدمتهم بنات فارس والروم، رد الله بأسهم بينهم، وسلط شراراهم على
خيارهم، وما أخبر به صلى الله عليه وسلم من قتالهم الترك والخزر والروم، وذهاب
كسرى وفارس، حتى لا كسرى ولا فارس بعده، وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده، وأن
الروم ذات قرون إلا آخر الدهر، وأخبر بذهاب الأمثل فالأمثل من الناس، وتقارب الزمان،
وقبض العلم، وظهور الفتن والهرج، وقوله صلى الله عليه وسلم: " زويت لي الأرض فأريت
مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها " فكان كذلك؛ امتدت في المشارق
والمغارب، ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة، حيث لا عمارة وراءه، ولم
تمتد في الجنوب والشمال مثل ذلك. وقوله صلى الله عليه وسلم: " ويلٌ للعرب من شر قد
اقترب ". وقوله: " لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة " ذهب ابن
المدني إلى أنهم العرب؛ لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهو الدلو، وقيل: بل هم أهل
المغرب، ومن رواية أبي أمامة: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم
حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك " قيل: يا رسول الله وأين هم ؟ قال: " ببيت المقدس ".
وأخبر صلى الله عليه وسلم بملك بني أمية، وولاية معاوية، ووصاه، واتخاذ بني أمية مال
الله دولا.
وأخبر بخروج ولد العباس بالرايات السود، وملكهم أضعاف ما ملكوا، وأخبر بقتل علي
رضي الله عنه، وأن أشقاها الذي يخضب هذه من هذه، أي لحيته من رأسه. وقال: يقتل

عثمان وهو يقرأ المصحف، وأن الله عسى أن يلبسه قميصاً، وأنهم يريدون خلعه، وإنه
يسقطر دمه على قوله تعالى: " فسيكفيكهم الله ". وإن الفتن لا تظهر ما دام عمر حياً،
وأخبر بمحاربته الزبير لعلي، ونباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه وإنه يقتل حولها قتلى
كثيرة وتنجو بعدما كادت، وإن عماراً تقتله الفئة الباغية، وقال لعبد الله بن الزبير: " ويلٌ
للناس منك، وويل لك من الناس " وقال في قزمان وقد أبلى بلاء حسناً مع المسلمين: " إنه
من أهل النار " فقتل نفسه. وقال صلى الله عليه وسلم: " يكون في ثقيف كذاب ومبير "
فكان الكذاب المختار بن أبي عبيد، والمبير الحجاج بن يوسف. وأخبر بالردة، وإن الخلافة
بعده ثلاثون، ثم ملكاً، وقال: " إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة، ثم يكون رحمة وخلافة، ثم
يكون ملكاً عضوضاً، ثم يكون عتواً وجبروة وفساد في الأئمة " فكان كل ذلك كما أخبر.
وأخبر أن سيكون في أمته ثلاثون كذاباً فيهم أربع نسوة، وفي حديث آخر: " ثلاثون دجالاً
كذاباً آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله ". وقال صلى الله عليه
وسلم: " يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون فيئكم، ويضربون رقابكم " فكان كذلك.
وقال: " لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان " وقال: " هلاك أمتي
على يد أغلمة من قريش " قال أبو هريرة راوي الحديث لو شئت سميتهم لكم، بنو فلان
وبنو فلان، وأخبر بظهور القدرية والرافضة، وسب آخر هذه الأمة أولها.
وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم، والمخدج الذي فيهم، وأن سمياهم التحليق. وقال: "
خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون
ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ". وقال: " لا يأتي الزمان إلا والذي بعده شرٌّ منه
". وأخبر صلى الله عليه وسلم بالموتان الذي يكون بعد فتح المقدس. وما وعد من
سكنى البصرة وأن أمته يغزون في البحر كالملوك على الأسرة؛ فكان في زمن يزيد بن
معاوية. وقال: " إن الدين لو كان منوطاً بالثريا لناله رجال من ابناء فارس ". وقال صلى

الله عليه وسلم في الحسن بن علي رضي الله عنهما: " إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به
بين فئتين ". وأخبر بقتل الحسين بالطف، وأخرج بيده تربة، وقال: فيها مضجعه. وقال في
زيد بن صوحان: يسبقه عضو منه إلى الجنة، فقطعت يده في الجهاد. وقال لسراقة: " كيف
بك إذا لبست سوار كسرى " فلما أتى بهما لعمر ألبسهما إياه، وقال: الحمد لله الذي
سلبهما كسرى وألبسهما سراقة. وقال: " تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراط
تجبى إليها خزائن الأرض يخسف بها ". فبنيت بغداد. وقال: " لا تقوم الساعة حتى
تقتتل طائفتان دعواهما احدة ". وقال لعمر في سهيل بن عمرو: " عسى أن يقوم مقاما
يسرك يا عمر " فقام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم،
وخطب بنحو خطبته، وثبت الناس وقوى بصائرهم، وقال لخالد حين وجهه إلى أكيدر: "
إنك بحده يصيد البقر " فكان كذلك. وقد تقدم خبره. وأخبر صلى الله عليه وسلم بوقائع
نحن نترقب وقوعها؛ كقوله: " عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج
الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ". وأخبر بغير ذلك من الأمور التي وقعت في
حياته في أماكن بعيدة، وأخبر بها حال وقوعها كموت النجاشي، وقتل أمراء مؤتة، وغير
ذلك صلى الله عليه وسلم.
ومن معجزاته عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته إياه مع كثرة أعدائه وتحزبهم
واجتماعهم على أذاه
قال الله عز وجل: " والله يعصمك من الناس ". وقال تعالى: " واصبر لحكم ربك فإنك
بأعيننا ". وقال: " أليس الله بكافٍ عبده ". وقال: " إنا كفيناك المستهزئين. الذين
يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون ". وقال تعالى: " وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ". روي عن عائشة رضي
الله عنها أنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية: "
والله يعصمك من الناس " فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة، فقال

لهم: " يأيها الناس انصرفوا فقد عصمني لله ربي عز وجل ".
وقيل: كان النبي صلى الله
عليه وسلم يخاف قريشا، فلما نزلت هذه الآية استلقى، ثم قال:
" من شاء فليخذلني ".
وقد تقدم من عصمة الله له وكفايته قصتا دعثور وغورث، وخبر
حمالة الحطب، وأخذ الله
تعالى على بصرها حين أرادته بالفهر، وخبر أبي جهل حين أراده
بالحجر، وغير ذلك.
وها نحن نورد في هذا الموضع من ذلك خلاف ما قدمناه؛ فمن
ذلك ما روى عن الحكم
بن العاص أنه قال: تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم،
حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا
خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد، فوقعنا مغشيا علينا، فما
أفقنا حتى قضى صلاته
ورجع إلى أهله، ثم تواعدنا ليلة أخرى، فخرجنا حتى إذا رأيناه
جاءت الصفا والمروة
فحالت بيننا وبينه. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:
تواعدنا أنا وأبو جهم بن
حذيفة ليلةً قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئنا منزله
فسمعنا له، فافتتح وقال: "
الحاقّة ما الحاقّة " إلى: " فهل ترى لهم من باقيةٍ " فضرب أبو
جهم على عضد عمر وقال:
انج، وفرّا هاربين، فكانت من مقدّمات إسلام عمر. ومن ذلك
خروجه صلى الله عليه
وسلم على قريش حين اجتمعوا لقتله، فأخذ الله على أبصارهم
حتى ذرا التراب على
رءوسهم وخلص منهم. وقصة الغار، وأخذ الله على أبصارهم،
وخبر سراقة بن مالك بن
جعشم، وقد تقدم ذكر ذلك. وفي خبر آخر أن راعيا عرف خبر
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبي بكر حين هاجرا، فخرج يشتد ليعلم قريشا
بشأنهما، فلما دخل مكة
ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع، وأنسي ما خرج له حتى رجع
إلى موضعه. وذكر
السّمرقندي: أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه
وسلم ليقتله، فطمس الله
بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله، فرجع
إلى أصحابه ولم يرهم حتى
نادوه، وذكر أنّ فيه وفي أبي جهل نزلت: " إنا جعلنا في
أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم
مقمحون. وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا
فأغشيناهم فهم لا يبصرون ".

وقد روي عن أبي هريرة أن أبا جهل وعد قريشا: لئن رأى محمدا - صلى الله عليه وسلم
- يصلي ليطأن رقبته، فلما صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل، فلما قرب منه ولى هاربا
ناكصا على عقبيه متّقيا بيديه، فسئل فقال: لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا
كدت أهوى فيه، وأبصرت هولاً عظيماً، وخفق أجنحة قد ملأت الأرض. فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: " تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا " ثم أنزل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم: " كلاّ إن الإنسان ليطغى " إلى آخر السورة. وقد ذكرنا أيضا
قصة شيبة بن عثمان بن أبي طلحة في غزوة حنين. وعن فضالة بن عمرو قال: أردت قتل
النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت، فلما دنوت منه قال: " أفضالة "
؟ قلت: نعم، قال: " ما كنت تحدّث به نفسك " ؟ قلت: لا شيء فضحك واستغفر لي
ووضع يده على صدري فسكن قلبي، فو الله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحبّ إليّ
منه. ومنه خبر عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس، وقد تقدم ذكر قصتهما.
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما جمعه الله تعالى له من المعارف والعلوم، وخصه به
من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين، ومعرفته بأمور الشرائع وغير ذلك، كاطلاعه
صلى الله عليه وسلم على أخبار من سلف من الأمم، وقصص الأنبياء والرسل، وأخبار
الجبابرة والقرون الماضية، وحفظ شرائعهم، وسرد أنبائهم، وأيام الله فيهم، ومعارضة كل
فرقة من أهل الكتاب بما في كتبهم، وإعلامهم بأسرارها ومخبآت علومها، وإخبارهم بما
كتموه من ذلك وغيّروه، واحتوائه صلى الله عليه وسلم على لغات العرب وغريب ألفاظها،
والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها، ومعاني أشعارها، وما خصه الله تعالى به من جوامع
الكلم، وما علمه من ضروب العلوم وفنون المعارف؛ كالطبّ والعبارة والفرائض والحساب
والأنساب وغير ذلك، مما جعل أهل هذه العلوم كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة
وحجة وأصولا يرجعون إليها في علومهم؛ كقوله عليه السلام: " الرؤيا لأول عابر وهي على

رجل طائر " وقوله: " الرؤيا ثلاث؛ رؤيا حق، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه، ورؤيا تحزين
من الشيطان ". وقوله: " إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ". وقوله: " أصل
كل داء البردة " وقوله: " المعدة حوض البدن، والعروق إليها واردة " وقوله: " خير ما
تداويتم به السعوط، واللدود، والحجامة، والمشي، وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع
عشرة وإحدى وعشرين، وفي العود الهندي سبعة أشفية " وقوله: " ما ملأ ابن آدم وعاء
شرا من بطنه ". وقوله لكاتبه: " ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمملى ". وقد وردت
آثار بمعرفته حروف الخطّ، وحسن تصويرها؛ كقوله: " لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم "
رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس، وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية أنه
كان يكتب بين يديه - صلى الله عليه وسلم - فقال له: " ألق الدواة، وحرف القلم وأقم
الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم، وحسن الله، ومد الرحمن، وجود الرحيم " وإن لم تصح
الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كتب، فلا يبعد أن يكون قد رزق علم الخط، ومنع الكتابة
والقراءة. وكذلك حفظه صلى الله عليه وسلم لكثير من لغات الأمم؛ كقوله صلى الله عليه
وسلم " سنه سنه " وهي حسنة بالحبشية، وقوله: و: يكثر الهرج " وهو القتل بها، وقوله
في حديث أبي هريرة: " اشكنب دردم " أي وجع البطن بالفارسية، وغير ذلك مما لا يعلمه
إلا من دارس العلوم، ومارس الكتب، وداوم المطالعة، وعكف على الاشتغال. وكان صلى
الله عليه وسلم بخلاف ذلك لا يقرأ ولا يكتب؛ كما أخبر الله تعالى عنه بقوله عز وجل: "
وما كنت تتلو من قبله من كتابٍ ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون " وفي هذا أكبر آية،
وأعظم دلالة، وأبين حجة، وأبهر معجزة له صلى الله عليه وسلم.
وقد رأينا ان نختم هذه الفصول بذكر
القصيدة التي ايتسمت ثغورها بوصف معجزاته، وتحلت نحورها بجواهر صفاته، ورفلت
في حلل الفخار من باهر آياته، وسحبت ذيول الافتخار بإشارات إلى غزواته، وفاح أرجها

فأخجل المسك الدّاريّ، وأشرقت أنوارها على النيرين فما ظنك بالدراري، وهي قصيدة
الشيخ الإمام العلامة أبي محمد عبد الله بن زكريا الشقراطيسي رحمه الله تعالى، وإنما
اقتصرنا عليها وصرفنا الرغبة دون غيرها إليها لاشتمالها على جمل من أخباره السنية،
ونكت من آثاره التي هي بكل خير ملية، وهي:

الحمد لله منا باعث الرسل هدى بأحمد منا أحمد السبل
خير البرية من بدوٍ ومن حضرٍ وأكرم الخلق من حافٍ ومنتعل
توراة موسى أتت عنه فصدقها إنجيل عيسى بحق غير مفتعل
أخبار أحبار أهل الكتب قد وردت عما رأوا ورووا في الأعصر الأول
ضاءت لمولده الآفاق وانصلت بشرى الهواتف في الإشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده وانقاض منكسر الأرجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت مذ ألف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لمبعثه الأوثان وانبعثت ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل
ومنطق الذئب بالتصديق معجزةٌ مع الذراع ونطق العير والجمل
وفي دعائك بالأشجار حين أتت تسعى بأمرك في أغصانها الذلل
وقلت عودي فعادت في منابتها تلك العروق بإذن الله لم تمل
والسرح بالشام لما جئتها سجدت شم الذوائب في أغصانها الخضل
والجذع حن لأن فارقته أسفاً حنين ثكلى شجتها لوعة الثكل
ما صبر من صار من عينٍ على أثرٍ وحال من حال من حالٍ إلى عطل
حي فمات سكوناً ثم مات لدن حي حنيناً فأضحى غاية المثل
والشاة لما مسحت الكف منك على جهد الهزال بأوصالٍ لها قحل
سحت ودرت بشكر الضرع حافلةً فروت الركب بعد النهل بالعلل
وآية الغار إذ وقيت في حجبٍ عن كل رجسٍ لرجس الكفر منتحل
وقال صاحبك الصديق كيف بنا ونحن منهم بمرأى الناظر العجل

فقلت لا تحزن إن الله ثالثنا وكنت في حجب ستر منه منسدل
حمت لديك حمام الوحش جاثمةً كيداً لكا غوي القلب مختبل
والعنكبوت أجادت حوك حلتها فما يخال خلال النسج من خلل
قالوا: وجاءت إليه سرحةٌ سترت وجه النبي بأغصانٍ لها هدل
وفي سراقة آياتٌ مبينةٌ إذ ساخت الحجر في وحلٍ بلا وحل
عرجت تخترق السبع الطباق إلى مقام زلفى كريمٍ قمت فيه عل
عن قاب قوسين أو أدنى هبطت ولم تستكمل الليل بعد المر والقفل
دعوت للخلق عام المحل مبتهلاً افديك بالخلق من داعٍ ومبتهل
صعدت كفيك إذ كف الغمام فما صوبت إلا بصوب الواكف الهطل
أراق بالأرض ثجاً صوب ريقه فحل بالأرض نسجاً رائق الحلل
زهر من النور حلت روض أرضهم زهراً من النور ضافي النبت مكتهل
من كل غصنٍ نضيرٍ مورقٍ خضرٍ وكل نورٍ نضيدٍ مونقٍ خضل
تحية أحيت الأحياء من مضرٍ بعد المضرة تروي السبل بالسبل
دامت على الأرض سبعاً غير مقلعةٍ لولا دعاؤك بالإقلاع لم تزل
ويوم زورك بالزوراء إذ صدروا من يمن كفك عن أعجوبة مثل
والماء ينبع جوداً من أناملها وسط الإناء بلا نهرٍ ولا وشل
حتى توضأ منه القوم واغترفوا وهم ثلاث مئينٍ جمع محتفل
أشبعت بالصاع ألفاً مرملين كما رويت ألفاً ونصف الألف من سمل
وعاد ما شبع الألف الجياع به كما بدوا فيه لم ينقص ولم يحل
أعجزت بالوحي أصحاب البلاغة في عصر البيان فضلت أوجه الحيل
سألتهم سورة في مثل حكمته فتلهم عنهم حين العجز حين تلي
ورام رجسٌ كذوب أن يعارضه بعي غيٍ فلم يحسن ولم يطل
مثبج بركيك الإفك ملتبسٍ ملجلج بزريٍ الزور والخطل
يمج أول حرفٍ منه سامعه ويعتريه كلال العجز والملل
كأنه منطق الورهاء شذبه لبس من الخبل أو مسٌ من الخبل
أمرت البئر واغورت لمجته فيها وأعمى بصير العين بالتفل

وأيبس الضرع منه شؤم راحته من بعد إرساله بالرسل منهمل
برئت من دين قوم لا قوام لهم عقولهم من وثاق الغي في غلل
يستخبرون خفي الغيب من حجرٍ صلدٍ ويرجون غوث النصر من هبل
نالوا أذى منك - لولا حلم خالقهم وحجة الله بالإنذار لم تنل
واستضعفوا أهل دين الله فاصطبروا لكل معضل خطب فادحٍ جلل
لاقى بلاءً من أمية قد أحله الصبر فيه أكرم النزل
إذا أجهدوه بضننك الضنك وهو على شدائد الأزل ثبت الأزر لم يزل
ألقوه بطحاء برمضاء البطاح وقد عالوا عليه الصخور جمة الثقل
فوحد الله إخلاصا وقد ظهرت بظهره كندوب الطل في الطلل
إن قد ظهر ولي الله من دبرٍ قد قد قلب عدو الله من قبل
نفرت في نفرٍ لم ترض أنفسهم إذ نافروا الرجس إلا القدس من نفل
بأنفسٍ بدلت في الخلد إذ بذلت عن صدق بذل ببدرٍ أكرم البدل
قالوا: محمد قد حلت كتائبه كالأسد تزأر في أنيابها العصل
فويل مكة من آثار وطأته وويل أم قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم تلملم ولا بأليم اللوم والعذل
أضربت بالصفح صفحا عن طوائلهم طولا أطال مقيل القوم في المقل
رحمت واشج أرحام أتيح لها تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا يظل كريم العفو ذي لطفٍ مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
أحبب بخيلٍ من التكوين قد جنبت لجانبٍ عن جانب الحق معتزل
أعميت جيشا بكف من حصى فجثوا وعطلوا عن حراك النقل بالنقل
ودعوة بفناء البيت صادقةً غدا أمية منها شر مخزل
غادرت جهل أبي جهل بمجهلة وشاب شيبة قبل الموت من وجل
وعتبة الشر لم يعتب فتعطفه منك العواطف قبل الفوت في مهل
وعقبة الغمر عقباه لشقويه قد ظل من غمرات الغي في ظلل

وكل أشوس عاتي القلب منقلبٍ جعلته بقليب البئر كالجعل
وجاثم بمثار النقع مشتغلٍ بجاحم من أوار النار مشتعل
عقدت بالخزي في عطفه مقلدهم طوق الحمامة باق غير منتقل
أمسى خليل صغارٍ بعد نخوته بالأمس في خيلاء الخيل والخول
دام يديم زفيرا في جوانجه جنحٌ من الشك لم يجنح ولم يمل
يقاد في القد خنقا مشربا حنقا يمشي به الذعر مشى الشارب الثمل
أوصاله من صليل الغل في علل وقلبه من غليل الغل في غلل
يظل يحجل ساجي الطرف خافضه بمسكة الحجل لا من مسكة الحجل
أرحت بالسيف ظهر الأرض من نفرٍ أزحت بالصدق منهم كاذب العلل
تركت بالكفر صدعا غير ملتئم وآب منك بقرح غير مندمل
وأفلت السيف منهم كل ذي أسفٍ على الحمام حماه آجل الأجل
قد أعتقته عتاق الخيل وهو يرى به إلى رق موتس رقة الغزل
فكم بمكة من باكٍ وباكيةٍ بفيض سجلٍ من الآماق منسجل
وكاسف البال بالي الصبر جدت له بوابل من وبال الخزي متصل
فؤاده من سعير الغيظ في غللٍ وعينه من غزير الدمع في غلل
قد أسعرت منه صدرا غير مصطبر وحملت منه قلباالغير محتمل
ويوم مكة إذ أشرفت في أممٍ يضيق عنها فجاج الوعر والسهل
خوافق داق ذرع الخافقين بها في قاتم من عجاج الخيل والإبل
وجحفل قذف الأرجاء ذي لجبٍ عرمرم كزهاء الليل منسدل
وأنت - صلى عليك الله - تقدمهم في بهو إشراق نورٍ منك مكتمل
ينير فوق أغر الوجه منتجب متوج بعزيز النصر مقتبل
تسمو أمام جنود الله مرتديا ثوب الوقار لأمر الله ممتثل
خشعت تحت لواء العز حين سمت بك المهابة فعل الخاضع وجل
وقد تباشر أملاك السماء بما ملكت إذ نلت منه غاية الأمل
والأرض ترجف من زهوٍ ومن فرقٍ والجو يزهر إشراقا من الجذل

والخيل تختال ملا في أعنتها والعيس تنثال رهوا من ثنى الجدل
لولا الذي خطت الاقلام من قدرٍ وسابقٍ من قضاءٍ غير ذي حول
أهل ثهلان بالتهليل من طربٍ وذاب يذبل تكبيرا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت له النبوة فوق العرش في الأزل
شعبت صدع قريش بعدما قذفت بهم شعوب شعاب السهل والقلل
من كل مهتصرٍ لله منتصرٍ بالسيف مختصرٍ بالرمح معتقل
يمشي إلى الموت عالى الكعب معتقلا أظمى الكعوب كمشي الكاعب الفضل
قد قاتلوا دونك الأقيال عن جلدٍ وجالدوا بجلاء البيض والجدل
وصلتهم وقطعت الاقربين معاً في الله لولاه لم تقطع ولم تصل
وجاء جبريل في جند لهم عدد لم يبتذلها أكف الخلق بالعمل
بيضٌ من العون لم تستل من غمدٍ خيلٌ من الكون لم تستن في طيل
أزكى البرية أخلاقا وأطهرها وأكثر الناس صفحا عن ذوي الزلل
زان الخشوع وقارٌ منه في خفرٍ أرق من خفر العذراء في الكلل
وطفت في البيت محبورا وطاف به من كان عنه قبيل الفتح في شغل
والكفر في ظلمات الرجس مرتكس ثاوٍ بمنزلة البهموت من زحل
حجزت بالأمن أقطار الحجاز معًا وملت بالخوف عن خفيفٍ وعن ملل
وحلّ أمنٌ ويمن منك في يمنٍ لما أجابت إلى الإيمان في عجل
وأصبح الدين قد حفت جوانبه بعزة النصر واستعلى على الملل
قد طاع منحرفٌ منهم لمعترفٍ وانقاد معتدلٌ منهم لمعتدل
أحبب بخلة أهل الحق في الخلل وعز دولته الغراء في الدول
أم اليمامة يومٌ منه مصطلم وحلّ بالشام شؤم غير مرتحل
تعرقت منه أعراق العراق ولم يترك من الترك عظما غير منتثل
لم يبق للفرس ليث غير مفترسٍ ولا من الحبش جيش غير منجفل
ولا من الصين صونٌ غير مبتذل ولا من الروم مرمى غير منتضل

ولا من النوب جذم غير منجذم ولا من الزنج جدل غير منجذل
ونيل بالسيف سيف النيل واتصلت دعوى الجنود فكلٌّ بالجلاد صلي
وسلّ بالغرب غرب السيف إذ شرقت بالشرق قبل صدور البيض والأسل
وعاد كل عدو عزّ جانبه قد عاذ منك ببذلٍ منه مبتذل
بذمة الله والإيمان متصلٌ أو من شبا النصل بالأموال منتصل
يا صفوة الله قد صافيت فيك صفا صفو الوداد بلا شوبٍ ولا دخل
ألست أكرم من يمشي على قدمٍ من البرية فوق السهل والجبل
وأزلف الحلق عند الله منزلة إذ قيل في مشهد الأشهاد والرسل
قم يا محمد فاشفع في العباد وقل تسمع وسل تعط واشفع عائدا وسل
والكوثر الحوض يروي الناس من ظمأ برحٍ وينقع منه لاعج الغلل
أصفى من الثلج إشراقاً مذاقته أحلى من اللبن المضروب بالعسل
نحلتك الودّ عليّ إذ نحلتكه أحبى بفضلك منه أفضل النّحل
فما لجلدي بنضج النار من جلدٍ ولا لقلبي بهول الحشر من قبل
يا خالق الخلق لا تخلق بما اجترمت يداي وجهي من حوبٍ ومن زلل
واصحب وصلّ وواصل كلّ صالحةٍ على صفيّك في الإصباح والأصل
صلى الله عليه وسلم
وقد آن أن نأخذ في ذكر أخبار وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونبدأ من ذلك بما
أنزل عليه عند اقتراب أجله، ثم نذكر ابتداء وجعه والحوادث التي اتفقت في أثناء مرضه
إلى حين وفاته صلى الله عليه وسلم.
ذكر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند اقتراب أجله، وما كان يقوله مما استدل به على اقترابه
كان مما استدل به على اقتراب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، نزول سورة الفتح،
وتتابع الوحي، وتكرار عرض القرآن على جبريل، واستغفار رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأهل البقيع والشهداء. روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه سأل عن قول الله عز وجل: " إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت

الناس يدخلون في دين الله أفواجا" فقال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم:
أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا الله وفتح علينا. وقال بعضهم: فتح المدائن
والقصور. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، قال عمر: كذلك تقول يابن عباس ؟ فقلت: لا،
قال: فما تقول ؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له؛ قال: " إذا
جاء نصر الله والفتح " وذاك علامة أجلك " فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً "
فقال عمر رضي الله عنه، ما أعلم منها إلا ما تقول. وعن عائشة رضي الله عنها قالت:
ما صلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن نزلت عليه: " إذا جاء نصر الله والفتح " إلا
يقول فيها: " سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ". وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال: " إذا جاء نصر الله والفتح " داعٍ من الله ووداعٌ من الدنيا. وعنه رضي الله عنه قال:
لما نزلت "إذا جاء نصر الله والفتح " دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فقال: "
إنه نعيت إلى نفسي " قالت فبكيت، فقال: " لا تبكي فإنك أول أهلي بي لحوقاً "
فضحكت. وروى محمد بن سعد بسنده إلى أنس بن مالك: أن الله تبارك وتعالى تابع
الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته حتى توفى، وأكثر ما كان الوحي
في يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروى ابن سعد أيضاً بسنده إلى عكرمة قال
قال العباس: لأعلمن بقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا، فقال له: يا رسول الله، لو
اتخذت عرشاً فإن الناس قد آذوك، قال: " والله لا أزال بين ظهرانيهم ينازعوني ردائي
ويصيبني غبارهم حتى يكون الله يريحني منهم " قال العباس: فعرفنا أن بقاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فينا قليل. وعن وائلة بن الأسقع قال: خرج علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فقال: " أتزعمون أنى من آخركم وفاة، ألا وإني من اولكم وفاة، وتتبعوني
أفناداً يهلك بعضكم بعضا". وعن أبي صالح قال: كان جبريل يعرض القرآن كل سنة مرة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان العام الذي قبض فيه عرض عليه مرتين.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في شهر رمضان العشر الأواخر، فلما كانت السنة التي قبض فيها اعتكف عشرين يوماً. وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم نحوه.

استغفاره لأهل بقيع الغرقد والشهداء، وما روي بين تخييره بين البقاء ولقاء الله تعالى، واختياره لقاء ربه عز وجل

روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فلبس ثيابه ثم خرج، فأمرت جاريتي بريرة فتبعته، حتى إذا جاء البقيع وقف في أدناه ما شاء الله أن يقف، ثم انصرف فسبقته بريرة فأخبرتني فلم أذكر له شيئاً حتى أصبح، ثم